(الجزء العاشر)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء العاشر من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

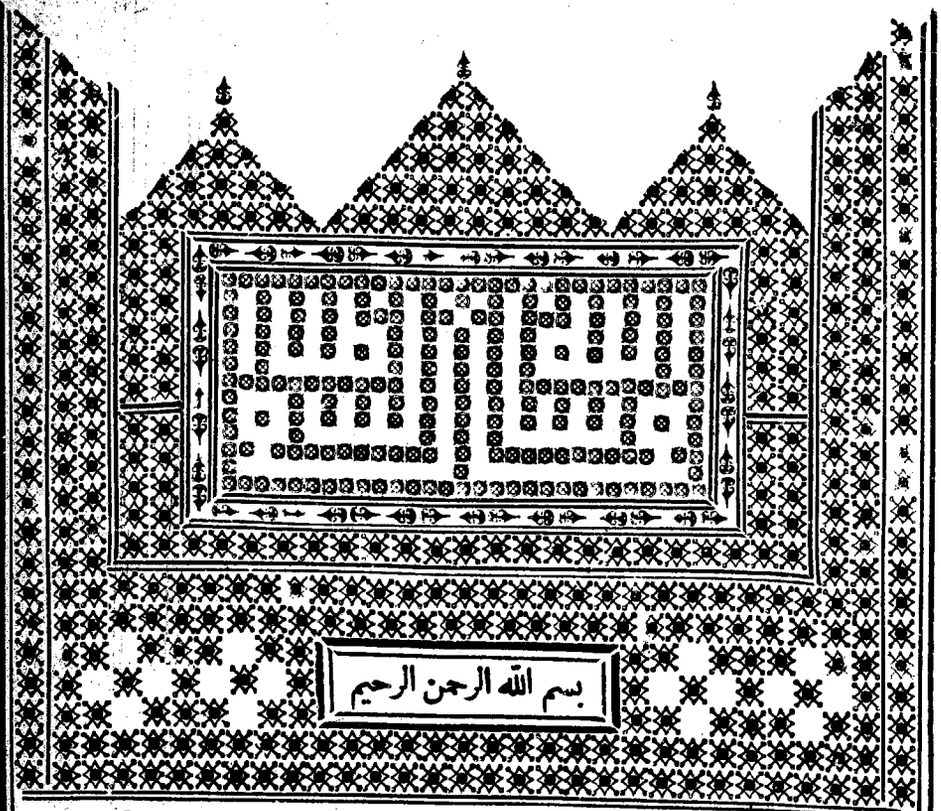

القول فى تاويل قوله (واعلموا انما غنمتم من شئ) قال أبو جعفر وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم اذا غنموها يقول تعالى ذكره واعلموا أيها المؤمنون انما غنمتم من غنيمة واختلف أهل العلم فى معنى الغنيمة والفىء فقال بعضهم فيهما معنيان كل واحد منهما غير صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح قال سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وهذه الآية ما أفاء الله على رسوله قال قلت ما الفىء وما الغنيمة قال اذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة وأما الارض فهى فى سوادنا هذا فىء وقال آخرون الغنيمة ما أخذ عنوة والفىء ما كان عن صلح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان الثورى قال الغنيمة ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس وأربعة أخماس لمن شهدها والفىء ما صالحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس هو لمن سمى الله وقال آخرون الغنيمة والفىء معنى واحد قالوا هذه الآية التى فى الانفال ناسخة قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال كان الفىء فى هؤلاء ثم نسخ ذلك فى سورة الانفال واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر وجعل الخمس لمن كان له الفىء فى سورة الحشر وسائر ذلك لمن قاتل عليه وقد بينا فيما مضى الغنيمة وانها المال يوصل اليه من مال من خول الله ماله أهل دينه غلبة عليه وقهر بقتال فاما الفىء فانه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك وهو ما رده عليهم منها بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب وقد يجوز ان يسمى ما ردته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيألان الفىء انما هو مصدر من قول القائل فاء الشئ يفىء فيئا اذا رجع وأفاءه الله اذا رده غيران الذى

(واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء

ورد حكم الله فيه من الفيء بحكمه في سورة الحشر انما هو وما وصفت صفته من الفيء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب لعلل قد بينتها في كتابنا كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الدين وسنبينه أيضا في تفسير سورة الحشر اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى وأما قول من قال الآية في سورة الانفال ناسخة الآية في سورة الحشر فلا معنى له اذ كان لا معنى في احدى الآيتين ينفي حكم الاخرى وقد بينا معنى النسخ وهو نفي حكم قد ثبت بحكم خلافه في غير موضع بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله من شيء فانه مراد به من كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط كما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء قال المخيط من الشيء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد بمثله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم قوله فان لله خمسه مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة وما فيهما وانما معنى الكلام فان للرسول خمسه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن تهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول قال قوله فان لله خمسه مفتاح كلام لله ما في السموات وما في الارض فجعل الله سهم الله وسهم الرسول واحدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فان لله خمسه قال لله كل شيء **حدثنا** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه قال لله كل شيء وخمس لله ورسوله ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فاربعة أخماس لمن قاتل عليها ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس فخمس لله والرسول **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا أبان عن الحسن قال أوصى أبو بكر رضي الله عنه بالخمس من ماله وقال الا أرضى من مالي ما رضي الله لنفسه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عبد الملك عن عطاء واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول قال خمس الله وخمس رسوله واحد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويصنع فيه ما شاء **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أصحابه عن ابراهيم واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه قال كل شيء لله الخمس للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال آخرون معنى ذلك فان كتبنا لله خمسه وللرسول ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع بن الجراح عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة يكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله

دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) القراآت بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حي بياء بين أبو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزي وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذزين وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وأبي عمرو وهشام اني أرى اني أخاف بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وتراءت الفئتان بالامالة نصير

* الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجعان ط قدير ه أسفل منكم ط في الميعاد لالعطف لكن مفعولا لاتعلق اللام من حي عن بينة ط عليهم لاتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ه مفعولا ط الامور ه تفلحون ه ج للآية وللعطف واصبروا ط الصابرين ه ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ه جاركم ط أخاف الله ط العقاب ه دينهم ط حكيم ه * التفسير لما أمر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة أعاد حكم الغنيمة ببيان أوفى وأشفى فقال واعلموا انما غنمتم الذي فزتم به من أموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما أي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط والخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفي عن أبي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور آكد وأثبت

لا يجاب كانه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان أقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الآية تقتضي أخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على أقوال أشهرها ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد وأما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله ويصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة الاهم فالاهم وواحد لذوي القربى يعني أقارب رسول الله من أولاد هاشم والمطلب ابني عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف أيضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا أن الذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة أخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين أبي حنيفة والشافعي الان أبا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى واعلموا وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول فان لرسول الله خمسة كقوله والله

خمسه الى آخر الآية قال فكان يجاء بالغنيمة فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم فيجعل أربعة بين الناس ويأخذ سهما ثم يضرب بيده في جميع ذلك السهم فما قبض عليه من شئ جعله للكعبة فهو الذي سمي لله فيقول لا تجعلوا لله نصيبا فان لله الدنيا والآخرة ثم يقسم نصيبه على خمسة أسهم سهم للنبي صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وقال آخرون ما سمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانما هو مرادبه قرابته وليس لله ولا لرسوله منه شئ ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا أبو معاوية عن علي عن ابن عباس قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة فربع لله والرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ والخمس الثاني لليتامى والخمس الثالث للمساكين والخمس الرابع لابن السبيل * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال قوله فان لله خمسه وللرسول افتتاح كلام وذلك لاجماع الحجة على ان الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية لوجب ان يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم وانما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها فاما على أكثر من ذلك فما لا نعلم قائلا قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية وفي اجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا فاما من قال سهم الرسول لذوي القربى فقد أوجب للرسول سهما وان كان صلى الله عليه وسلم صرفه الى ذوي قرابته فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم وقد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه الآية كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا غنم غنيمة جعلت أخماسا فكان خمس لله ولرسوله ويقسم المسلمون ما بقي وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكان هذا الخمس خمسة أخماس خمس لله ولرسوله وخمس لذوي القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت يحيى الحراز عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو خمس الخمس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة وجرير عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الحراز مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الحراز مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ان لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمسه لذوي القربى وخمسه لليتامى وخمسه للمساكين ولابن السبيل خمسه واما قوله ولذوي القربى فان أهل التأويل اختلفوا فيهم فقال بعضهم هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة فجعل لهم خمس الخمس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال قد علم الله ان في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزني عن السدي عن أبي الديلمي قال قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشام اما قرأت في الانفال

ورسوله أحق أن يرضوه وعن أبي العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة أسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روى انه صلى الله عليه وسلم (٥) كان يأخذ الخمس فيصرف بيده منه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى ان أبا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم وتزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيأ وروى عن زيد بن علي انه ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البرازين وقيل الخمس كله للقرابة لما روى عن علي عليه السلام انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكينها وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن أنس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان رأى أعطى بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فذلك فعند هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس

واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول الآية قال نعم قال فانكم لانتم هم قال نعم **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قال هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن عطاء عن ابن عباس ان نجدة كتب اليه يسأله عنه فكتب اليه كتابا تزعم انا نحن هم فابى ذلك علينا قومنا قال **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فان لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر الباس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمس لذوي القربى خمس لليتامى وخمس للمساكين ولابن السبيل خمسه وقال آخرون بل هم قريش كلها ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب نجدة الى ابن عباس يسأله عن ذي القربى قال فكتب اليه ابن عباس قد كنا نقول انا هم فابى ذلك علينا قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قربى وقال آخرون سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار من بعده لولي الامر من بعده ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة انه سئل عن سهم ذي القربى فقال كانت طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده وقال آخرون بل سهم أي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة وممن قال ذلك الشافعي وكانت علته في ذلك **ما حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه احداهما بالاخرى * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لان حليف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين أعني سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يصرفان في معونة الاسلام وأهله ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن مجاهد عن الضحاك عن ابن عباس قال جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذي القربى فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبي صلى الله عليه وسلم لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال قائلون سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع رأيهم ان يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد فذكر نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمر بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان

من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه فرق فيه بين أهل الحق وأهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي أنزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد والله على كل شئ قدير فبذلك نصر القليل على الكثير اذ أنتم

بدل من يوم الفرقان بالعدوة بالكسر والضم شط الوادى أى جانبه وحافته وقال أبو عمرو هى المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعنى الجانب الذى يلى المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا وأما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود فى مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا أيضا قليلا والعدوة القصوى مما يلى مكة والركب يعنى الاربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ أى مكانا أسفل من مكانكم والفائدة فى ذكر مراكز الفرق الثلاث تصوير وقعة بدر ومادبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رأفته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كانت فى مكان فيه الماء وكانت أرضا لاباس بها وأما العدوة الدنيا فهى رخوة تسوخ فيها الاقدام ولاماء بها وكانت العير وراء ظهورها والعدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم ونجدتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بغيالهم وأثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم مايحدثون أنفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم فى الميعاد فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم مافى قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ماتيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضى الله أى ليظهر أمرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل ليقضى بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة أى لاشك فى كفره وعناده كما لم يبق شك للمسلمين فى حقية دين الاسلام وفى قوله ليقضى وليهلك دلالة على ان أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه

على رضى الله عنه يقول فيه قال كان على أشدهم فيه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه والرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين الآية قال ابن عباس فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس أربعة بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة لله وللرسول ولذى القربى يعنى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم رد أبو بكر رضى الله عنه نصيب القرابة فى المسلمين فجعل يحمل به فى سبيل الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة انه سئل عن سهم ذى القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى جعل عليه أبو بكر وعمر فى سبيل الله صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون سهم ذوى القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى والى أمر المسلمين ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو بن ثابت عن عمران بن طبيان عن حكيم بن سعد عن على رضى الله عنه قال يعطى كل انسان نصيبه من الخمس ويلى الامام سهم الله ورسوله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة انه سئل عن سهم ذوى القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفى جعل لولى الامر من بعده وقال آخرون سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك قول جماعة من أهل العراق وقال آخرون الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار قال ثنا المنهال بن عمرو قال سألت عبد الله بن محمد بن على وعلى بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلى ان الله يقول اليتامى والمساكين وابن السبيل قال يتامانا ومساكيننا * والصواب من القول فى ذلك عندنا ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ماروى عن ابن عباس للقرابة سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل سهم لان الله أوجب الخمس لاقوام موصوفين بصفات كما أوجب الاربعة الاخماس الآخرين وقد أجمعوا ان حق الاربعة الاخماس لن يستحقه غيرهم فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم وغير جائز ان يخرج عنهم الى غيرهم كما غير جائز أن تخرج بعض سهمان التى جعلها الله لمن سماه فى كتابه بفقد بعض من يستحقه الى غير أهل السهمان الاخر وأما اليتامى فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل المجتاز سفرا قد انقطع به كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال الخمس الرابع لابن السبيل وهو الضعيف الفقير الذى ينزل بالمسلمين ۞ القول فى تاويل قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون انما غنمتم من شئ فقسوم القسم الذى بينته وصدقوا به ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق فيه بين الحق والباطل ببدر فابان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم وذلك يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين والله على اهلاك أهل الكفر واذلالهم بايدى المؤمنين وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شئ أراده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال

ثنا

ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يعنى بالفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير واسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله يومئذ المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن مقسم يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عثمان الجزرى عن مقسم فى قوله يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يوم بدر وبدر بين المدينة ومكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنى يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون محمد بن عبيد الله الثقفى عن أبى عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب قال قال الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم التقى الجمعان قال ابن جريج قال ابن كثير يوم بدر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أى يوم فرق بين الحق والباطل ببدر أى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وذا كم يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل ۞ القول فى تأويل قوله (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم ان كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر اذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله اذ أنتم حينئذ بالعدوة الدنيا يقول بشفير الوادى الادنى الى المدينة وهم بالعدوة القصوى يقول وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادى الاقصى الى مكة والركب أسفل منكم يقول والعير فيه أبو سفيان وأصحابه فى موضع أسفل منكم الى ساحل البحر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذ أنتم بالعدوة الدنيا قال شفير الوادى الادنى وهم بشفير الوادى الاقصى والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وهما شفير الوادى كان نبى الله بأعلى الوادى والمشركون بأسفله والركب أسفل منكم يعنى أبا سفيان انحدر بالعير على حوزته حتى قدم بها مكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى من الوادى الى مكة والركب أسفل منكم أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا لم يشعروا بأصحاب بدر ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش

وقيل فى منامك أى فى عينك فى اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو أراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم فى الامر أمر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم ببصركم اياهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية ترؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم فى أعينهم الحكمة فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهرة مع ان فى ذلك تصديقا لرؤيا النبى وأما فى تقليل المؤمنين فى أعينهم فالحكمة فى ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغى ليقضى الله أمرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه ان أحوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منه ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين آداب اللقاء فى الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب فى القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات فى القتال لا ينافى الرخصة فى التحرف والتحيز فلعل الثبات فى الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد

لا يجوز له ان يفتر عن ذكر ربه فى أى شغل وعمل كان ولو ان رجلا أقبل من المغرب الى المشرق منفقا أمواله لله والآخر من المشرق الى المغرب صابرا بالسيف فى سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجرا وقيل المراد من هذا الذكر أن يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك

والاولى حمله على العموم وأطيعوا الله ورسوله فى سائر ما يأمر به لان الجهاد لا يمنع الامع التمسك بسائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان أو مجزوم لدخوله فى حكم النهى (٨) ويظهر التقدير ان فى قوله وتذهب ريحكم على قراءتين والريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوب هبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفيه الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأى نحو ما وقع لهم باحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضى غالبا الى النزاع المنهى عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال أهل السير ان أهل مكة حين نفروا لحماية العير أتاهم رسول أبى سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ننحر بها الجزور ونعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان الغناء فنهى الله المؤمنين ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الآية وصفهم بأوصاف ثلاثة أولها البطر وهو الطغيان فى نعمه ويقال أيضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على أبناء الزمان فذاك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية أو هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون عن سبيل الله أى يمنعون جل عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدى معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم أو يكون الكل أحوالا على تاويل

ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقيا على ماء بدر من يسقى لهم كلهم فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاسروهم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر منازل القوم والعير فقال اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم هو أبو سفيان أسفل منكم على شاطئ البحر واختلفت القراء فى قراءة قوله اذ أنتم بالعدوة فقرأ ذلك عامة قراء المدنيين والكوفيين بالعدوة بضم العين وقرأه بعض المكيين والبصريين بالعدوة بكسر العين وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ينشد بيت الراعى

وعينان حمروماء أقيهما * كما نظر العدوة الجؤذر

بكسر العين من العدوة وينشد بيت أوس بن حجر

وفارس لونحل الخيل عدوته * ولو اسراعا وماهموا باقبال

القول فى تاويل قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى تعالى ذكره ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم لاختلفتم فى الميعاد لكثرة عدد عدوكم وقلة عددكم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله وهلاك أعدائه واعدائهم ببدر بالقتل والاسر كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم لما لقيتموهم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمر بن اسحق قال أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقت السقاة قال ونظر الناس بعضهم لبعض **القول فى تاويل قوله** (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم) يقول تعالى ذكره ولكن الله جمعهم هنالك ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة وهذه اللام فى قوله ليهلك مكررة على اللام فى قوله ليقضى كانه قال ولكن ليهلك من هلك عن بينة جمعكم وبعنى بقوله ليهلك من هلك عن بينة ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتها له وقطعت عذره وغيره قد عاينها وراآها ويحيى من حى عن بينة يقول وليعش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك وقال ابن اسحق فى ذلك بما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليهلك من هلك عن بينة لما رأى من الآيات والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك واما قوله وان الله لسميع عليم فان معناه وان الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه فى منامه ويريكم عدوكم فى أعينكم قليلا وهم كثير وبراكم عدوكم فى أعينهم كثيرا عليم بما تضمره نفوسكم وتنطوى عليه قلوبكم حينئذ وفى كل حال يقول

بطرين مرائين صادين أو يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي (٩) لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث

جل ثناؤه لهم ولعباده واتقوا ربكم أيها الناس في منطقكم ان تنطقوا بغير حق وفي قلوبكم ان تعتقدوا فيها غير الرشد فان الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن ۞ القول في تاويل قوله (اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور) يقول تعالى ذكره وان الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك عليم بما يضمرونه اذ يريك الله عدوك وعدوهم في منامك قليلا يقول يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم وجرؤا على حرب عدوهم ولو أراك ربك عدوك وعددهم كثيرا الفشل أصحابك فجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا انه عليم بما تخفيه الصدور لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب وقد زعم بعضهم ان معنى قوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا أي في عينك التي تنام بها فصير المنام هو العين كانه أراد اذ يريكهم الله في عينك قليلا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ يريكهم الله في منامك قليلا قال أراهم الله اياهم في منامه قليلا وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يريكهم الله في منامك قليلا الآية فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم واختلف أهل التأويل في تاويل قوله ولكن الله سلم فقال بعضهم معناه ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن الله سلم يقول سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم وقال آخرون بل عنى ذلك ولكن الله سلم أمره فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولكن الله سلم قال سلم أمره فيهم وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عباس وهو ان الله سلم القوم بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم في منامه من الفشل والتنازع حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم وذلك ان قوله ولكن الله سلم قال سلم عقيب قوله ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر فالذي هو أولى بالخبر عنه انه سلمهم منه جل ثناؤه مما كان مخوفا منه لو لم يرنبيه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم في منامه ۞ القول في تاويل قوله (واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور) يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم اذ يري الله نبيه في منامه المشركين قليلا واذ يريهم الله المؤمنين اذ لقوهم في أعينهم قليلا وهم كثير عددهم ويقلل المؤمنين في أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم كما حدثني ابن بزيع البغدادي قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم هم قال ألفا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا قال ابن مسعود قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل نراهم يكونون مائة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا

بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان أبا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرئاء فذكر بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيها وأما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار أقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين معناه واذكر اذ زين أو هو معطوف على ما قبله من النعم وأقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان أحدهما ان الشيطان زين بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجرؤهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين أرادوا المسير الى بدر ذكروا التي بينهم وبين بني كنانة من الحرب فلم يامنوا ان ياتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشيطان معه راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس أي لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب الا اياكم لانتصب كما يقال لا ضارب اليوم زيدا وانى جار لكم أي مجيركم من بني كنانة أو من كل عدو

يغرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان أى التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه (١٠) والنكوص الاحجام عن الشئ أى رجع وقال انى برئ منكم قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذ لنا فى هذه الحالة فقال انى أرى مالا ترون أى من نزول الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه الشيطان وفى الحديث ماروئى ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا مارأى يوم بدر أما قوله انى أخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان الوقت الذى أنظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى أرى مالا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول أو لا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد قوم من قريش أسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قوم منافقين كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة أقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر غرهؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه أخرج ثلثمائة وثلاثة عشر الى زهاء ألف وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد أن هؤلاء يسعون فى قتل أنفسهم رجاء ان يجعلوا أحياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على

أسباط عن السدى قال قال ناس من المشركين ان الغير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال ياقوم لا تقتلوهم بالسلاح ولكن خذوهم أخذا فاربطوهم بالحبال يقوله من القدرة فى نفسه وقوله ليقضى الله أمرا كان مفعولا يقول جل ثناؤه فلا تقتلوهم أيها المؤمنون فى أعين المشركين وأريتكموهم فى أعينكم قليلا حتى يقضى الله بينكم ماقضى من قتال بعضكم بعضا واظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وذلك أمر كان الله فاعله و بالغا فيه أمره كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته والى الله ترجع الامور يقول جل ثناؤه مصير الامور كلها فى الآخرة فيجازى أهلها على قدر استحقاقهم المحسن باحسانه والمسئ باساءته ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الايمان به السيرة فى حرب أعدائه من أهل الكفر به والافعال التى ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم ثم يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الادبار هاربين الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة منكم واذكروا الله كثيرا يقول فادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم واشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره لعلكم تفلحون يقول كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم و يرزقكم الله النصر والظفر عليهم كما **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون افترض الله ذكره عند أشغل مايكونوا عند الضراب والبسيوف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يقاتلونكم فى سبيل الله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا اذكروا الله الذى بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون ۞ القول فى تاويل قوله (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما فى شئ ولا تنازعوا فتفشلوا يقول ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم وهذا مثل يقال للرجل اذا كان مقبلا لما يحبه ويسر به الريح مقبلة عليه يعنى بذلك مايحبه ومن ذلك قول عبيد بن الابرص

كما حينالك يوم النفق من شطب * والفضل للقوم من ريح ومن عدد

يعنى من الناس والكثرة وانما يراد به فى هذا الموضع وتذهب قلوبكم و باسكم فتضعفوا و يدخلكم الوهن والخلل واصبروا يقول اصبروا مع نبى الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنه وتتركوه ان الله مع الصابرين يقول اصبروا فانى معكم وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصركم قال وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد **حدثنا** ابن بشير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتذهب ريحكم فذكر نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه الا أنه قال ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا

اسباط

الله بكل أمره اليه و يثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوى الكثير حكيم وصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه
* التأويل واعلموا يا أهل الجهاد الا كبران ما غنمتم عند رفع الحجب من أنوار المشاهدات (١١) وأسرار المكاشفات فلكم أربعة أخماسه

أسباط عن السدى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال حربكم وجدكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتذهب ريحكم قال ريح الحرب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وتذهب ريحكم قال الريح النصر لم يكن النصر قط الا بريح يرسل بعثها الله تضرب وجوه العدو فاذا كان ذلك لم يكن لهم قوام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم فيذهب جدكم واصبروا ان الله مع الصابرين أى انى معكم اذا فعلتم ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنازعوا فتفشلوا قال الفشل الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم فذلك الفشل ۞ القول فى تاويل قوله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا و رئاء الناس و يصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) وهذا تقدم من الله جل ثناؤه الى المؤمنين به وبرسوله أن لا يعملوا عملا الا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من المشركين فى مسيرهم الى بدر طلب رياء وذلك انهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل لهم انصرفوا فقد سلمت العير التى جئتم لنصرتها فابوا وقالوا والله لا نأتى بدرا فننشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتعد بنا العرب فيها فسقوا مكان الخمر كؤس المنايا كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال كانت قريش قبل ان يلقاهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه انا قد أحرزنا القوم فارجعوا فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يامرون قريشا بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدرا فنقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فانه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قال الله الذين خرجوا من ديارهم بطرا و رئاء الناس والتقواهم والنبى صلى الله عليه وسلم ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المؤمنين منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق فى حديث ذكره قال ثنى محمد بن مسلم وعاصم بن عمر وعبد الله بن أبى بكر و يزيد ابن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس قال لما رأى أبو سفيان انه أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم و رجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا ونحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا قال ابن حميد ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا و رئاء الناس أى لا تكونوا كابى جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع حتى نأتى بدرا ونحر به الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أى لا يكونن أمركم رئاء الناس ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم وموازرة نبيكم أى لا تعملوا الا لله ولا تطلبوا غيره حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين خرجوا من ديارهم بطرا و رئاء الناس قال اصحاب بدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله و رئاء الناس قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير قال هم مشركو قريش وذلك خروجهم الى بدر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا

تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقونها خسبها فى الله مخلصا وللرسول متابعا ولذى القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى أهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين تمسكوا بايدى الارادة باذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم فى متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا و بما أنزلنا على عبدنا فى سفر فاوحى الى عبده ما أوحى يوم الفرقان الذى فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والله على كل شئ قدير فيقدر على ان يوصلكم فى متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الغناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ أنتم أيها الصادقون فى الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى أى الارواح باقصى عالم الملكوت بارزة والركب أسفل منكم يعنى لهيا كل والقوالب فى أسفل سافلى الطبيعة ولو تواعدتم أيها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم فى الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضى الله أمرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التى

استعدلها فهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيى من حى عن بينة له فالاشقياء يبقون فى سجين الطبيعة ونار القطيعة وأما السعداء فارواحهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعى الى ربك ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلى فى عبادى وأبدانهم فى

جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والآصال عليم بمن يستحق الاذلال ويستأهل الاجلال
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة (١٢) ليدل على قلتهم في المعنى لغشلتم على عادة طبع الانسان ولكن الله سلم انه عليم

تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعني المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط قال كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر وقد قيل لهم يومئذ ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم فقالوا لا والله حتى تحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم ان قريشا أقبلت بفخرها وخيلائها تحادك ورسولك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال ذكر المشركين ومايطعمون على المياه فقال لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين خرجوا من ديارهم بطرا قال هم المشركون خرجوا الى بدر أشرا وبطرا **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال لما خرجت قريش من مكة الى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فانزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط فتاويل الكلام اذا ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك اخلاص العمل لله واحتساب الاجر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومراآة الناس برأيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الاسلام بقتالهم اياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الايمان بالله والله بما يعملون من الرياء والصد عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم محيط يقول عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه منه شئ وذلك ان الاشياء كلها له متجلية لا يعزب عنه منها شئ فهو لهم بها معاقب وعليها معذب ۞ القول في تاويل قوله (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب) يعني تعالى ذكره بقوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وحين زين لهم الشيطان أعمالهم وكان تزيينه ذلك لهم كما **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال خرج ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده فولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة تزعم انك لنا جار قال انى أرى مالا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال أتى المشركين ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني الشاعر ثم المدلجي فجاء على فرس فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس فقالوا ومن أنت قال أنا جاركم سراقة وهؤلاء كنانة قد أتوكم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت

البشري ويقللكم في أعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملائكة اذا لقيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما أنتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم وتركوا الدنيا ودار البلاء وزاروا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعه في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق أهل اللامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وأمداد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها نكص على عقبيه زهق باطله وصار مخالفا للنفس كما قال انى برئ منكم انى أرى مالا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من القلوب ولو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لاحرقه ولهذا قال انى أخاف الله وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه أرحم الراحمين (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا

بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى الذى
يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون

وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما
تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة (١٣) فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم
لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم وآخرين من
دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما
تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف
اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه
هو السميع العليم وان يريدوا أن
يخدعوك فان حسبك الله هو
الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين
وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في
الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم
ولكن الله ألف بينهم انه عزيز
حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن
اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي
حرض المؤمنين على القتال ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا
ألفا من الذين كفروا بانهم قوم
لا يفقهون الآن خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله
والله مع الصابرين) القراآت تتوفى
بتاء التأنيث شامي الباقون
بالتذكير ولا يحسبن بياء الغيبة
ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص
والمفضل الآخرون بتاء الخطاب
انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر
السين أبو بكر وجاد ترهبون
بالتشديد رويس الباقون
بالتخفيف من الارهاب وان يكن
منكم بالياء التحتانية أبو عمرو
وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة
وعلي وخلف الباقون بالتاء
الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول ضعفاء بالمد جعفر يزيد وقرأ حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان لم
يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف * الوقوف كفروا الآن فاعلي يتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلا

الذي بينها وبين بكر يعني من الحرب فكاد ذلك ان يثبطهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن
جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال أنا جار لكم من ان تاتيكم كنانة بشئ تكرهونه
فخرجوا سراعا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق في قوله واذ زين لهم الشيطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبيهه
بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التي كانت
بينهم يقول الله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد
أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال اني بري ء منكم اني أرى ما لا ترون
وصدق عدو الله انه رأى ما لا يرون وقال اني أخاف الله والله شديد العقاب فاوردهم ثم أسلمهم
قال فذكر لي انهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه حتى اذا
كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذي رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحي
فذكر أحدهما فقال أين سراقة أسلمنا عدو الله وذهب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الى قوله شديد العقاب قال ذكر لنا
انه رأى جبريل نزل معه الملائكة فزعم عدو الله حين رأى الملائكة وقال اني أرى ما لا ترون اني أخاف
الله وكذب والله عدو الله ما به مخافة الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له وتلك عادة عدو الله ان أطاعه
واستقاده حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم أشر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك **حدثني** القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية
قال لما كان يوم بدر سار ابليس براياته وجنوده مع المشركين وألقى في قلوب المشركين ان أحدا لن
يغلبكم وانى جار لكم فلما التقوا نظر الشيطان الى امداد الملائكة نكص على عقبيه قال ورجع مدبرا
قال اني أرى ما لا ترون الآية **حدثنا** أحمد بن الفرج قال ثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن
الماجشون قال ثنا مالك عن ابراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما رؤي ابليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما
يرى من تنزل الرحمة والعفو عن الذنوب الا ما أري يوم بدر قال يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أما
انه رأى جبريل ينزع الملائكة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سليمان
ابن المغيرة عن حميد بن هلال عن الحسن في قوله اني أرى ما لا ترون قال رأى جبريل معتجرا ببرد
يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام ما ركب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا هاشم
ابن القاسم قال ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال قال الحسن وتلا هذه الآية واذ زين
لهم الشيطان أعمالهم الآية قال سار ابليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده وألقى في قلوب
المشركين ان أحدا لن يغلبكم وأنتم فئتان على دين آبائكم وان تغلبوا كثرة فلما التقوا نكص
على عقبيه يقول رجع مدبرا وقال اني بري ء منكم اني أرى ما لا ترون يعني الملائكة **حدثني**
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال لما أجمعت قريش على السير
قالوا انما نخوف من بني بكر فقال لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم أنا جار لكم من بني بكر
ولا غالب لكم اليوم من الناس فتأويل الكلام وان الله لسميع عليم في هذه الاحوال وحين زين
لهم الشيطان خروجهم اليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم وحسن ذلك لهم وحثهم عليكم وقال
لهم لا غالب لكم اليوم من بني آدم فاطمئنوا وابشروا واني جار لكم من كنانة ان تاتيكم من ورائكم
فتغير كم أجيركم وأمنعكم منهم ولا تخافوهم واجعلوا حدكم وباسكم على محمد وأصحابه فلما تراءت الفئتان

النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون أن يتوفاهم الله بلا واسطة وأدبارهم ج لحق الاضمار أي يقولون ذوقوا الحريق ه للعبيد ه
لا لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم (١٤) ط بذنوبهم ط العقاب ه بانفسهم لا لعطف ان على ان عليم ه لا للكاف من

قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون ج لان الواو يصلح للاستئناف والحال ظالمين ه لا يؤمنون ج لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الضم لا يتقون ه يذكرون ه على سواء ط الخائنين لاسبقوا ط لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون ه من دونهم ج لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستئناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون ه على الله ط العليم ة حسبك الله ط بين قلوبهم الاول ط بينهم ط حكيم ة من المؤمنين ه على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ه ضعفا ج مائتين ج باذن الله ط الصابرين ه

* التفسير لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح أحوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا يتوفى في الخاصية اذ واذ نصب على الظرف قاله في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى لو رأيت أو عاينت أو شاهدت وقت قبض الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا فظيعا يضربون وجوههم وأدبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضو بن بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما أقبل منهم وما أدبر وذلك ان المشركين كانوا اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا أدبارهم فلاجرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج أرواحهم ومعنى عذاب الحريق مقدمة عليه عذاب النار أو عذاب النار نفسها في الآخرة تبشيرا لهم بذلك عن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك

يقول فلما تراجعت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ونظر بعضهم الى بعض نكص على عقبيه يقول رجع القهقرى على قفاه هاربا يقال منه نكص ينكص وينكص نكوصا ومنه قول زهير

هم يضربون جبين البيض اذ لحقوا * لا ينكصون اذا ما استلحموا وجوا

وقال للمشركين اني بريء منكم اني أرى مالا ترون يعني انه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين والمشركون لا يرونهم اني أخاف عقاب الله وكذب عدو الله والله شديد العقاب ۞ القول في تأويل قوله (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم في هذه الاحوال اذ يقول المنافقون وكر بقوله اذ يقول المنافقون على قوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا والذين في قلوبهم مرض يعني شك في الاسلام لم يصح يقينهم ولم تشرح بالايمان صدورهم غر هؤلاء دينهم يقول غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم وذلك الاسلام وذكر ان الذين قالوا هذا القول كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالاسلام من مشركي قريش ولم يستحكم الاسلام في قلوبهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال كان ناس من أهل مكة تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم حدثني أبو اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد في قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال فئة من قريش الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قد موا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين قال معمر وقال بعضهم قوم كانوا أقروا بالاسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الى قوله فان الله عزيز حكيم قال رأوا عصابة من المؤمنين تشرد لامر الله وذكر لنا ان أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال والله لا يعبد الله بعد اليوم فسبوه وعتوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال ناس كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر وهم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال لما دنا القوم بعضهم من بعض فقلل الله المسلمين في أعين المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم وظنوا انهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك فقال الله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم وأما قوله ومن يتوكل على الله فان معناه ومن يسلم أمره الى الله ويثق به ويرض بقضائه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شيء ولا يقهره أحد فجاره منيع ومن يتوكل

بما قدمت أيديكم الآية قدمر تفسيرها في آخر آل عمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما أنزله باهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر ان هذه سنة في فرق الكفرة كلهم فقال كدأب آل فرعون (١٠) يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه

عليه يكف وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم ان يفوضوا أمرهم اليه ويسلموا لقضائه كيما يكفيهم أعداءهم ولا يستذلهم من ناواهم لانه عزيز غير مغلوب جاره غير مقهور حكيم يقول هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم لا يدخل تدبيره خلل ۞ القول في تاويل قوله (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو تعاين يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم تضرب الوجوه منهم والاستاه ويقولون لهم ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم قال يوم بدر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أسلم عن اسمعيل بن كثير عن مجاهد يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكني حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكني حدثني محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال أخبرنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال ان الله كني ولو شاء لقال أستاههم وانما عنى بادبارهم أستاههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أستاههم يوم بدر قال ابن جريج قال ابن عباس اذا أقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن قال قال رجل يا رسول الله اني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فماذاك قال ضرب الملائكة حدثنا محمد قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن منصور عن مجاهد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فندر رأسه فقال سبقك اليه الملك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني جرملة انه سمع عمر مولى عفرة يقول اذا سمعت الله يقول يضربون وجوههم وأدبارهم فانما يريد استاههم قال أبو جعفر وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره وهو قوله و يقولون ذوقوا عذاب الحريق حذفت يقولون كما حذفت من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا بمعنى يقولون ربنا أبصرنا ۞ القول في تاويل قوله (ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر انهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم من الآثام والاوزار واجترمتم من معاصي الله أيام حياتكم فذوقوا اليوم العذاب وفي معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بان الله ليس بظلام للعبيد لا يعاقب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه ولا يعذبه الا بمعصيته اياه لان الظلم لا يجوز ان يكون منه وفي فتح ان من قوله وان الله وجهان من الاعراب أحدهما النصب وهو العطف على ما التي في قوله بما قدمت بمعنى ذلك بما قدمت أيديكم وبان الله ليس بظلام للعبيد في قول بعضهم والخفض في قول بعض والآخر الرفع على ذلك بما قدمت وذلك أن الله ۞ القول في تاويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب) يقول تعالى ذكره فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذب بحجج الله ورسله من

كعادة آل فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي أولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي أنزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الآية ان ذلك العذاب أو الانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمته على قوم حتى يغيروا ما بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم أبواب الخيرات وأزال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع للاقوال عليم بالاحوال فيجزي كل فريق بما يستأهله ثم ذكر مرة أخرى قوله كدأب آل فرعون وفي التكرير بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت و يشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت أنسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كدأب آل فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كدأب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله و بالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل برد آيات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا الكفار قريش أي كفروا بآيات الله

كذب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كذب آل فرعون ومعنى ان الاول اشارة الى انهم أنكروا دلائل الالهية فكان لازمة الاتخاذ والثانى اشارة الى انهم أنكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله وكل كانوا ظالمين أى وكل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش ومن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمى أنفسهم بالكفر والمعاصى وظالمى غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الآية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وأشار الى هذا بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود وأشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف أى الذين عاهدتهم وهم بعض أولئك الكفرة يعنى الاشراف الذين معهم تليق المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضى لفائدة الاستمرار وان من شأنهم نقض العهد فى كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا وأعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم أمر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب أى ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه أكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير فى لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه أحد بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء

الامم الخالية قبلهم فعلنا بهم كفعلنا بأولئك وقد بينا فيما مضى ان الدأب هو الشان والعادة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع **حدثنى** الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا شيبان عن جابر عن عامر ومجاهد وعطاء كداب آل فرعون كفعل آل فرعون كسنن آل فرعون وقوله فاخذهم الله بذنوبهم يقول فعاقبهم الله بتكذيبهم حجج الله ورسله ومعصيتهم ربهم كما عاقب اشكالهم والامم الذين قبلهم ان الله قوى لا يغلبه غالب ولا يرد قضاءه راد ينفذ أمره ويمضى قضاءه فى خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وأن الله سميع عليم) يقول تعالى ذكره وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم بانهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم باخراجهم اياه من بينهم وتكذيبهم له وخروجهم اياه فغيرنا نعمتنا عليهم باهلاكنا اياهم كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يقول نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش وكفروا فنقله الى الانصار وقوله وان الله سميع عليم يقول لا يخفى عليه شئ من كلام خلقه يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر عليم بما تضمره صدورهم وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ۞ القول فى تاويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يقول تعالى ذكره غير هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر المغيرون نعمة ربهم التى أنعم بها عليهم بابتعاثه محمدا منهم وبين أظهرهم داعيا لهم الى الهدى بتكذيبهم اياه وخروجهم له كدأب آل فرعون كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبى الله فى تكذيبهم اياه وقصدهم لحربه وعاده من قبلهم من الامم المكذبة رسلها وصنيعهم فاهلكناهم بذنوبهم بعضا بالرجفة وبعضا بالخسف وبعضا بالريح وأغرقنا آل فرعون فى اليم وكل كانوا ظالمين يقول كل هؤلاء الامم التى أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر اذ غيروا نعمة الله عندهم بالقتل والسيف واذللنا بعضهم بالاسار والسبا ۞ القول فى تاويل قوله (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون يقول فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرون بوحيه وتنزيله ۞ القول فى تاويل قوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون) يقول تعالى ذكره ان شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم يا محمد يقول أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوا دافعوك ومحاربوك فظاهروا عليك وهم لا يتقون الله ولا يخافون فى فعلهم ذلك ان يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم كالذى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم قال قريظة مالؤا على محمد يوم الخندق أعداءه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ۞ القول فى تاويل قوله (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاما تلقين

على طريق مستو قصداي أخبرهم اخبارا مكشوفا بأنينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في

تلين في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة فباشرهم فشردبهم من خلفهم يقول فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد والتشريد التطريد والتبديد والتفريق وانما أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم اذا قدر عليهم فعلا يكون اخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد حتى لا يجترؤا على مثل الذي اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية من نقض العهد ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم يعني نكل بهم من بعدهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من وراءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول عظ بهم من سواهم من الناس حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدو لعلهم يحذرون ان ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فشرد بهم من خلفهم قال أنذر بهم من خلفهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال نكل بهم من خلفهم من بعدهم قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير نكل بهم من وراءهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم اعلهم يذكرون أي نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من بعدهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قال أخفهم بما يصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وأما قوله لعلهم يذكرون فان معناه كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصف صفتهم فيحذر وانقض العهد الذي بينك وبينهم خوفا ان ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء اذا هم نقضوه ۞ القول في تأويل قوله (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) يقول تعالى ذكره واما تخافن يا محمد من عدوك بينك وبينه عهد وعقد ان ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك وذلك هو الخيانة والغدر فانبذ اليهم على سواء يقول فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك اياهم انك قد نسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء من العلم بانك لهم محارب فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر ان الله لا يحب الخائنين الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه ان يغدر به فيصار به قبل اعلامه اياه انه له حرب وانه قد فاسخه العقد فان قال قائل وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظن لا يقين قيل ان الامر بخلاف ما اليه ذهبت وانما معناه اذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك وخفت وقوعهم بك فالق اليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب وذلك كالذي كان من بني قريظة اذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معه بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة فكانت اجابتهم اياه الى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به

كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ أي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شأن العهد اذ ذاك أو عن انكشاف حاله في النبذ قال أهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما أن تظهر ظهورا يحتمل أو ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في الآية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب أما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في أذيته مبلغا عظيما فقال لا تحسبن من قرأ بتاء الخطاب فمفعوله الاول الذين كفروا وثانيه سبقوا أي فاتوا وأفلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له لان المكسورة على طريقة الاستئناف كأن سائلا سأل مالهم لا يحسبون

سابقين فاجيب بما أجيب والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف أي لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أعجزت فلانا وعجزته جعلته أو وجدته عاجزا والمراد لا يحسبنهم انهم

لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا وآجلا ومن قرأ بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعولاه سبقوا على ان الاصل ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم أولا يحسبن أنفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف أي ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة أمرهم الله ان لا يعودوا لمثله ويتأهبوا للقتال الاعداء فقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والاصح أنها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر انه بمعنى المرابط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب ان ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد روي عن ابن سيرين انه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر سبقوا

ولقد علمت على تونى الردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها أولى بالربط لتعيد النسل

و باصحابه منهم فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لامام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها فحق على امام المسلمين ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب ومعنى قوله على سواء أي حتى يستوي علمك وعلمهم بان كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم وقيل نزلت الآية في قريظة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانبذ اليهم على سواء قال قريظة وقد قال بعضهم السواء في هذا الموضع المهل ذكر من قال ذلك حدثني علي ابن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال انه مما تبين لنا ان قوله فانبذ اليهم على سواء انه على مهل كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان قال الله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واما أهل العلم بكلام العرب فانهم في معناه مختلفون فكان بعضهم يقول معناه فانبذ اليهم على عدل يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز

واضرب وجوه الغدر الاعداء * حتى يجيبوك الى السواء

يعني الى العدل وكان آخرون يقولون معناه الوسط من قول حسان

يا ويح أنصار الرسول ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد

يعني في وسط الملحد وكذلك هذه المعاني متقاربة لان العدل وسط لا علو فوق الحق ولا يقصر عنه وكذلك الوسط عدل واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة عدل من الفعل ووسط وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من ان معناه المهل فما لا أعلم له وجها في كلام العرب

القول في تأويل قوله (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم والتاء في تحسبن بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا فاتونا بانفسهم ثم ابتدأ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل ان هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم اذا طلبهم وأراد تعذيبهم واهلاكهم بانفسهم فيفوتونه بها وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة ولا يحسبن الذين كفروا بالياء في يحسبن وكسر الالف من انهم وهي قراءة غير جيدة لمعنيين أحدهما خروجها من قراءة القراء وشذوذها عنها والآخر بعدها من فصيح كلام العرب في ذلك اذ يحسب يطلب في كلام العرب منصوبا وخبره كقولهم عبد الله يحسب أخاك قائما ويقوم وقام فقارئ هذه القراءة أصحب يحسب خبرا لغير مخبر عنه مذكور وانما كان مراده بظني ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون ونافلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه واستعجل في قراءته ذلك كذلك فاظهر له من مفهوم الكلام واحسب ان الذي دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله وذلك انه فيما ذكر في مصحف عبد الله ولا تحسبن الذين كفروا انهم سبقوا انهم لا يعجزون وهذا فصيح صحيح اذا أدخلت أنهم في الكلام لان يحسبن عاملة في أنهم واذا لم يكن في الكلام انهم كانت خالية من اسم يعمل فيه والذي قرأ ذلك من القراء وجهان في كلام العرب وان كانا بعيدين من فصيح كلامهم احدهما ان يكون أريد به ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا أي انهم سبقوا ثم حذف ان وانهم كما قال جل ثناؤه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا بمعنى ان يريكم وقد ينشد في نحو ذلك بيت لذي الرمة

أظن ابن طرثوث عينة ذاهبا * يعادني بكذابه وجعائله

بمعنى أظن ابن طرثوث ان يذهب يعادني بكذابه وجعائله وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء بوجه

وقيل هي الخيول لانها أقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر مالاجله أمر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به أي بما استطعتم عدو الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تأهب المسلمين للقتال لم يجسروا عليهم (١٩) وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة وآخرين من دونهم يريد بالاولين أهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجاوبه قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا وأجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون في أنفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم أهل فارس وروى ابن جريج عن سلمان بن موسى انهم كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولادارا فيها فرس عتيق وروى ان سهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالآخرين أعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم آخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم أي ثوابه وأنتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم رخص في المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الآية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم يؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب أو بتأويل الخصلة أو الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله أو بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى أن يقال انها ثابتة فليس بحتم أن يقاتل المشركون أبدا او يجابوا الى الهدنة أبدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام ودونه فاذا رأى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد أو لقلة المال وبعد العدو وقد تكون مع القوة للطمع في اسلامهم أو قبول الجزية اذا خالطوا المسلمين أو بان يعينوه على قتال غيرهم واما

سبقوا الى سابقين على هذا المعنى والوجه الثاني على انه أراد اضمار منصوب بيحسبن كانه قال ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا ثم حذف الهمز واضمر وقد وجه بعضهم معنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه انما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه وان ذكر المؤمن مضمر في قوله يخوف اذ كان الشيطان عنده لا يخوف أولياءه وقرأ ذلك بعض أهل الشام ولا تحسبن الذين كفروا بالتاء من تحسبن سبقوا انهم لا يعجزون بفتح الالف من انهم بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا انهم لا يعجزون ولا وجه لهذه القراءة يعقل الا أن يكون أراد القارئ بلا التي في يعجزون لا التي تدخل في الكلام حشوا وصلة فيكون معنى الكلام حينئذ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم يعجزون ولا وجه بتوجيه حرف في كتاب الله الى التطول بغير حجة يجب التسليم لها وله في الصحة مخرج * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ ولا تحسبن بالتاء الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم لا يعجزون بمعنى ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بانفسهم ففاتونا انهم لا يعجزوننا ولا يفوتونا بانفسهم ولا يقدرون على الهرب منا كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون يقول لا يفوتون ۞ القول في تاويل قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) يقول تعالى ذكره وأعدوا أيها المؤمنون لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهدا اذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة يقول ما أطعتم ان تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم يقول تخيفون به عدو الله وعدوكم من المشركين وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل من جهينة يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان الرمي هو القوة حدثنا أبو كريب قال ثنا سعيد ابن شرحبيل قال ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب وعبد الكريم بن الحرث عن أبي علي الهمداني انه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الاوانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ثلاثا حدثنا أبو كريب قال ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو اسامة وأبو نعيم عن اسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن عامر الجهني قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ثلاث مرات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر فذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى ابن عبيدة عن أخيه محمد بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن شعبة بن دينار عن عكرمة في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الحصون ومن رباط الخيل قال الاناث حدثنا علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة قال اتى رجل مجاهدا بمكة ومع مجاهد جوالق قال فقال مجاهد هذا من القوة ومجاهد يتجهز للغزو حدثني محمد بن

مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح فى المهادنة فقد قال الشافعى هادن أربعة أشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا فى
الارض أربعة أشهر وذلك كان فى أقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت

الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا أنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استأنف العقد ثم قال وتوكل على الله أى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شأن قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما أمكن ثم ذكر حكما من أحكام المهادنة فقال وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه مبنى على الظاهر كما ان أصل الايمان مبنى على الظاهر ولا تنافى بين هذه الآية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على أمور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم أكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذى أيدك بنصره أى من غير واسطة أسباب معتادة وبالمؤمنين أى بوساطة الانصار ثم بين انه كيف أيده بالمؤمنين فقال وألف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك أشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله لكفرهم على العموم والتأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية

الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل من سلاح وأما قوله ترهبون به عدو الله وعدوكم قال ابن وكيع حدثنا أبى عن اسرائيل عن عثمان بن المغيرة الثقفى عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عثمان عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم وكذا كان يقرؤها ترهبون حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة وخصيف عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به تخزون به حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله يقال منه أرهبت العدو ورهبته فانا أرهبه ارهابا وترهيبا وأرهبته وهو الرهب والرهب ومنه قول طفيل الغنوى

ويل أم حى دفعتم فى نحورهم * بنى كلاب غداة الرعب والرهب

القول فى تأويل قوله (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) اختلف أهل التأويل فى هؤلاء الآخرين من هم وما هم فقال بعضهم هم بنو قريظة ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم يعنى من بنى قريظة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ابن جريج عن مجاهد وآخرين من دونهم قال قريظة وقال آخرون من فارس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم هؤلاء أهل فارس وقال آخرون هم كل عدو للمسلمين غير الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ان يشرد بهم من خلفهم قالوا وهم المنافقون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم قال أخفهم بهم لما صنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله ويغزون معكم وقال آخرون هم قوم من الجن * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ان يقال ان الله أمر المؤمنين باعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل ولا وجه لان يقال عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة وقد عم الله الامر بها فان قال قائل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين ان ذلك مراد به الخصوص بقوله الا ان القوة الرمى قيل له ان الخبر وان كان قد جاء بذلك فليس فى الخبر ما يدل على انه مراد بها الرمى خاصة دون سائر معانى القوة عليهم فان الرمى أحد معانى القوة لانه انما قيل فى الخبر ألا ان القوة الرمى ولم يقل دون غيرها ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم هذا مع وهى سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم فان قول من قال عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب لانه جل ثناؤه قد أدخل بقوله ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الامر بارتباط الخيل لارهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم لعلمهم بانهم مشركون وانهم لهم حرب ولا معنى لان يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنى ذلك ان شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم

لكفرهم بالله ورسوله وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بنى آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم لان بنى آدم لا يرونهم وقيل ان صهيل الخيل يرهب الجن وان الجن لا تقرب دارا فيها فرس فان قال قائل فان المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما ينكر ان يكون عنى بذلك المنافقون قيل فان المنافقين لم يكن ترهبهم خيل المسلمين ولا سلاحهم وانما كان يرهبهم ان تظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يستسرون من الكفر وانما أمر المؤمنون باعداد القوة لارهاب العدو فاما من لم يرهبه ذلك فغير داخل فى معنى من أمر باعداد ذلك له المؤمنون وقيل لا تعلمونهم فاكتفى للعلم بمنصوب واحد فى هذا الموضع لانه أريد لا تعرفونهم كما قال الشاعر

قال فان الله يعلمنى * وانا سوف نلقاه كلانا

القول فى تاويل قوله (وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) يقول تعالى ذكره وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حرب أو كراع أو غير ذلك من النفقات فى جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم فى الدنيا ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة وأنتم لا تظلمون يقول يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا القول فى تاويل قوله (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ اليهم على سواء وآذنهم بالحرب وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان مالوا الى مسالمتك ومتاركتك الحرب اما بالدخول فى الاسلام واما باعطاء الجزية واما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجنح لها يقول فمل اليها وابذل لهم ما مالوا اليه من ذلك وسألوكه يقال منه جنح الرجل الى كذا يجنح اليه جنوحا وهى لغة تميم وقيس فيما ذكر عنها تقول يجنح بضم النون وآخرون يقولون يجنح بكسر النون وذلك اذا مال ومنه قول نابغة بنى ذبيان

جوانح قد أيقن ان قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

جوانح مزايل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان جنحوا للسلم قال للصلح ونسختها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان جنحوا للسلم الى الصلح فاجنح لها قال وكانت هذه قبل براءة كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم الى أجل فاما ان يسلموا واما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك بعد فى براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقاتلوهم كافة ونبذ الى كل ذى عهد عهده فى براءة وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويسلموا ولا يقبل منهم الا ذلك وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون فان براءة جاءت بنسخ ذلك فامر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا وان جنحوا للسلم فاجنح لها نسختها الآية التى فى براءة قوله فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان جنحوا للسلم فاجنح لها يقول وان أرادوا الصلح فارده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم الى الاسلام فصالحهم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان

خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة أمرا سريع التغير كالمال أو الجاه أو اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق للماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل غادما متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كاملا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم متقابلين على المفاخرة والتسابق فى المال والجاه والتعصب والتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين أخرى فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين فى الله ولله انه عزيز حكيم أى قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعى فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان أو على حسب المصالح على اختلاف القولين فى مسئلة الجبر والقدر قال القاضى لولا ألطاف الله تعالى ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وأدبه الى أبيه لاجل أنه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته وأجيب بانه عدول عن الظاهر والآية صريحة فى ان العقائد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبى على دينك ووفقنى لمتابعة نبيك انك قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا أيها النبى حسبك الله ومحل من اتبعك منصوب لانه بمنزلة زيد فى قولك

وحسبك زيد درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم ان يقولوا حسبك وأخيك بل المستعمل أن يقال حسبك وحسب أخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك وحسب من اتبعك ومعنى الآية كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز ان يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فانزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشئ وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنا كانه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المأمور أو كانه يأمره ان يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف وفي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم بعون الله وتأييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الحال لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله الآن خفف الله عنكم والنسخ بالامر أليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الآية

إذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد هذه الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متصرفا للقتال أو متميزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب للواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من

جنحوا للسلم فاجنح لها قال فصالحهم قال وهذا قد نسخه الجهاد فاما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على ان الناسخ لا يكون الا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه فاما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا وقول الله في براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم غير نافٍ حكم قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها الآن قوله وان جنحوا للسلم انما عنى به بنو قريظة وكانوا يهودا أهل كتاب وقد اذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم وأما قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فانما عنى به مشركو العرب من عبدة الاوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس في احدى الآيتين نفي حكم الاخرى بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان جنحوا للسلم قال قريظة وأما قوله وتوكل على الله يقول فوض الى الله يا محمد أمرك واستكفه واثق به انه يكفيك كالذي

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتوكل على الله ان الله كافيك وقوله انه هو السميع العليم يعني بذلك ان الله الذي تتوكل عليه سميع لما تقول أنت ومن يسالمه ويتاركه الحرب من أعدائه وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه ويشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط العليم بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ومن المضمر ذلك منكم في قلبه والمنطوي على خلافه لصالحه ۞ القول في تاويل قوله (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) يقول تعالى ذكره وان يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك ان تنبذ اليهم على سواء ان خفت منهم خيانة وبسالتهم ان جنحوا للسلم خداعك والمكر بك فان حسبك الله يقول فان الله كافيكهم وكافيك خداعهم اياك لانه متكفل باظهار دينك على الاديان ومتضمن ان يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى هو الذي أيدك بنصره يقول الله الذي قواك بنصره اياك على أعدائه وبالمؤمنين يعني بالانصار ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد وان يريدوا ان يخدعوك قال قريظة

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين قال بالانصار ۞ القول في تاويل قوله (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) يريد جل ثناؤه بقوله وألف بين قلوبهم وجمع بين قلوب المؤمنين من الاوس والخزرج بعد التفرق والتشتت على دينه الحق فصيرهم به جميعا بعد ان كانوا أشتاتا واخوانا بعد ان كانوا أعداء وقوله لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو أنفقت يا محمد ما في الارض جميعا من ذهب وورق وعرض ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ولكن الله جمعها على الهدى فالتفت واجتمعت تقوية من الله لك وتاييدا منه ومعونة على عدوك يقول جل ثناؤه والذي فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغاك سوأ هو الذي ان رام عدوك منك مراما يكفيك كيده وينصرك عليه فثق به وامض لامره وتوكل عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وألف بين قلوبهم قال هؤلاء الانصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم

حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بشير بن ثابت رجل من الانصار انه قال في

وعدد النصر فى قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كررت النسبة مرتين لان السرايا التى كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها على العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة (٢٣) وأما فى الكرة الثانية فانما كررت النسبة

هذه الآية لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعنى الانصار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك به اليهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه يعنى الاوس والخزرج **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابراهيم الجزرى عن الوليد بن أبى مغيث عن مجاهد قال اذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما قال قلت لمجاهد بصافحة يغفر لهما فقال مجاهد أما سمعته يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال الوليد لمجاهد أنت أعلم منى **حدثنا** عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد عن ابى عمرو قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ولقيته وأخذ بيدى فقال اذا تراءى المتحابان فى الله فاخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا ليسير قال لا تقل ذلك فان الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه أفقهنى **حدثنى** محمد بن خلف قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا فضيل بن غزوان قال أتيت أبا اسحق فسلمت عليه فقلت أتعرفنى فقال فضيل نعم لولا الحياء منك لقبلتك **حدثنى** ابو الاحوص عن عبد الله قال نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمير بن اسحق قال كانت حدث ان أول ما يرفع من الناس أو قال عن الناس الالفة **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد عن الاوزاعى قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم عن الوليد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة وابن نمير وحفص بن غياث عن فضيل بن غزوان عن ابى اسحق عن أبى الاحوص قال سمعت عبد الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية قال هم المتحابون فى الله وقوله انه عزيز حكيم يقول ان الله الذى ألف بين قلوب الاوس والخزرج بعد تشتت كلمتها وتعاديها وجعلهم لك انصارا عزيزا لا يقهره شئ ولا يرد قضاءه أحد ولكنه ينفذ فى خلقه حكمه يقول فعليه فتوكل وبه فثق حكيم فى تدبير خلقه ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم أمرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن شوذب بن معاذ عى الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله **حدثنى** أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن شوذب عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من معك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن شوذب عن عامر بنحوه الا أنه قال حسبك الله وحسب من شهد معك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله يا أيها النبى حسبك ومن اتبعك من المؤمنين قال يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين ان حسبك أنت وهم الله فمن من قوله ومن اتبعك من المؤمنين على هذا التأويل الذى ذكرناه عن الشعبى نصب عطفا على معنى الكاف فى قوله حسبك الله لا على لفظه لانه فى محل خفض فى الظاهر وفى محل نصب فى المعنى لان معنى الكلام يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين وقد قال بعض أهل العربية فى من انها فى موضع رفع على العطف على اسم الله كانه قال حسبك الله ومتبعوك الى جهاد العدو من المؤمنين

للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤل من العشرات والمائات الى الالوف والله أعلم بمراده ثم بين السبب فى الغلبة فقال بانهم قوم لا يفقهون أى بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة عندهم فى هذه الحياة العاجلة وأيضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه آخر وهو ان أهل العلم والمعرفة يكون لهم فى أعين الناس هيبة وحشمة ويكونون فى أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول جئ المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن فى غربة وعدونا فى أهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وآسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة وثلاثين راكبا فلقى أبا جهل فى ثلثمائة راكب وأرادوا قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن أنيس الى خالد بن سفيان جماعة فانتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لى فقال انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغنى انه جمع لى فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه ودنوت منه وجدت القشعريرة فقال لى من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف وأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت انى قتلته فاعطانى عصاه وقال

امسكها فانها آية بيني و بينك يوم القيامة وقال عكرمة انما أمر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس أيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الآية المتقدمة وأنكر ذلك أبو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم أن فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الآيتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول أبي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى أعلم ومعنى قوله وعلم أن فيكم ضعفا ظهر معلومه فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا * التأويل يضربون وجوههم وأدبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له ألم من جهة الخلف ويقبل على الآخرة ولا نور له يبصر به ما امامه فيحصل له تالم من قدام لم يلتفت مغيرا مبدلا حسن تقديم واستعدادا عطاهم بضده حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد الفطري الذين عاهدت رجل منهم يا روح في الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشر ديار وح بهم من خلقهم أي بالغ في تبديل صفات النفس وفي

دون القاعدين عنك منهم واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله حرض المؤمنين على القتال ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال حث متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين ان يكن منكم عشرون رجال صابرون عند لقاء العدو يحتسبون أنفسهم و يثبتون لعدوهم يغلبوا مائتين من عدوهم و يقهروهم وان يكن منكم مائة عند ذلك يغلبوا منهم ألفا بانهم قوم لا يفقهون يقول من أجل ان المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لانهم لم يفقهوا ان الله موجب لمن قاتل احتسابا وطلب موعود الله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله فهم لا يثبتون اذا صدقوا في اللقاء خشية ان يقتلوا فتذهب دنياهم ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين اذ علم ضعفهم فقال لهم الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا يعني ان في الواحد منهم عن لقاء العشر من عدوهم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة عند لقائهم للثبات لهم يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم باذن الله يعني بتخلية الله اياهم لغلبتهم ومعونته اياهم والله مع الصابرين لعدوهم وعدوه احتسابا في صبره وطلبا لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سفيان عن ليث عن عطاء في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان الواحد لعشرة ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغي له ان يفر منهما حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبي قال ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار فقال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فخفف ذلك عنهم فجعل على الرجل رجلان قال ابن عباس فما أحب ان يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين واعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم نسختها الآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين قال وكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم وان كانوا دون ذلك لم يجب عليهم ان يقاتلوا وجاز لهم أن ينحازوا عنهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له ان يفر منهم فكانوا كذلك حتى أنزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فجيء لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين فنسخ الامر الاول وقال مرة أخرى في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فامر الله الرجل من المؤمنين ان يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك على المؤمنين ورحمهم الله فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين فامر الله الرجل من المؤمنين ان يقاتل رجلين من الكفار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال الى قوله انهم قوم لا يفقهون وذلك انه كان جعل على كل

رجل من المسلمين عشرة من العدو يوشيهم يعني يغريهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو ان الله ناصرهم على العدو ولم يكن أمر اعزمه الله عليهم ولا أوجبه ولكن كان تحريضا ووصية أمر الله بها نبيه ثم خفف عنهم فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ليعلم المؤمنون ان الله بهم رحيم فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا ولو كان عليهم واجبا كفروا اذا بعد كل رجل من المسلمين عمن لقي من الكفار اذا كانوا أكثر منهم فلا يغرنك قول رجال فاني قد سمعت رجالا يقولون انه لا يصلح لرجل من المسلمين ان يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان وحتى يكون على كل رجلين أربعة ثم بحساب ذلك وزعموا انهم يعصون الله ان قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك وانه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة ان يكون على كل رجل رجلان وعلى رجلين أربعة وقد قال الله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وقال الله فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين فهو التحريض الذي أنزل الله عليهم في الانفال فلا يحزنك قائل قد سقطت بين ظهري أناس كما شاء الله ان يكونوا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا قال في سورة الانفال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ثم نسخ فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الى قوله والله مع الصابرين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون قال واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ثم خفف عنهم فجعل عليهم ان لا يفر رجل من رجلين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الى قوله وان يكن منكم مائة قال لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجعل على الرجل منهم عشرة من الكفار فضجوا من ذلك فجعل على الرجل رجلين تخفيفا من الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار وأبي معبد عن ابن عباس قال انما أمر الرجل ان يصبر نفسه لعشرة والعشرة لمائة اذا المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم فامر الرجل ان يصبر لرجلين والعشرة للعشرين والمائة للمائتين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقي عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم وقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين فيقول لا ينبغي أن يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين جعل الله على كل رجل رجلين بعدما كان على كل رجل عشرة وهذا الحديث عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحرث عن عكرمة عن ابن عباس كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا فشق ذلك عليهم فانزل الله التخفيف فجعل على الرجل ان يقاتل الرجلين قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فخفف الله عنهم ونقص من الصبر بقدر ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين يقول يقاتلوا مائتين فكانوا أضعف من ذلك فنسخها الله عنهم فخفف فقال فان يكن منكم مائة صابرة

التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان وعدوكم النفس والهوى وآخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلونهم انهم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم انهم عدو لكم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شيء من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائد من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وألف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو أنفقت ما في أرض وجودك من السعي والجد والاجتهاد لما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله ألف بين الروح وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانساني طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله أعلم (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى

يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم) القراآت ان تكون بالتاء الفوقانية أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد أساري يزيد والمفضل الآخرون أسرى من الاساري يزيد وأبو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى من ولا يتهم بكسر الواو وحمزة الباقون بفتحها * الوقوف في الارض ط لتقدير الاستفهام أي أتريدون الآخرة ط حكيم ه عظيم ه واتقوا الله ط رحيم ه و يغفر لكم ط رحيم ه منهم ط حكيم ه أولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ه أولياء بعض ط كبير ه حقا ط كريم ه منكم ط في كتاب الله ط عليم ه * التفسير هذا حكم آخر من أحكام الجهاد ومعنى ما كان ماصح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن أبي طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها أصحابك وقال عمر كذبوك وأخرجوك قدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني لفلان من نسيب له فلنضرب أعناقهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة

يغلبوا مائتين فجعل أول مرة الرجل بعشرة ثم جعل الرجل لاثنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقي عشرون مائتين ان لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فيقول لا ينبغي ان يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن جويبر عن الضحاك قال كان هذا واجبا أن لا يفر واحد من عشرة وبه قال الثوري عن ليث عن عطاء مثل ذلك واما قوله بانهم قوم لا يفقهون فقد بينا تاويله وكان ابن اسحق يقول في ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بانهم قوم لا يفقهون أي لا يقاتلون على تنبه ولا حق فيه ولا معرفة لخير ولا شر وهذه الآية أعني قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان كان مخرجها مخرج الخبر فان معناها الامر يدل على ذلك قوله الآن خفف الله عنكم فلم يكن التخفيف الا بعد التثقيل ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائتين عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه لان التخفيف انما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو واذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما لم يكن للترخيص وجه اذ كان المفهوم من الترخيص انما هو بعد التشديد واذ كان ذلك كذلك فمعلوم ان حكم قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ناسخ لحكم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا وقد بينا في كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام ان كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء وعلى تركه عقابا وعذابا وان لم يكن خارجا ظاهره مخرج الامر ففي معنى الامر بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * واختلفت القراء في قراءة قوله وعلم أن فيكم ضعفا فقرأ بعض المدنيين و بعض البصريين وعلم ان فيكم ضعفا بضم الضاد في جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وعلم ان فيكم ضعفا بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف وقرأه بعض المدنيين ضعفاء على تقدير فعلاء جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء والرحيم رحماء * وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه وعلم ان فيكم ضعفا وضعفا بفتح الضاد أو ضمها لانهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فاما قراءة من قرأ ذلك ضعفاء فانها عن قراءة القراء شاذة وان كان لها في الصحة مخرج فلا أحب لقارئ القراءة بها ۞ القول في تاويل قوله عز ذكره (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره ما كان لنبي أن يحتبس كافرا قدر عليه وصار في يده من عبدة الاوثان للفداء أو للمن والاسر في كلام العرب يقال منه ماسور يراد به محبوس ومسموع منهم أبى الله أسرا وانما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه ان قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم واطلاقهم وقوله حتى يثخن في الارض يقول حتى يبالغ في قتل المشركين فيها و يقهرهم عليه قيسمر يقال منه أثخن فلان في هذا الامر اذا بالغ فيه وحكى أثخنته معرفة بمعنى قتلته معرفة تريدون يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا باسركم المشركين وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع يقول تريدون باخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطمعها والله يريد الآخرة يقول الله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين

وأهل ولايته فى جنانه بقتلكم اياهم فى اثخانكم فى الارض يقول لهم واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا الاما تدعوكم اليه أهواء أنفسكم من الرغبة فى الدنيا وأسبابها والله عزيز يقول ان أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدوكم لان الله عزيز لا يقهر ولا يغلب وانه حكيم فى تدبيره أمر خلقه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل الله النبى والمؤمنين فى أمر الاسارى بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا الآية قال أراد أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء فعادوهم باربعة آلاف ولعمرى ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان أول قتال قاتله المشركين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حبيب ابن أبى عمرة عن مجاهد قال الاثخان القتل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن الاعمش عن سعيد بن جبير فى قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض قال اذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل قال حدثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد ما كان لنبى أن تكون له أسرى الآية نزلت الرخصة بعد ان شئت فمن وان شئت ففاد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض يعنى الذين أسروا ببدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان لنبى أن تكون له أسرى من عدوه حتى يثخن فى الارض أى يثخن عدوه حتى ينفيهم من الارض تريدون عرض الدنيا أى المتاع والفداء باخذ الرجال والله يريد الآخرة بقتلهم لظهور الدين الذى يريدون اطفاءه الذى به تدرك الآخرة حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر وجىء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى هؤلاء الاسرى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأنهم لعل الله أن يتوب عليهم قال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا قال فقال له العباس قطعت رحمك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ناخذ بقول أبى بكر وقال ناس ناخذ بقول عمر وقال ناس ناخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال من تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك الآية ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم أخوف ان تقع على الحجارة من السماء منى من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء فانزل الله ما كان لنبى

وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وروى انهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذ الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل أحب الى واعلم ان الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا فى هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبى تصريح فى النهى وقد حصل الاسر بدليل قل لمن فى أيديكم من الاسرى الثانى انهم أمروا بالقتل يوم بدر فى قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية وأجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان أمر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا فى الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والالم يتوجه الذم فى قوله تريدون عرض الدنيا أى حطامها سمى بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر والله يريد الآخرة أى ثوابها أو ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل فى

أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى آخر الثلاث آيات حدثنا ابن بشار قال ثنا عكرمة ابن عمار قال ثنا أبو زميل قال ثنى عبد الله بن عباس قال لما أسروا الاسارى يعنى يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبو بكر وعمر وعلى قال ماترون فى الاسارى فقال أبو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة وأرى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى ياابن الخطاب فقال لا والذى لا اله الا هو ما أرى الذى رأى أبو بكر يانبى الله ولكن أرى أن تمكننا منهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكننى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال أبو بكر ولم يهو ماقلت قال عمر فلما كان من الغد جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يارسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى للذى عرض على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله حلالا طيبا وأحل الله الغنيمة لهم ۞ القول فى تاويل قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره لاهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الاسرى الفداء لولا كتاب من الله سبق يقول لولا قضاء من الله سبق لكم فى أهل بدر فى اللوح المحفوظ بان الله محل لكم الغنيمة وان الله قضى فيما قضى انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون وانه لا يعذب أحدا شهد المشهد الذى شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا دين الله لنالكم من الله باخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله لولا كتاب من الله سبق الآية قال ان الله كان مطعم هذه الامة الغنيمة وانهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل ان يؤمروا به قال فعاب الله ذلك عليهم ثم أحله الله حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله لولا كتاب من الله سبق الآية وذلك يوم بدر أخذ النبى صلى الله عليه وسلم المغانم والاسارى قبل أن يؤمر به وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فى أم الكتاب المغانم والاسارى حلال لمحمد وأمته ولم يكن أحله لامة قبلهم وأخذوا المغانم وأسروا الاسارى قبل ان ينزل اليهم فى ذلك قال الله لولا كتاب من الله سبق يعنى فى الكتاب الاول ان المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا كتاب من الله سبق الآية وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الامم اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم الله عليهم ان ياكلوا منه قليلا أو كثيرا حرم ذلك على كل نبى وعلى أمته فكانوا لا ياكلون منه ولا يغلون منه ولا ياخذون قليلا ولا كثيرا الا عذبهم الله عليه وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا فلم يحله لنبى الا لمحمد صلى الله عليه وسلم كان قد سبق من الله فى قضائه ان المغنم له ولامته حلال فذلك قوله يوم بدر فى أخذ الفداء من الاسارى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عروة عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال ان الله كان معطى هذه الامة الغنيمة وفعلوا الذى فعلوا قبل ان تحل الغنيمة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال الاعمش فى قوله لولا كتاب من سبق قال سبق من الله ان أحل لهم الغنيمة حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد

أعدائه وتريد بجر الآخرة أى عرض الآخرة على التقابل والله عزيز يغلب أولياؤه على أعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه حكيم لا يرخص فى أخذ الفداء الا بعد افشاء القتل فى الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام فى قوله لولا كتاب من الله سبق أى لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو انه لا يعاقب أحدا يخطئ فى الاجتهاد لانهم نظروا فى ان استبقاءهم انما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وحصول أولاد منهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم ان قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوى اسلامهم أنزل الله بعد ذلك فى الاسارى حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الآيتين مختلفان وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفدية وكان قرب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهى وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان فى كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم أن لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب ابن عباس روى انهم أمسكوا عن الغنائم أو عن أخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبيب ومعنى الآية قد أبحت لكم الغنائم

فكلوا وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا واتقوا الله فيما يستقبل فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط منكم من ترك الاولى رحيم فبذلك رخص لكم فيما رخص من أخذ الفداء ثم قال لاسمالة قلوب الاسارى يا أيها النبي

ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن بشير بن ميمون قال سمعت سعيدا يحدث عن أبي هريرة قال قرأ هذه الآية لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم قال يعني لولا انه سبق علمي انى ساحل الغنائم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح وأبو معاوية بنحوه عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء وتاكلها حتى كان يوم بدر فوقع الناس فى الغنائم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم حتى بلغ حلالا طيبا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه قال فلما كان يوم بدر أسرع الناس فى الغنائم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا ان تاخذوا منهم الفداء فتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل ناخذ الفدية منهم وقتل منهم سبعون قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والاوقية أربعون درهما ومن الدنانير ستة دنانير **حدثنا** أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة انه قال فى أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعددهم فقالوا بل ناخذ الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعددهم **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام بن يحيى قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال أمر عمر رضى الله عنه بقتل الاسارى فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لولا كتاب من الله سبق قال كان المغنم محرما على كل نبي وأمته وكانوا اذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تاكله النار وكان سبق فى قضاء الله وعلمه ان يحل المغنم لهذه الامة تاكلونه فى بطونهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حجير عن عطاء فى قول الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم قال كان فى علم الله ان تحل لهم الغنائم فقال لولا كتاب من الله سبق بانه أحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن شريك عن سالم عن سعيد لولا كتاب من الله سبق قال لاهل بدر من السعادة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر مشهدهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله خير لاهل بدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم كان سبق لهم من الله خير وأحل لهم الغنائم **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيدة عن الحسن لولا كتاب من الله لسبق قال سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه **حدثني** يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل ان أحلها لكم فقال سبق من الله

قل لمن فى أيديكم من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلومه ان فى قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله فى جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصى ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يوتكم فى الدنيا خيرا مما أخذ منكم من المنافع العاجلة ويغفر لكم فى الآخرة أو المراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسر وآمن فقد آتاه الله فى الدنيا خيرا لدلالة الآية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دنيا فلا شك ان كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان أعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفضيل ذلك غير معلوم الا ما روى عن بعضهم كالعباس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأنا أرجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الآية فى العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى أسر فقال العباس كنت مسلما الا انهم استكرهونى فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله ان يترك ذلك الذهب على فقال أما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكانني الرسول صلى الله عليه وسلم فداء ابن أخي عقيل بن أبي

طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس ترکتني يا محمد أتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى أم الفضل وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك والعبد الله

وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فانا أشهد انك صادق وأن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فاما اذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك أي نكث ما بايعوك عليه روي انه صلى الله عليه وسلم لما أطلقهم من الاسر عهد معهم أن لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن أي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا وأسرا فذاقوا وبال أمرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة أخرى ان أعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب أعمالهم واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في خاتمة هذه السورة أحكام هذه الاصناف وأحوالهم مع ذكر أنصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار أيضا فقال ان الذين آمنوا ويدخل فيه لكم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في

الغفو عنهم والرحمة لهم سبق انه لا يعذب المؤمنين لانه لا يعذب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه قال كتاب سبق لقوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون سبق ذلك وسبق أن لا يؤاخذ قوما فعلوا شيأ بجهالة لمسكم فيما أخذتم قال ابن جريج قال ابن عباس فيما أخذتم فيما أسرتم ثم قال بعد فكلوا مما غنمتم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عاتبه في الاساري وأخذ الغنائم ولم يكن أحد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثني أبو سلمة عن محمد قال ثني أبو جعفر محمد بن حسين بن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأعطيت جوامع الكلم وأحلت لي المغانم ولم تحل لنبي كان قبلي وأعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبي كان قبلي قال محمد فقال ما كان لنبي أي قبلك ان يكون له أسرى الى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم أي من الاساري والمغانم عذاب عظيم أي لولا انه سبق مني أن لا أعذب الا بعد النهي ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل وذلك ان قوله لولا كتاب من الله سبق خبر عام غير محصور على معنى دون معنى وكل هذه المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق في كتاب الله انه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الامة وذلك ما عملوا من عمل بجهالة واحلال الغنيمة والمغفرة لاهل بدر وكل ذلك مما كتب لهم وإذ كان ذلك كذلك فلا وجه لان نحصر من ذلك معنى دون معنى وقد عم الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب جعل لا يلقى أسيرا الا ضرب عنقه وقال يا رسول الله ما لنا وللغنائم نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عذبنا في هذا الامر يا عمر ما نجا غيرك قال الله لا تعودوا تستحلون قبل ان أحل لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق لما نزلت لولا كتاب من الله سبق الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه الا سعد بن معاذ لقوله يا نبي الله كان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء الرجال ۞ القول في تاويل قوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالا باحلاله لكم طيبا واتقوا الله يقول وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا في دينكم شيأ بعد هذه من قبل ان يعهد فيه اليكم كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموها من قبل ان يحلا لكم ان الله غفور رحيم وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وتاويل الكلام فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ان الله غفور رحيم واتقوا الله يعني بقوله ان الله غفور لذنوب أهل الايمان من عباده رحيم بهم ان يعاقبهم بعد توبتهم منها ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاساري يا أيها النبي قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذتم منهم من الفدى ما أخذان يعلم الله في قلوبكم خيرا يقول ان يعلم الله في قلوبكم اسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم ذنوبكم يقول ويصفح

لكم عن عقوبة جرمكم الذى اجترمتموه بقتالكم نبى الله وأصحابه وكفركم بالله والله غفور لذنوب عباده اذا تابوا رحيم بهم ان يعاقبهم عليها بعد التوبة وذكر ان العباس بن عبد المطلب كان يقول فى نزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبى اسحق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس فى نزلت ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم باسلامى وسألته ان يحاسبنى بالعشرين الاوقية التى أخذمنى فابى فابدانى الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالى فى يديه وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثنى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رياب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فى والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامى ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توضأ لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس ان يأخذ منه ويحثى فاخذ قال وكان العباس يقول هذا خير مما أخذ وأرجو المغفرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية وكان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه باربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين نزلت هذه الآية لقد أعطانا الله خصلتين ما أحب ان لى بهما الدنيا انى أسرت يوم بدر ففديت نفسى باربعين أوقية فاتانى أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الى قوله والله غفور رحيم يعنى بذلك من أسر يوم بدر يقول ان علم الله بطاعتى ونصحتم لرسولى أثبتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى عباس وأصحابه قال قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله لنتحصن لك على قومنا فنزل ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ايمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أصيب منكم ويغفر لكم الشرك الذى كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب ان هذه الآية لم تنزل فينا وان لى الدنيا قد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد أعطانى خيرا مما أخذ منى مائة ضعف وقال يغفر لكم وأرجو ان يكون قد غفر لى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسارى الآية يعنى العباس وأصحابه أسروا يوم بدر يقول الله ان علم بطاعتى ونصحتم لى ولرسولى اعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم وكان العباس بن عبد المطلب يقول لقد اعطانا الله خصلتين ما شئ هو أفضل منهما عشرين عبدا وأما الثانية فنحن فى موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه ۞ القول فى تاويل قوله (وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره لنبيه وان يرد هؤلاء الاسارى الذين فى أيديكم خيانتك أى الغدر بك والمكر والخداع باظهارهم لك بالقول خلاف ما فى نفوسهم فقد خانوا الله من قبل يقول فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر وأمكن منهم ببدر المؤمنين والله عليم بما يقولون بالسنتهم ويضمرونه فى نفوسهم حكيم فى تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء

طلب مرضاة الله وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت معايشهم وضياعهم وبقيت فى أيدى الاعداء واحتاجوا الى الانفاق فى تلك العزيمة والسفرة وفى الغزوات والمحاربات وأما المجاهدة بالانفس فيكفى فى وصف ذلك انهم أقدموا على قتال أهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء فى غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم أزالوا طماعهم عن الحياة وبذلوا أرواحهم فى سبيل الله وكانوا أول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة أثر عظيم فى تقوية الدين لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدى بهم ويقوى دواعيهم بما يرون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم فى الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين آووا ونصروا أى الذين أنزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على أعدائهم أولئك بعضهم أولياء بعض أطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما أمكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان ولى من لا ولى له وقال سبحانه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد ان المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وانهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه أما قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ فوجهت قراءة حمزة بان تولى بعضهم بعضا بنيه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كانه بتولية صاحبه

الخراساني عن ابن عباس وان يريدوا خيانتك يعني العباس وأصحابه في قولهم آمنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله لننصحن لك على قومنا يقول ان كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يقول قد كفروا وقاتلوك فامكنك الله منهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يريدوا خيانتك الآية قال ذكر لنا ان رجلا كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ثم عمد فنافق فلحق بالمشركين بمكة ثم قال ما كان محمد يكتب الا ما شئت فلما سمع ذلك رجل من الانصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف فلما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وابن خطل وامرأته كانت تدعو على النبي صلى الله عليه وسلم كل صباح فجاء عثمان بابن أبي سرح وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة فقال يا رسول الله هذا فلان أقبل تائبا نادما فاعرض عنه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع به الانصاري أقبل متقلدا سيفه فاطاف به وجعل ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ اليه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه فقال أما والله لقد تلومتك فيه لتوفي بنذرك فقال يا نبي الله اني هبتك فلولا أومأت الي فقال انه لا ينبغي لنبي أن يومض **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يقول قد كفروا بالله ونقضوا عهده فامكن منهم ببدر ۞ القول في تاويل قوله (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وهاجروا يعني هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم يعني تركوهم وخرجوا عنهم وهجرهم قومهم وعشيرتهم وجاهدوا في سبيل الله يقول بالغوا في اتعاب نفوسهم وانصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله يقول في دين الله الذي جعله طريقا الى رحمته والنجاة من عذابه والذين آووا ونصروا يقول والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعني انهم جعلوا لهم مأوى يأوون اليه وهو المثوى والمسكن يقول أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن اذ أخرجهم قومهم من منازلهم ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين أولئك بعضهم أولياء بعض يقول هاتان الفرقتان يعني المهاجرين والانصار بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين وأيديهم واحدة على من كفر بالله وبعضهم اخوان لبعض دون أقربائهم الكفار وقد قيل انما عنى بذلك ان بعضهم أولى بميراث بعض وان الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والارحام وان الله نسخ ذلك بعد بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض يعني في الميراث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون الارحام قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا يقول مالكم من ميراثهم من شئ وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله في هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في الميراث فنسخت التي قبلها وصار الميراث لذوي الارحام **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله يقول لا هجرة بعد الفتح انما هو الشهادة بعد ذلك والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله حتى يهاجروا وذلك ان المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة منازل منهم المؤمن المهاجر والبائن لقومه في الهجرة خرج الى قوم مؤمنين في ديارهم وعقارهم وأموالهم وآووا

قوله والذين آمنوا وهاجروا الآية فوصفهم بأنهم هم المؤمنون حقا ولهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في أول السورة والحاصل

أول أمر اويبا شيء لا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم على لا ن النبي لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر وأجيب بانا لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان أهل الايمان قد ينصر بعض الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه أن المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لاحتمال بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من أدل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف ملهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه أي ما أمرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة أصلا تكن فتنة أي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشان المؤمنين واثنا عليهم

هذه ان السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم أعرضوا عن اللذات الحسيات فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال

وآووا ونصروا وأعلنوا أما أعلن أهل الهجرة من شهر السيوف على من كذب وجحد فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض فكانوا يتوارثون بينهم اذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الانصارى بالولاية فى الدين وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل انه لم يهاجر ولم ينصر فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم وهى الولاية التى قال الله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وكان حقا على المؤمنين ٧ والذين آووا ونصروا اذا استنصروهم فى الدين ان ينصروهم ان قاتلوا الا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق فلا نصرا لهم عليهم الا على العدو الذين لا ميثاق لهم ثم أنزل الله بعد ذلك ان ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا فجعل لكل أناس من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم وبقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الثلاث الآيات خواتيم الانفال فبهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وما كان بين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا الى قوله بما تعملون بصير قال بلغنا انهما كانت فى الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا قال ثم نزل بعد وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم فتوارثوا ولم يهاجروا قال ابن جريج قال مجاهد خواتيم الانفال الثلاث الآيات قال فبهن ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والاعرابى المسلم لا يرث من المهاجر شيأ فنسخ ذلك بعد ذلك فالحق الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أى من أهل الشرك جبرت الوصية ولا ميراث لهم وصارت المواريث بالمال والمسلمون يرث بعضهم بعضا من المهاجرين والمؤمنين ولا يرث أهل ملتين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا كان الاعرابى لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر فنسخها فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء الاعراب ما لكم من ولايتهم من شئ فى الميراث وان استنصروكم فى الدين يقول بأنهم مسلمون فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ثم نسختها الفرائض والمواريث الذين توارثوا على الهجرة فى كتاب الله فتوارث الاعراب والمهاجرون ۞ القول فى تأويل قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) يعنى بقوله تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يهاجروا قومهم الكفار ولم يفارقوا دار الكفر الى دار الاسلام ما لكم أيها المؤمنون بالله ورسوله

والذين آمنوا من بعد نقل الواحدى عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم ألحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشأن السابقين ولولا كون القسم الاول أشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله وأولوا الارحام أى ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض أى أحق بهم وأجدر فى كتاب الله أى فى حكمه وقسمته أو فى اللوح أو فى القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والنصرة أما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى فى هذه الآية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم أعنى ازالة وهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك أصحاب أبى حنيفة بهذه الآية فى توريث ذوى الارحام وهم ذو وقرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة أو كل قريب يخرج عن أصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة أصناف الجد أبو الام وكل جد وجدة ساقطين وأولاد البنات وبنات الاخوة وأولاد الاخوات وبنو الاخوة للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف فى انه اذا لم يوجد ذو فرض أو عصبة فهل يورث ذو والارحام أو يوضع المال فى بيت المال فقدمهم أبو حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعى قال ان الآية مجملة فى الشئ الذى حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال فى كتاب الله كان معناه فى الحكم

الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الآية منسوخة بأحكام آية الميراث فلا تبقى حجة في توريث ذوي الارحام واعلم انه سبحانه قال في أول الآيات وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي براءة بتقديم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والغداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما أخذتم أي من الغداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله لمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية باموالهم وأنفسهم اكتفاء بما في الاولى وحذف من الثالثة في سبيل الله أيضا اكتفاء بما في الآيتين قبلها والله أعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شئ عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها محكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني أعلم مالا تعلمون * التأويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ما سورة وقوى موجهة الى تدبير أمور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق للحق حتى يشيع في أرض البشرية قتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى أن الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الآخرة منكم أي ليس الانسان من سجيته وطبعه ان يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله وبعنايته الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون منجذبا بنحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما أخذتم من صلى وراء النفس المأمورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من أوقات الجهاد

المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب من ولايتهم يعني من نصرتهم وميراثهم وقد ذكرت قول بعض من قال معنى الولاية ههنا الميراث وسأذكر ان شاء الله من حضرني ذكره بعد من شئ حتى يهاجروا قومهم ودورهم من دار الحرب الى دار الاسلام وان استنصروكم في الدين يعني بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم من المشركين فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والانصار النصر الا ان يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعني عهد قد وثق به بعضكم على بعض ان لا يحاربه والله بما تعملون بصير يقول والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم في ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والانصار وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم اياهم عند استنصارهم في الدين وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم بصير براءة ويبصره فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شئ حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال كان المسلمون يتوارثون بالجهرة وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالاسلام والهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر ولا يرث أخاه فنسخ ذلك قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الاسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وانك لا ترى نار مشرك الا وأنت حرب حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصركم الاعراب المسلمون أيها المهاجرون والانصار على عدوهم فعليكم ان تنصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفي على أربع منازل مؤمن مهاجر والانصار واعراب مؤمن لم يهاجر ان استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره وان تركه فهو اذنه وان استنصروا النبي صلى الله عليه وسلم في الدين كان حقا عليه ان ينصرهم فذلك قوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر والرابع التابعون باحسان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين آمنوا وهاجروا الى آخر السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وترك الناس على أربع منازل مؤمن مهاجر ومسلم اعرابي والذين آووا ونصروا والتابعون باحسان * القول في تأويل قوله (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله بعضهم أولياء بعض يقول بعضهم أعوان بعض وأنصاره وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله وقد ذكرنا قول من قال عني بذلك بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين وسنذكر بقية من حضرنا ذكره حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك قال قال رجل نورث أرحامنا من المشركين فنزلت والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الآية حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير نزلت في مواريث مشركي أهل العهد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير قال كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذي ليس بمهاجر لا يتوارثان وان كانا أخوين مؤمنين قال وذلك لان هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالارحام وقال النبي

الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار خلا لا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك ومنه واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يغنيكم عنكم ويبقيكم به يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من النفوس المأسورة التي أسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذل عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من اللذات الفانية وأسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق السرمدي وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من أمر جهادها وتزكيتها والذين آووا ذكر الله ومحبته في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم أولئك بعضهم أولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن أوصافهم وأفعالهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم تمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الاعلى قوم أي الاعلى بعض أحوالكم مما صالحتهم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها وأسرتموها وأعنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في أوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى ان المتاخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم

صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح واقرؤا وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار بعضهم أنصار بعض وانه لا يكون مؤمنا من كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قال كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول ان ظهر هؤلاء كنت معهم وان ظهر هؤلاء كنت معهم فابى الله عليهم ذلك وأنزل الله فلا تراءى نارهما نار مسلم ونار مشرك لا صاحب جزية مقر بالخراج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حض الله المؤمنين على التواصل بجعل المهاجرين والانصار أهل ولايته في الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض * وأما قوله الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير فان أهل التأويل اختلفوا في تاويله فقال بعضهم معناه الا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والانصار بالايمان دون أقربائهم من اعراب المسلمين دون الكفار تكن فتنة يقول يحدث بلاء في الارض بسبب ذلك وفساد كبير يعني ومعاصي الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير الا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون تكن فتنة في الارض وفساد كبير قال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الايمان الا بالهجرة ولا يجعلونهم مقيما الا بالهجرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض يعني في الميراث الا تفعلوه يقول الا تاخذوا في الميراث بما أمرتكم به تكن فتنة في الارض وفساد كبير * وقال آخرون معنى ذلك الا تناصروا أيها المؤمنون في الدين تكن فتنة في الارض وفساد كبير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جعل المهاجرين والانصار أهل ولايته في الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ان يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد المواريث الى الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قال الا تعاونوا وتناصروا في الدين تكن فتنة في الارض وفساد كبير * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بتأويل قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قول من قال معناه ان بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين وانه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام في دار الحرب وترك الهجرة لان المعروف في كلام العرب من معنى الولي انه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب فاما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه الا بمعنى انه يليه في القيام بارثه من بعده وذلك معنى بعيد وان كان قد يحتمله الكلام وتوجيه معنى كلام الله الى الاظهر الاشهر أولى من توجيهه الى خلاف ذلك واذ كان ذلك كذلك فبين ان أولى التاويلين بقوله الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير تاويل من قال الا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة في الارض اذ كان مبتدأ الآية من قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله باحثا على الموالاة على الدين والتناصر كذلك الواجب ان يكون خاتمتها به ۞ القول في تاويل قوله (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) يقول تعالى ذكره والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله أولئك هم أهل الايمان بالله ورسوله حقا لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل

ذو رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال عليه السلام أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره * (سورة التوبة مدنية حروفها ١٠٠٨٧ كلمها ٢٤٧٩ وآياتها ١٢٩) * (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض

أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين * وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين
ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم (٣٦) فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من

المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ولجة والله خبير بما تعملون) القراآت ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر هشام

الشرك ولم يغزم المسلمين عدوهم لهم مغفرة يقول لهم ستر من الله على ذنوبهم يغفره لهم عنها ورزق كريم يقول لهم فى الجنة مطعم ومشرب هنى كريم لا يتغير فى أجوافهم فيصير نجوا ولكنه يصير رشحا كرشح المسك وهذه الآية تنبئ على صحة ما قلنا ان معنى قول الله بعضهم أولياء بعض فى هذه الآية وقوله مالكم من ولايتهم من شئ انما هو النصر والمعونة دون الميراث لانه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والانصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الآية ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك الا الحث على مضى الميراث على ما أمر وفى صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على ان لا ناسخ فى هذه الآيات لشئ ولا منسوخ ۞ القول فى تاويل قوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبيانى ما بينت من ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر وهاجر وادار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون فاولئك منكم فى الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة فى الدين والموارثة مثل الذى يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم رد المواريث الى الارحام التى بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله أى فى الميراث ان الله بكل شئ عليم ۞ القول فى تاويل قوله (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم) يقول تعالى ذكره والمتناسبون فى الارحام بعضهم أولى ببعض فى الميراث اذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا وحظا من الحليف والولى فى كتاب الله يقول فى حكم الله الذى كتبه فى اللوح المحفوظ والسابق من القضاء ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عالم بما يصلح عباده فى توريثه بعضهم من بعض فى القرابة والنسب دون الحلف بالعقد وبغير ذلك من الامور كلها لا يخفى عليه شئ منها * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال ثنا أبى قال ثنا قتادة انه قال كان لا يرث الاعرابى المهاجر حتى أنزل الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن عيسى بن الحرث ان أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه جارية فلما شبت الجارية تزوجت فولدت غلاما ثم ماتت السرية واختصم شريح بن الحرث والغلام الى شريح القاضى فى ميراثها فجعل شريح بن الحرث يقول ليس له ميراث فى كتاب الله قال فقضى شريح بالميراث للغلام قال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فركب ميسرة بن يزيد الى ابن الزبير وأخبره بقضاء شريح وقوله فكتب ابن الزبير الى شريح ان ميسرة أخبرنى انك قضيت بكذا وكذا وقلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وانه ليس كذلك انما نزلت هذه الآية ان الرجل كان يعاقد الرجل يقول ترثنى وأرثك فنزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فجاء بالكتاب الى شريح فقال شريح اعتقها حنين بطنها وأبى ان يرجع عن قضائه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ثنى عيسى بن الحرث قال كانت لشريح بن الحرث سرية فذكر نحوه الا انه قال فى حديثه كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثنى وأرثك فلما نزلت ترك ذلك

* (القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها التوبة) *

۞ القول فى تاويل قوله عز ذكره (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا

يدخل بينهما مدة الباقون أئمة بهمز ياء لاإعان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع عين يعملون بياء الغيبة عباس مخبر ه الوقوف من المشركين ط معجزي الله لا للعطف الكافرين ه من المشركين لا للعطف ورسوله ط لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط أليم ه لا للاستثناء مدتهم ط المتقين ه مرصد ج سبيلهم ط رحيم ه مأمنه ط لا يعلمون ه المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ه ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ه ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا يعلمون ه ولا ذمة ط المعتدون ه في الدين ط يعلمون ه أئمة الكفر لا لتعلق لهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ه أول مرة ط أتخشونهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين ه مؤمنين ه لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ه ولجة ط تعملون ه * التفسير قد عدفي الكشاف من أسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت تقول ومنهم حتى حسبنا أن لا تدع أحدا وللعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكانت براءة من آخر القرآن نزولا ولم يتوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما ولهذا أراد بالمشابهة ما روي عن أبي بن كعب ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ

في الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين) يعني بقوله جل ثناؤه براءة من الله ورسوله هذه براءة من الله ورسوله فبراءة مرفوعة بمحذوف وهو هذه كما قوله سورة أنزلناها مرفوعة بمحذوف هو هذه ولو قال قائل براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله الى الذين عاهدتم وجعلها كالمعرفة برفع ما بعدها اذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله من الله ورسوله كالمعرفة وصار معنى الكلام براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كان مذهبا غير مدفوعة صحته وان كان القول الاول أعجب الي لان من شأن العرب ان يضمروا لكل معان نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين هذا وهذه فيقولون عند معاينتهم الشئ الحسن حسن والله والقبيح قبيح والله يريدون هذا حسن والله وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الاول وقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والمعنى الى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لان العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بامره ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه وان عقود النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم لانهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ولعقوده عليهم مسلمين فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم فلذلك قال الى الذين عاهدتم من المشركين لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله اليه من العهد الذي كان بينه وبين رسول الله من المشركين فاذن له في السياحة في الارض أربعة أشهر فقال بعضهم صنفان من المشركين أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر وأمهل بالسياحة أربعة أشهر والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك و يؤسر الا أن يتوب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا على الحاج من سنة تسع ليقيم للناس حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ونزلت سورة براءة في بعض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه و بينهم ان لا يصد عن البيت أحد جاءه وان لا يخاف أحد في الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه و بين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قبائل من العرب خصائص الى أجل مسمى فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين في تبوك وفي قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أي لاهل العهد العام من أهل الشرك من العرب فسيحوا في الارض أربعة أشهر الى قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله أي بعد هذه الحجة * وقال آخرون بل كان امهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فاما من لم يكن له من رسول الله عهد فانما كان أجله خمسين ليلة وذلك عشرون من ذي الحجة والمحرم كله قالوا وانما كان ذلك كذلك لان أجل الذين لا عهد لهم كان الى انسلاخ الاشهر الحرم كما قال الله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قالوا والنداء ببراءة كان يوم الحج الاكبر وذلك يوم النحر في قول قوم وفي قول آخرين يوم عرفة وذلك خمسون يوما قالوا واما تأجيل الاشهر الاربعة فانما كان لاهل العهد بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة قالوا ونزلت في أول شوال فكان مدة انقضاء أجلهم انسلاخ الاشهر الحرم وقد

الغهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى واستدل جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا فى بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحى لجوزنا مثله فى سائر السور وفى

به الامامية * وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا فى أن الانفال مع التوبة سورتان أم سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت فى القتال والمغازى فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم تكتب البسملة تنبيها على قول من يرى انهما واحدة فعملوا بما يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يساعدوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين فى ضبط الدين وحفظ القرآن من التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة آية من كل سورة والا جازت كتابتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سالت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا فقيل له ألیس ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال فى آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة هو ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالى المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهى خبر مبتدأ محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب

كان بعض من يقول هذه المقالة يقول ابتداء التاجيل كان للفريقين واحدا أعنى الذى له العهد والذى لا عهد له غير ان أجل الذى كان له عهد كان أربعة أشهر والذى لا عهد له انسلاخ الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال حد الله الذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاؤا وأجل من ليس عنده عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر الى انسلاخ المحرم خمسون ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم أمره بان يضع السيف فيمن عاهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت براءة من الله الى وان الله مخزى الكافرين يقول براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت براءة فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر وأمرهم ان يسيحوا فى الارض أربعة أشهر وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل براءة انسلاخ الاشهر الحرم وانسلاخ الاشهر الحرم من يوم اذن ببراءة الى انسلاخ المحرم وهى خمسون ليلة عشرون من ذى الحجة وثلاثون من المحرم فاذا انسلخ الاشهر الحرم الى قوله واقعدوا لهم كل مرصد يقول لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم اذن ببراءة الى عشر أول ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قبل أن تنزل براءة عاهدنا سا من المشركين من أهل مكة وغيرهم فنزلت براءة من الله الى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين فانى انقض العهد الذى بينك وبينهم فاؤجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاؤا من الارض آمنين وأجل من لم يكن بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم اذن ببراءة وأذن بها يوم النحر فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين فذلك خمسون ليلة فامر الله نبيه اذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبى الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام وأمر لمن كان له عهد اذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله براءة من الله ورسوله الى قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم قال ذكر لنا ان عليا نادى بالاذان وأمر على الحاج أبو بكر رضى الله عنهما وكان العام الذى حج فيه المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد ذلك العام قوله الذين عاهدتم من المشركين الى قوله الى مدتهم قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه ان يوفى بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له انسلاخ المحرم ونبذ الى ذى عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله لا يقبل منهم الا ذلك وقال آخرون كان ابتداء تاخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك بجميعهم وقتا واحدا قالوا وكان ابتداؤه يوم الحج الاكبر وانقضاؤه انقضاء عشرين من ربيع الآخر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال لما نزلت هذه الآية برئ من عهد كل مشرك ولم يعاهد

من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد أذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله (٣٩) وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ

يعاهد بعدها الا من كان عاهد واجرى لكل مدتهم فسيحوا في الارض أربعة أشهر لمن دخل عهده فيها من عشر ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر قال ثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بثلاثين أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الارض فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشر من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسيحوا في الارض أربعة أشهر عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذي بينهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله الى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له من غيرهم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب ان أج حتى لا يكون ذلك فارسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبامكنتهم التي كانوا يتبايعون بها بالموسم كلها فاذنوا أصحاب العهد بان يامنوا أربعة أشهر فهي الاشهر المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وأذن الناس كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال أهل العهد مدلج والعرب الذين عاهدهم ومن كان له عهد قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ثم قال انه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب ان أج حتى لا يكون ذلك فارسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبامكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله وأذنوا أصحاب العهد بان يامنوا أربعة أشهر فهي الاشهر الحرم المنسلخات المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وأذن الناس كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا فامن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد قال حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك فغزا تبوك بعد اذ جاء الى المدينة * وقال آخرون ممن قال ابتداء الاجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا كان ابتداؤه يوم نزلت براءة وانقضاؤه انقضاء الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري فسيحوا في الارض أربعة أشهر قال نزلت في شوال فهذه الاربعة الاشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال انما كان تاجيل الله الاشهر الاربعة المشركين في السياحة لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر اما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فانه أمر صلى الله عليه وسلم ان يتم له عهده الى مدته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الاربعة الاشهر فاتم له الاربعة ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهو الذي أمر ان يتم له عهده وقال أتموا اليهم عهدهم الى مدتهم * قال أبو جعفر رحمه الله وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال الاجل الذي جعله الله لاهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر انما هو لاهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله

البهم وكأنه قيل للمسلمين اعلموا ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روي انهم كانوا عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين أين سارّوا والاشهر هي الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم ساتح بتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد أمر فيها أبا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروي ان أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس اني رسول رسول

الله اليكم فقالوا بما ذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين اية ونحن نجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بار بع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن الرماح وضرب بالسيوف استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل على كرم الله وجهه وعلى تقدمه وأجاب أهل السنة بانه أمر أبا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلى على خلف أبى بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر وأما قوله لا يبلغ عنى الا رجل منى فذلك لان المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا أو عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو أو رجل من ذوى قرابته كاخ أو عم فلو تولاه أبو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا فى نقض العهد فازيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما أحضر أبا بكر لتولية أمر الموسم أحضر عليا لهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب ولنرجع الى التفسير قال ابن الانبارى فى الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا فى الاشهر الاربعة فعن الزهرى ان براءة نزلت فى شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أمنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان فيهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة قال المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطت الى

صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء عدته فاما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه فان الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتمام العهد بينه وبينهم الى مدته بقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فان ظن ظان ان قول الله تعالى ذكره فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يدل على خلاف ما قلنا فى ذلك اذ كان ذلك ينبئ على ان الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الاشهر الحرم قتل كل مشرك فان الامر فى ذلك بخلاف ما ظن وذلك ان الآية التى تتلو اذلك تبين عن صحة ما قلنا وفساد ما ظننه من ظن ان انسلاخ الاشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يكن كان له منه عهد وذلك قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين فهؤلاء مشركون وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم فى عهدهم ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوهم عليهم وبعد ففى الاخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين بعث عليا رضى الله عنه ببراءة الى أهل العهود بينه وبينهم أمره فيما أمره ان ينادى به فيهم ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته أوضح الدليل على صحة ما قلنا وذلك ان الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم الى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه وانه انما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد الى غير أجل محدود فاما من كان أجل عهده محدودا ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باتمام عهده الى غاية أجله مامورا وبذلك بعث مناديه ينادى به فى أهل الموسم من العرب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبى قال ثنى محرز بن أبى هريرة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنت مع على رضى الله عنه حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم ينادى فكان اذا بحل صوته ناديت فقلت باى شئ كنتم تنادون قال بار بع لا يطوف بالكعبة عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك **حدثنى** محمد بن عمر قال ثنا عفان قال ثنا قيس بن الربيع قال ثنا الشيبانى عن الشعبى قال أخبرنا المحرز بن أبى هريرة عن أبيه قال كنت مع على رضى الله عنه فذكر نحوه الا أنه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى أجله وقد حدث بهذا الحديث شعبة فخالف قيسا فى الاجل **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن المثنى قالا ثنا عثمان بن عمر قال ثنا شعبة عن المغيرة عن الشعبى عن المحرز بن أبى هريرة عن أبيه قال كنت مع على حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة الى أهل مكة فكنت أنادى حتى صحل صوتى فقلت باى شئ كنت تنادى قال أمرنا أن ننادى انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فاجله الى أربعة أشهر فاذا حل الاجل فان الله برئ من المشركين ورسوله ولا يطيف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك * قال أبو جعفر رحمه الله وأخشى ان يكون هذا الخبر وهما من ناقله فى الاجل لان الاخبار متظاهرة فى الاجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة فى نفس هذا الحديث على ما بينته **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبى اسحق عن الحرث الاعور عن على رضى الله عنه قال أمرت بار بع أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطف رجل بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة الا كل نفس مسلمة وان يتم كل عهد عهده **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد

قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع قال نزلت براءة فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم أرسل عليا فاخذها منه فلما رجع أبو بكر قال هل نزل في شئ قال لا ولكني أمرت ان أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي فانطلق الى مكة فقام فيهم بار بع ان لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطف بالكعبة عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع عن علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بار بع أن لا يطف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث بن علي رضي الله عنه قال بعث الى أهل مكة بار بع ثم ذكر الحديث حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا سليمان بن قرم عن الاعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ثم اتبعه عليا فاخذها منه فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حدث في شئ قال لا أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض ولا يؤدي عني الا أنا أو علي وكان الذي بعث به عليا أربعا لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن عامر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم الحج للناس قيل له يا رسول الله لو بعثت الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أو مامور قال مامور ثم مضيا رضي الله عنهما فقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا من براءة فمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة الى الاجل المسمى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال لما نزلت هذه الآيات الى رأس أربعين آية فبعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه عليا فاخذها منه فرجع أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بابي أنت وأمي أنزل في شأني شئ قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر انك كنت معي في الغار وانك صاحبي على

والى هذا المعنى أشار بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله أي اعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة واطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما أمكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم أراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال وأذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو أيضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه أذان الصلاة أمر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والعاهد الناكث وغيرهم لكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف ويشتهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يحج في السنة الآتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم

الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه أعظم أعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عليه

السلام وابن عباس وروايه المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر وافقه قول الشعبي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك ان معظم أفعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ماروى عن علي رضي الله عنه ان رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا حل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر أيامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت أياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد أيضا هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا والتقدير بان الله بريء من المشركين ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر أي ورسوله أيضا كذلك أو هو معطوف على المنوي في بريء أي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار أو على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثاني اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وأيضا المراد بالاول من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كما هاهنا تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم أي عن الشرك فهو خير لكم

الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحاج وعلي يؤذن ببراءة فقام يوم الاضحى فقال لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده الى مدته وان هذه أيام أكل وشرب وان الله لا يدخل الجنة الا من كان مسلما فقالوا وانحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك الا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فاسلموا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع عن علي قال أمرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان يتم الى كل ذي عهد عهده قال معمر وقاله قتادة * قال أبو جعفر رحمه الله فقد أنبأت هذه الاخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا وان أجل الاشهر الاربعة انما كان لمن وصفنا فاما من كان عهده الى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وفى له بعهده الى مدته عن أمر الله اياه بذلك وعلى ذلك دل ظاهر التنزيل وتظاهرت به الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم واما الاشهر الاربعة فانها كانت أجل من ذكرنا وكان ابتداؤها يوم الحج الاكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر متتابعة جعل لاهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الارض يذهبون حيث شاؤا لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب فان قال قائل فاذ كان الامر في ذلك كما وصفت فما وجه قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد علمت ان انسلاخها انسلاخ المحرم وقد زعمت ان تاجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر وانما بين يوم الحج الاكبر وانسلاخ الاشهر الحرم خمسون يوما أكثره فاين الخمسون يوما من الاشهر الاربعة قيل ان انسلاخ الاشهر الحرم انما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشهر الاربعة ان له عهدا اما الى أجل غير محدود واما الى أجل محدود وقد نقضه فصار ينقضه اياه بمعنى من خيف خيانته فاستحق النبذ اليه على سواء غير انه جعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الاجل الاربعة الاشهر ألا ترى الله يقول لاصحاب الاشهر الاربعة ويصفهم بانهم أهل عهد براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله ووصف المجعول لهم انسلاخ الاشهر الحرم أجلا بانهم أهل شرك لا أهل عهد فقال وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله الا الذين عاهدتم من المشركين الآية ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وباتمام عهد الذين لهم عهدا ذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وادخال النقص فيه عليهم فان قال قائل وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الاكبر دون ان يكون كان من شوال على ما قاله قائلو ذلك قيل له ان قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة وذلك غير جائز أن يكون صحيحا لان المجعول له اجل السياحة الى وقت محدود اذا لم يعلم ما جعل له ولا سيما مع عهده قد تقدم قبل ذلك بخلافه فكمن لم يجعل له ذلك لانه اذا لم يعلم ماله في الاجل الذي جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الاجل ومعلوم ان القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك الا حين نودي فيهم بالموسم واذا كان ذلك كذلك صح ان ابتداءه ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا واما قوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر فانه يعني فسيروا فيها مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه يقال منه ساح

ساح فلان في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا واما قوله واعلموا انكم غير معجزي الله فانه يقول لاهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية اعلموا أيها المشركون انكم ان سحتم في الارض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الاقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله غير معجزي الله يقول غير مفيتيه بانفسكم لانكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الارض ففي قبضته وسلطانه لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه اذا أراد كم بعذاب معقل ولا موئل الا الايمان به وبرسوله والتوبة من معصيته يقول فبادروا عقوبته بتوبة ودعوا السياحة التي لا تنفعكم واما قوله وان الله مخزي الكافرين يقول واعلموا ان الله مذل الكافرين ومورثهم العار في الدنيا والنار في الآخرة ۞ القول في تاويل قوله عز ذكره (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بري من المشركين ورسوله) يقول تعالى ذكره واعلام من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقد بينا معنى الاذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال زعم سليمان بن موسى الشامي ان قوله وأذان من الله ورسوله قال الاذان القصص فاتحة براءة حتى تختم وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فذلك ثمان وعشرون آية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأذان من الله ورسوله قال اعلام من الله ورسوله ورفع قوله وأذان من الله عطفا على قوله براءة من الله كانه قال هذه براءة من الله ورسوله وأذان من الله واعلام قوله يوم الحج الاكبر فان فيه اختلافا بين أهل العلم فقال بعضهم هو يوم عرفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد قال أنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر انه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن يوم الحج الاكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يقيم للناس الحج ويعثني معه بار بعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت الى فقال قم يا علي وأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت وقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي وعلمت ان أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة فطفقت أتتبع بها الفساطيط اقرؤها عليهم فمن ثم حسبتم انه يوم النحر الا وهو يوم عرفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق قال سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فقلت أمن عندك أو من أصحاب محمد قال كل ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر يوم عرفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمر بن الوليد السني عن عباد بن شهاب العصري عن أبيه قال قال عمر رضي الله عنه يوم الحج الاكبر يوم عرفة فذكرته لسعيد بن المسيب فقال أخبرك عن ابن عمر ان عمر قال الحج الاكبر عرفة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن الوليد السني قال ثنا شهاب بن عباد العصري عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول هذا يوم عرفة يوم الحج الاكبر فلا يصومنه أحد قال فحججت بعد أبي فاتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فاخبرني عن صوم يوم عرفة فقلت أخبرت عمن هو أفضل مني أضعافا عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو الحج الاكبر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الحميد بن حبيب عن معقل بن داود قال سمعت ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا

للمكان والثاني للزمان وبشر يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لوفات وزال خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيامة اما قوله الا الذين فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الا الذين عاهدتم ومعنى لم ينقصوكم شيأ لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ومعنى لم يظاهروا لم يعاونوا أي لم يقدموا على المحاربة بانفسهم ولم يهجوا أقواما آخرين وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم أدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي حي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الآية بقوله ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين القبيلتين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله الا الانصار كرشي وعيبتي أرادانهم بطانتي وموضع سري وأماني وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد

لاهم اني ناشد محمدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا *
هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا * حلف أبينا وأبيك الاتلدا فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم ومعني ناشد

محمدا أذكره الحلف والعهد لانه كان بين أبيه عبد المطلب وبين زعماء حلف قديم والاولد الاقدم ثم بين حكم انقضاء أجل الناكثين فقال
فاذا انسلخ الاشهر الحرم أى التى أبيح فيها للناكثين (٤٤) ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزأ جزأ الى أن ينقضى كانسلاخ الجلد عنا

يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما ظرف فاقتلوا المشركين يعنى الناقضين حيث وجدتموهم من حل أو حرم وفى أى وقت كان وخذوهم وأسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم امنعوهم من التصرف فى البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد أى فى كل ممر ومجاز ترقبوهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ان حصلوا على شروطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم أو اطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام أو عن التصرف فى مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعى انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة فمالم يوجد أحد هذه الامور لم يوجد هذا المجموع فوجب أن يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلاة يقتل ولعل أبا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعى الزكاة وحمل أكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان أسيرا نادى بحيث يسمع النبى صلى الله عليه وسلم أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فارساوه قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير

يصمه أحد **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا غالب بن عبيد الله قال سألت عطاء عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فافض منها قبل طلوع الفجر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد ابن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى محمد بن قيس بن مخرمة قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ثم قال اما بعد وكان لا يخطب الا قال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا اسحق بن سليمان عن سلمة بن محب عن عكرمة عن ابن عباس قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى طاوس عن أبيه قال قلنا ما الحج الاكبر قال يوم عرفة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال آخرون هو يوم النحر ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الاجلح عن أبى اسحق عن الحرث قال سمعت عليا يقول الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن أحمد قال ثنا حكام قال ثنا عينة عن أبى اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن الحج الاكبر فقال هو يوم النحر **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمان الشيبانى قال سألت عبد الله بن أبى أوفى عن الحج الاكبر قال فقال يوم النحر **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر قال ثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك قال دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبى أوفى قال فسألته عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر يوم نهراق فيه الدم **حدثنا** عبد الحميد بن سنان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن عبد الملك بن عمر عن عبد الله قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن النسائى قال سألت ابن أبى أوفى عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا النسائى عن عبد الله بن أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمر قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى وسئل عن قوله يوم الحج الاكبر قال هو اليوم الذى يراق فيه الدم ويحلق فيه الشعر **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن على انه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجمانة فجاءه رجل فاخذ بلجام بغلته فسأله عن الحج الاكبر فقال هو يوم نحل سبيلها **حدثنا** عبد الحميد بن بشار قال ثنا اسحق عن مالك بن مغول وشقير عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال سئل عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن على انه لقيه رجل يوم النحر فاخذ بلجامه فسأله عن يوم الحج الاكبر قال هو هذا اليوم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الملك بن عمير وعباس العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال هو اليوم الذى يهراق فيه الدماء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عيينة عن ابن أبى أوفى قال الحج الاكبر يوم نهراق فيه الدماء ويحلق فيه الشعر ويحل فيه الحرام **حدثنى** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا

يحيى القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلاة والزكاة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغى ولا زيب ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا

الله من أهلها لما أوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كفى فى ازاحة علتهم فيفتح ذلك ان أحدا من المشركين (٤٥) لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل

يحيى بن عيسى عن الاعمش عن عبد الله بن بشار قال ثنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير وقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة فذكر نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمان الشيبانى قال سمعت سعيد بن جبير يقول الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى جحيفة قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر قال اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من شيبة فى يوم الحج الاكبر قال على هو يوم النحر وقال الذى من آل شيبة هو يوم عرفة فارسل الى سعيد بن جبير فسألوه فقال هو يوم النحر ألا ترى ان من فاته يوم عرفة لم يفته الحج فاذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن سعيد بن جبير انه قال الحج الاكبر يوم النحر فقلت ان عبد الله بن شيبة ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك فقال محمد بن على هو يوم النحر وقال عبد الله هو يوم عرفة فقال سعيد بن جبير أرأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة أكان يفوته الحج واذا فاته يوم النحر فاته الحج **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيبانى عن سعيد بن جبير قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ثنى رجل عن أبيه عن قيس بن عبادة قال ذو الحجة العاشر النحر وهو يوم الحج الاكبر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبى اسحق عن عبد الله عن شداد بن الهاد قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن مسلم الحجبى قال سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الاكبر قال يوم النحر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنى** يعقوب قال ثنا عنبسة قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم انه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر الذى يحل فيه كل حرام قال **حدثنا** عنبسة عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن ابن عون قال سألت محمدا عن يوم الحج الاكبر فقال كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوبر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن ذر قال سألت مجاهدا عن يوم الحج الاكبر فقال هو يوم النحر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مجاهد يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ثور عن مجاهد يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم النحر وقال عكرمة يوم الحج الاكبر يوم النحر يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام قال وقال مجاهد يوم يجمع فيه الحج كله وهو يوم الحج الاكبر قال **حدثنا** اسرائيل عن عبد الاعلى عن محمد بن على يوم الحج الاكبر يوم النحر قال **حدثنا** اسرائيل عن اسرائيل عن عبد الاعلى

يطالب اما بالاسلام أو بالجزية أو بالقتل فازال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال وان أحد من المشركين استجارك الآية قال علماء العربية ارتفع أحد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك فكرهوا الجمع بين المفسر والمفسر فحذفوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث ان من مظان وقوع الفعل بعده وأيضا ذكر الفاعل ههنا أهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضى اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار يقال استجرت فلانا أى طلبت منه ان يكون جارا لى أى مجاميا وحافظا من أن يظلمنى ظالم ومنه يقال أجاره الله من العذاب أى أنقذه والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر لاعهد بينك وبينه فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم أبلغه داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت فيها وفيه ان المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر فى دين الله من أعلى المقامات فان الكافر الذى دمه مهدر لما أظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مامنه امازمان مهلة النظر فليس فى الآية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فيقدم ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال أمهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق رافعا للزمام بالكلية لم يلتفت اليه وأبلغ المأمن ويشبه ان يقال المدة أربعة أشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعى والمذكور فى الآية كونه طالبا لسماع

القرآن الا أنه الحق به كونه طالبا لسماع الدلائل ولجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال في آخر الآية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه

هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل أراد جميع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل أراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم أو بلدة أو ناحية وهو عقد الهدنة ويختص بالامام وقد مر في تفسير قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بافراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن آحاد المسلمين أيضا وهذا مقصود الآية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي رضي الله عنه فقال ان أراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدي هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روي انه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم أدناهم وعن أم هانئ قالت أجرت رجلين من أحمائي فقال صلى الله عليه وسلم أمنا من أمنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح أمان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله أجرتك أو لا تخف وكناية كقوله أنت على ما تحب أو كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر انه قال والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب أما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله قال **حدثنا** أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس مثله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي اسحق قال قال الحج الاكبر يوم النحر قال وقال الزهري يوم النحر يوم الحج الاكبر **حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني يونس وعمرو عن الزهري عن حميد ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال الزهري فكان حميد يقول يوم النحر يوم الحج الاكبر **حدثنا** الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشيباني عن أبي اسحق قال سألت عبد الله بن شداد عن الحج الاكبر والحج الاصغر فقال الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق قال سألت عبد الله بن شداد فذكر نحوه قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمر قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول الحج الاكبر يوم يوضع فيه الشعر ويهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام قال **حدثنا** الثوري عن أبي اسحق عن علي قال الحج الاكبر يوم النحر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن عباس العامري عن عبد الله بن أبي أوفى انه سئل عن يوم الحج الاكبر فقال سبحان الله هو يوم نهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام الشعر هو يوم النحر قال **حدثنا** اسرائيل عن أبي حصين عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له فقال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر قال **حدثنا** أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز عن ابراهيم بن طهمان عن مغيرة عن ابراهيم يوم الحج الاكبر يوم النحر ويحل فيه الحرام **حدثني** أحمد بن المقدام قال ثنا يزيد بن رافع قال ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال لما كان ذلك اليوم قعد على بعير له النبي وأخذ انسان بخطامه أو زمامه فقال أي يوم هذا قال فسكتنا حتى ظننا انه سيميه بغير اسمه فقال أليس يوم الحج **حدثنا** سهل بن محمد الحساني قال ثنا أبو جابر الحرشي قال ثنا هشام بن الغاز الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أي يوم يومكم قالوا يوم النحر قال صدقتم يوم الحج الاكبر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال أخبرني عمرو بن مرة قال ثنا مرة قال ثنا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا اسمعيل بن خالد عن أبيه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس فنادى ببراءة انه يوم الحج الاكبر الا انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة الا ولا يطوف بالبيت عريان الا ولا يحج بعد العام مشرك الا ومن كان بينه وبين محمد عهد فاجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن حجاج بن ارطاة عن عطاء قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يوم الحج الاكبر قال يوم النحر يوم يحل فيه المحرم ويحر فيه البدن وكان ابن عمر يقول هو يوم النحر وكان أبي يقوله وكان ابن

المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب من أهل ومال وأما الذي معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك (١٧) وقد بقي في الآية مسئلة أصولية هي ان المعتزلة استدلوا بالآية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب وأجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى أولا عندكم فعلمنا ان هذا المسموع ليس كلاما بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا أطلق عليها انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام الله شئ مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم أكد المعاني المذكورة من أول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلاثة أوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد أو ليكون أو للجار أو هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين أو متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم اضدادكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم في ما وجهان أحدهما ان تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثاني شرطية أي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من أعمال

ابن عباس يقول هو يوم عرفة ولم أسمع أحدا يقول انه يوم عرفة الا ابن عباس قال ابن زيد والحج يفوت بفوت يوم النحر ولا يفوت بفوت يوم عرفة ان فاته اليوم لم يفته الليل يقف ما بينه وبين طلوع الفجر **حدثني** محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال يوم الاضحى يوم الحج الاكبر **حدثنا** سفيان قال ثنا أبي عن شعبة عن عمرو بن مرة قال ثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفتي هذه حسبته قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر * وقال آخرون معنى قوله يوم الحج الاكبر حين الحج الاكبر ووقته قال وذلك أيام الحج كلها لا يوم بعينه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج أيامه كلها **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد قال الحج الاكبر أيام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا يذبحون الجاز وعكاظ ومجنة حين نودي فيهم لا تجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته **حدثني** الحرث قال ثنا أبو عبيد قال كان سفيان يقول يوم الحج ويوم الجمل ويوم صفين أيامه كلها * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصحة قول من قال يوم الحج الاكبر يوم النحر لتظاهر الاخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة الى المشركين وتلا عليهم براءة يوم النحر هذا مع الاخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم النحر أتدرون أي يوم هذا يوم الحج الاكبر وبعد فان اليوم انما يضاف الى المعنى الذي يكون فيه كقول الناس يوم عرفة وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ويوم الاضحى وذلك يوم يضحون فيه ويوم الفطر وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحج يوم يحجون فيه وانما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر لان في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان الى طلوع الفجر وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج فاما يوم عرفة فانه وان كان فيه الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به الى طلوع الفجر من ليلة النحر والحج كله يوم النحر وأما ما قال مجاهد من ان يوم الحج انما هو أيامه كلها فان ذلك وان كان جائزا في كلام العرب فليس بالاشهر الاعرف في كلام العرب من معانيه بل غلب على معنى اليوم عندهم من غروب الشمس الى مثله من الغد وانما نحمل تأويل كتاب الله على الاشهر الاعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه * واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم يوم الحج الاكبر فقال بعضهم سمي بذلك لان ذلك كان في سنة اجتمع فيها حاج المسلمين والمشركين ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر من أجل انه حج أبو بكر الحجة التي حجها واجتمع فيها المسلمون والمشركون فلذلك سمي الحج الاكبر ووافقوا أيضا عيد اليهود والنصارى **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث ابن نوفل قال يوم الحج الاكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده **حدثنا** القاسم قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال قوله يوم الحج الاكبر قال انما سمي الحج الاكبر لانه يوم حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود * وقال آخرون الحج الاكبر القران والحج الاصغر الافراد ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو بكر النهشلي عن حماد عن مجاهد قال كان يقال الحج الاكبر والحج الاصغر فالحج الاكبر

القران والحج الاصغر افرادا الحج * وقال آخرون الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة قال ثنا عبد الاعلى عن داود عن عامر قال قلت له هذا الحج الاكبر فما الحج الاصغر قال العمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال كان يقال الحج الاصغر العمرة في رمضان قال حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال الحج الاصغر العمرة قال حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي أسماء عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري ان أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الاصغر العمرة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال الحج الاكبر الحج لانه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها فقيل له الاكبر لذلك وأما الاصغر فالعمرة لان عملها أقل من عمل الحج فلذلك قيل لها الاصغر لنقصان عملها عن عمله وأما قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله فان معناه ان الله بريء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة ومعنى الكلام واعلام من الله ورسوله الى الناس في يوم الحج الاكبر أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما حدثنا ابن أحمد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الله بريء من المشركين ورسوله أي بعد هذه الحجة ۞ القول في تاويل قوله (فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يقول تعالى فان تبتم من كفركم أيها المشركون ورجعتم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد فالرجوع الى ذلك خير لكم من الاقامة على الشرك في الدنيا والآخرة وان توليتم يقول وان أدبرتم عن الايمان بالله وأبيتم الا الاقامة على شرككم فاعلموا انكم غير معجزي الله يقول فايقنوا انكم لا تفيتون الله بانفسكم من ان يحل بكم عذابه الاليم وعقابه الشديد على اقامتكم على الكفر كما فعل بدونكم من أهل الشرك من انزال نقمه به واحلاله العذاب عاجلا بساحته وبشر الذين كفروا يقول واعلم يا محمد الذين جحدوا بنبوتك وخالفوا أمرك بهم بعذاب موجع يحل بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله فان تبتم قال آمنتم ۞ القول في تاويل قوله (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) يقول تعالى ذكره وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين أيها المؤمنون ثم لم ينقصوكم شيأ من عهدكم الذي عاهدتموهم ولم يظاهروا عليكم أحدا من عدوكم فيعينوهم بانفسهم وأبدانهم ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول فوفوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه ولا تنصبوا لهم حربا الى انقضاء مدته ان الله يحب المتقين من اتقاه بطاعته باداء فرائضه واجتناب معاصيه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول الى أجلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا الذين عاهدتم من المشركين أي العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا الآية قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر فامر الله نبيه ان يوفي لهم بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذي عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا

المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم أي يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور في نفسه كمالا فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلاق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا الا راعوا فيكم ولا ينتظروا بكم الاولا ذمة قال في الصحاح الال العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجوار والانين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وسميت به القرابة لانهم اتعقد بين الرجلين مالا يعقده الميثاق وفي الصحاح أيضا ان الال بالكسر من أسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة وأذن موالة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل أمر لزمك وكان بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال أبو عبيدة الذمة ما يتذمم به أي ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقررا لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل ثم قال سبحانه وأكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد أسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر انه أراد ان أكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الاديان والنحل اشتروا واستبدلوا بآيات الله بالقرآن أو بالاسلام رسول ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم أنفسهم قال مجاهد أراد الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم

وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين أعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولو أراد المشركين كان تكرارا وأولئك هم المعتدون المتجاوزون حدود الله في دينه وما

رسول الله وأن لا يقبل منهم الا ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال مدة من كان له عهد من المشركين قبل ان تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة الى عشر من شهر ربيع الآخر وذلك أربعة أشهر فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم وان وفوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا عليهم عدوا فقد أمر ان يؤدى اليهم عهدهم ويفي به ۞ القول في تأويل قوله (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) يعني جل ثناؤه بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاذا انقضى ومضى وخرج يقال منه سلخنا شهر كذا سلخا وسلوخا بمعنى خرجنا منه ومنه قولهم شاة مسلوخة بمعنى المنزوعة من جلدها المخرجة منه ويعني بالاشهر الحرم ذا القعدة وذا الحجة والمحرم وانما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده لان الاذان كان ببراءة يوم الحج الاكبر فعلوم انهم لم يكونوا أجلوا الاشهر الحرم كلها وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هو لهما ثالثا وهي كلها متصل بعضها ببعض قيل فاذا انسلخ الاشهر الحرم ومعنى الكلام فاذا انقضت الاشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الاعداء على رسول الله وعلى أصحابه أو كان عهدهم الى غير أجل معلوم فاقتلوا المشركين يقول فاقتلوهم حيث وجدتموهم يقول حيث لقيتموهم من الارض في الحرم وغير الحرم في الاشهر الحرم وغير الاشهر الحرم وخذوهم يقول واسروهم واحصروهم يقول وامنعوهم التصرف في بلاد الاسلام ودخول مكة واقعدوا لهم كل مرصد يقول واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كل مرصد يعني كل طريق ومرقب وهو مفعل من قول القائل رصدت فلانا أرصده رصدا بمعنى رقبته فان تابوا يقول فان رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا ما افترض الله عليهم من الصلاة بحدودها واعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها فخلوا سبيلهم يقول فدعوهم يتصرفون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام ان الله غفور رحيم لمن تاب من عباده فاناب الى طاعته بعد الذي كان عليه من معصيته ساتر على ذنبه رحيم به ان يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته بعد التوبة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أجلوا الى انسلاخ الاشهر الحرم * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيأ فارقها والله عنه راض قال وقال أنس هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله قال الله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال توبتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ثم قال في آية أخرى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حتى ختم آخر الآية وكان قتادة يقول خلوا سبيل من أمركم الله ان تخلوا سبيله فانما الناس ثلاثة رهط مسلم عليه الزكاة ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين اذا أعطى عشور ماله حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن

يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فان كان هذا في اليهود وما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فاخوانكم أي فهم اخوانكم في الدين فلم يكن من التكرار في شيء قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة ونفصل الآيات بينها القوم يعلمون لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد البعث على التأمل في أحكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وان نكثوا يعني هؤلاء التائبين ايمانهم من بعد عهدهم أي من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين أو المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرامه وطعنوا في دينكم ثلبوه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر هي جمع امام وأصلها أئممة كمثال وأمثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وأدغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر مقتدى فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم أبدى غرض القتال بقوله لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا أمر نفساني وداع شهواني ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل

عليه قوله انهم لا ايمان لهم تنبيها على ان العلة الفاعلية للقتال أثبت لهم الايمان أولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست بما يعد ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك أبو حنيفة

المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فاذا انسلخ الاشهر الحرم وهى الاربعة التى عددت لك يعنى عشرين من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقال قائلو هذه المقالة قيل لهذه الاشهر الحرم لان الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعرض لهم الا بسبيل خير ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابراهيم بن أبى بكر انه أخبره عن مجاهد وعمرو بن شعيب فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم انها الاربعة التى قال الله فسيحوا فى الارض قال هى الحرم من أجل انهم أومنوا فيها حتى يسيحوها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال ضرب لهم أجل أربعة أشهر وتبرأ من كل مشرك ثم أمر اذا انسلخت تلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد لا تتركونهم يضربون فى البلاد ولا يخرجون للتجارة ضيقوا عليهم بعد ما أمر ان نعفو فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى اسحق فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعنى الاربعة التى ضرب لهم اجلا لاهل العهد العام من المشركين فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية ۞ القول فى تاويل قوله (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه وان استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرام أحد ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذى أنزله الله عليه فاجره يقول فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم أبلغه مأمنه يقول ثم رده بعد سماعه كلام الله ان هو أبى ان يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فؤمن الى مأمنه يقول الى حيث يأمن منك ومن فى طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين ذلك بانهم قوم لا يعلمون يقول تفعل ذلك بهم من اعطائك اياهم الامان ليسمعوا القرآن وردك اياهم اذا أبوا الاسلام الى مأمنهم من أجل انهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون ما لهم الايمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والاثم بتركهم الايمان بالله * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان أحد من المشركين استجارك أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم فاجره **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى فاجره حتى يسمع كلام الله أما كلام الله فالقرآن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان أحد من المشركين استجارك فاجره قال انسان يأتيك فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاءه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا فلقى العدو وأخرج المسلمون رجلا من المشركين وأشرعوا فيه الاسنة فقال الرجل ارفعوا عنى سلاحكم وأسمعونى كلام الله تعالى فقالوا تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الانداد وتتبرأ من اللات والعزى فقال فانى أشهدكم أنى قد فعلت **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أبلغه مأمنه قال ان لم يوافق ما تقول عليه وتحدثه فابلغه قال وليس هذا بمنسوخ واختلف فى حكم هذه الآية هل هو منسوخ أم هو غير منسوخ فقال بعضهم هو غير منسوخ وقد ذكرنا قول من قال ذلك وقال آخرون هو منسوخ ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

فى ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم ينصور نكثها ومن قرأ الايمان لهم بالكسر أى لا اسلام لهم أولا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال ألا تقاتلون قال أهل المعانى اذا قلت ألا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك فى فعل يقدر وجوده واذا قلت ألست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق ان لا تنفى بها المستقبل فاذا أدخلت عليه الالف صار تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعملا فى نفى الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهدهم الحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجر أو من المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا أبا سفيان عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه صلى الله عليه وسلم مكة ثم يخرجوه قبل ان يتم حجته استخفافا به صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجدوهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو المراد انهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة أو المراد ان الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادى أظلم والحاصل ان من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان سفيان بوبخ من فرط فيها ثم زاد فى التوبيخ فقال فيه تقرير للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت للرجل أتخشى خصمك لانه يستنكف

سفيان عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم نسختها فاما منا بعد واما فداء قال
حدثنا سفيان عن السدى مثله * وقال آخرون بل نسخ قوله فاقتلوا المشركين قوله فاما منا بعد
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن ابن أبي عروبة عن قتادة
حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق نسختها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم * قال أبو جعفر
والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال ليس ذلك بمنسوخ وقد دللنا على ان معنى النسخ هو
نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره ولم تصح حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال
ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المن عليهم فاذ كان ذلك كذلك فكان الفداء
والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم وذلك من يوم بدر
كان معلوما ان معنى الآية فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم للقتل أو المن أو
الفداء واحصروهم واذا كان ذلك معناه صح ما قلنا فى ذلك دون غيره ۞ القول فى تاويل قوله
(كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) يقول تعالى ذكره أنى يكون أيها المؤمنون بالله
ورسوله للمشركين بربهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله يوفى لهم به ويتركوا من أجله
آمنين يتصرفون فى البلاد وانما معناه لا عهد لهم وان الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم الا
الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم فان الله أمر جل ثناؤه المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم
والاستقامة لهم عليه ما داموا على العهد للمؤمنين مستقيمين * واختلف أهل التاويل فى الذين عنوا بقوله
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فقال بعضهم هم قوم من جذيمة بن الديل ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم هم بنو جذيمة بن الديل حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن
محمد بن عباد بن جعفر قوله الا الذين عاهدتم من المشركين قال هم جذيمة بكر من كنانة حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام فهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم
الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحى
من قريش وبنو الديل من بكر فامر باتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر الى مدته فما
استقاموا لكم الآية * وقال آخرون هم قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
هم قريش حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعنى أهل مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يقول هم قوم كان
بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم مدة ولا ينبغى لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطى المسلم
الجزية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم يعنى أهل العهد من المشركين حدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
قال هؤلاء قريش وقد نسخ هذا الاشهر التى ضربت لهم عدواهم فلم يستقيموا كما قال الله فضرب

فى معنى النهى كانه قيل لا تخشوهم
لان الله أحق بالخشية وأخرى
بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه
قيل ان صح انكم مؤمنون فلا
تخشوا الا الله ثم زاد فى تاكيد الامر
بالقتل فقال قاتلوهم وترتب عليه
خمس نتائج الاولى قوله يعذبهم
الله بايديكم أى بالقتل والاسر
واغتنام الاموال وهذا لا ينافى
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
لانه أراد هناك عذاب الاستئصال
قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على
ان التى تدخل فى الوجود من
الافعال كلها من الله يظهرها على
أيدى العباد واعترض الجبائى بانه
لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب
الله أنبياءه على لسان الكفرة
وأجيب بان الامر كذلك عندنا الا
انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال
يا خالق الخنافس والحشرات وكما
انكم لا تقولون يا مسهل أسباب
الزنى واللواط وبادافع الموانع
عنها الثانية ويخزهم قيل هو الاسر
وقيل المراد ما نزل بهم من الذل
والهوان حين شاهدوا أنفسهم
مقهورين فى أيدى المؤمنين وهو
قريب من الاول أو هو هو وقيل
هو عذاب الآخرة الثالثة وينصركم
عليهم أورد عليه ان النصر يستتبعه
اخزاء الخصم فاى حاجة الى افراده
بالذكر والجواب ان المغايرة كافية
فى افراد كل من المتلازمين بالذكر
على انه من المحتمل ان يحصل لهم
الخزى من جهة المؤمنين الان
المؤمنين يحصل لهم آفة لسبب آخر
فلما وعدهم النصر على الاطلاق
زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة وعن ابن عباس طون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها
أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قيل

شفاء الصدر واذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب أخص من الصدر كقوله يادرامية بالعلياء فالسد أوشفاه الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولاريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وابجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق وأكن اما أن التوبة كيف تقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا للتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا أقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وأيضا ان حصول النصر والظفر العام عظيم والعبد اذا شاهد تواتي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى أن يتوب عن جميع الذنوب وقد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وأيضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتحت عليه أبواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو أحد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس للاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجري في ملكه وملكوته حكيم مصيب في أفعاله وأقواله وأحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله ألا تقاتلون الآية ترغيب في فتح مكة لان النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال وابعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين الله ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال

لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا باي بلاد شاؤا قال فاسلموا قبل الاربعة الاشهر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هم قوم جذيمة قال فلم يستقيموا فنقضوا عهدهم وأعانوا بني بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبي صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هم قوم من خزاعة ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال أهل العهد من خزاعة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب عندي قول من قال هم بعض بني بكر من كنانة ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية من العهد على قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بني الديل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة وانما قلت هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لان الله أمر نبيه والمؤمنين باتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ما استقاموا على عهدهم وقد بينا ان هذه الآيات انما نادى بها على في سنة تسع من الهجرة وذلك بعد فتح مكة بسنة فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده لان من كان منهم من ساكني مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات وأما قوله ان الله يحب المتقين فان معناه ان الله يحب من اتقى الله وراقب في أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده واجتناب معاصيه وترك الغدر بعهوده لمن عاهده ۞ القول في تاويل قوله (كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) يعني جل ثناؤه بقوله كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أولمن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة وهم ان يظهروا عليكم يغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وا كتفى بكيف دليلا على معنى الكلام لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب اذا أعادت الحرف بعد مضي معناه استجازوا حذف الفعل كما قال الشاعر

وخبرتماني انما الموت في القرى * فكيف وهذي هضبة وكثيب

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها ومعنى الكلام فكيف يكون الموت في القرى وهذي هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد * واختلف أهل التاويل في تاويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فقال بعضهم معناه لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرقبون في مؤمن الا قال الله **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن عيينة عن سليمان عن أبي مجلز في قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة قال قوله جبرائيل ميكائيل اسرافيل كانه يقول يضاف جبر وميكا واسراف الى ايل يقول عبد الله لا يرقبون في مؤمن الا كانه يقول لا يرقبون الله **حدثني** محمد بن عبد الاعلى قال ثني محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا ولا ذمة لا يراقبون الله ولا غيره * وقال آخرون الال القرابة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة يقول قرابة ولا عهدا وقوله وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال يعني القرابة والذمة العهد **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة الال القرابة والذمة العهد يعني أهل العهد من المشركين يقول ذمتهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وعبدة عن حوشب عن الضحاك الال القرابة

حدثنا

واغا المقصود ان يؤتى به انقياد الامر الله ولرسوله بكاليقع ليظهر الخاص من المنافق فقال أم حسبتم الآية وقد مر وجه اعرابه فى آل عمران عند قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة والوليجة البطانة يعنى الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون فى القوم وليس منهم قال الواحدى يقال هو وليجتى يستوى الواحد والجمع ومعنى الآية لا تحسبوا أن تتركوا على ما أنتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهدين المنافقين من المجاهدين الخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الآية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء فحمدوا فى استقامة السيرة ويجتهدوا فى نقاء السريرة * التأويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التى اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادنها الروح والقلب فى أوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا فى أرض البشرية أربعة أشهر هى مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وأذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشرك الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها فى اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وركنتم الى غير الله فاعلموا أنكم غير معجزى الله عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فباليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم أيها القلوب والارواح من مشركى النفوس على التوافق فى العبودية ثم لم ينقصوكم شيأ من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم أحدا من الشيطان والدنيا فاتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى أوان طلوع فجر

حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن عكرمة عن ابن عباس لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة قال الال القرابة والذمة العهد **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة الال القرابة والذمة الميثاق **حدثنى** محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى كيف وان يظهروا عليكم المشركون لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا * وقال آخرون معناه الحلف ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الحلف والذمة العهد * وقال آخرون الال هو العهد ولكنه كرر لما اختلف اللفظان وان كان معناهما واحدا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا قال عهدا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة قال احداهما من صاحبتها كهيئة غفور رحيم قال فالكلمة واحدة وهى تفترق قال والعهد هو الذمة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال العهد **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال الذمة العهد * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم الا والال اسم يشتمل على معان ثلاثة وهو العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا معنى الله فاذ كانت فى الكلمة تشمل هذه المعانى الثلاثة ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى فالصواب ان يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فيقال لا يرقبون فى مؤمن الله ولا قرابة ولا عهدا ولا ميثاقا ومن الدلالة على انه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل

أفسد الناس حلوف أحلفوا * قطعوا الال واعراق الرحم

بمعنى قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت

لعمرك ان الال فى قريش * كال السقب من رأل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل

وجدناهم كاذبا الهم * وذو الال والعهد لا يكذب

وقد زعم بعض من نسب الى معرفة كلام العرب من البصريين ان الال والعهد والميثاق واليمين واحد والذمة فى هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له والجمع ذمم وكان ابن اسحق يقول عنى بهذه الآية أهل العهد العام **حدثنا** ابن أحمد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف وان يظهروا عليكم أى المشركون الذين لا عهد لهم الى مدة من أهل الشرك العام لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فاما قوله يرضونكم بافواههم فانه يقول يعطونكم بالسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم فى نفوسهم من العداوة والبغضاء وتأبى قلوبهم أى تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بالسنتهم يحذر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله وأن لا يقصروا فى مكروههم بكل ما قدروا عليه وأكثرهم فاسقون يقول وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقضون له كافرون بربهم خارجون عن طاعته ۞ القول فى تأويل قوله (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون) يقول جل ثناؤه ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حجه يسيرا من العوض

العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا النفوس المشركة بسيف النهى عن الشهوات حيث وجدتموهم فى الطاعة بان تكافوها اياها وفى المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم أحبسوهم فى حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد واقبوهم فى الاحوال كلها فان تابوا رجعوا الى الطلب الحق وأقاموا الصلاة أدوا حق العبودية وآتوا الزكاة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية وان أحد من مشركى صفات النفس استجارك باقلب لترك ماهو المخصوص به من الصفات الذميمة فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم أبلغه مامنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس ينجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لايعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركى النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على أهل الدنيا والآخرة وهو مقام أهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتهم الله على العهد بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرحها فى متسع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لايحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة فى عالمى الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله

قال قليلا من عرض الدنيا وذلك انهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم باكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا قال أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله فصدوا عن سبيله فان معناه فمنعوا الناس من الدخول فى الاسلام وحاولوا رد المسلمين عن دينهم انهم ساء ما كانوا يعملون يقول جل ثناؤه ان هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ساء عملهم الذى كانوا يعملون من اشتراائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أو من أراد ان يؤمن ۞ القول فى تاويل قوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) يقول تعالى ذكره لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم فى قتل مؤمن لو قدروا عليه الا ولا ذمة يقول فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم وأولئك هم المعتدون يقول المتجاوزون فيكم الى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء ۞ القول فى تاويل قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يقول جل ثناؤه فان رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله الى الايمان به وبرسوله وأنابوا الى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فادوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به وهو الاسلام ونفصل الآيات يقول ونبين حجج الله وأدلته على خلقه لقوم يعلمون ماسن لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته * وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين يقول ان تركوا اللات والعزى وشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن رجل عن ابن عباس فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين وأبى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله به وقيل فاخوانكم فرفع بضمير فهم اخوانكم اذ كان قد جرى ذكرهم قبل كما قال فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين بمعنى فهم اخوانكم فى الدين ۞ القول فى تاويل قوله (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) يقول تعالى ذكره فان نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وطعنوا فى دينكم يقول وقدحوا فى دينكم الاسلام فشلموه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر يقول فقاتلوا ورؤساء الكفر بالله انهم لا ايمان لهم يقول ان رؤساء الكفر لا عهد لهم لعلهم ينتهون لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم والمظاهرة عليكم * وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التاويل على اختلاف منهم فى المعنيين بأئمة الكفر فقال بعضهم هم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم وكان حذيفة يقول لم يأت أهلها بعد ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى لعلهم ينتهون يعنى أهل العهد من المشركين سماهم أئمة الكفر وهم كذلك يقول الله لنبيه وان نكثوا العهد الذى بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر لانهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى ينتهون فكان من أئمة الكفر أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وهم الذين هموا باخراجه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أئمة الكفر أبو سفيان وأبو جهل وأمية ابن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة **حدثنا** ابن وكيع وابن بشار قال ابن وكيع ثنا غندر وقال ابن بشار ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبى بشر عن مجاهد فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم قال أبو سفيان منهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا اسباط عن السدى وان نكثوا أيمانهم الى ينتهون هؤلاء قريش يقول ان نكثوا عهدهم الذى عاهدوا على الاسلام وطعنوا فيه فقاتلوهم **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر يعنى رؤس المشركين أهل مكة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر أبو سفيان بن حرب وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا باخراج الرسول وليس والله كما تاوله أهل الشبهات والبدع والفرى على الله وعلى كتابه ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية فقاتلوا أئمة الكفر فقال ما قوتل أهل هذه الآية بعد **حدثنى** أبو السائب قال ثنا الاعمش عن زيد بن وهب قال قرأ حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان واسرائيل عن أبى اسحق عن صلة بن زفر انهم لا ايمان لهم لا عهد لهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وان نكثوا أيمانهم قال عهدهم **حدثنا** محمد بن الحسن قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى وان نكثوا أيمانهم عهدهم الذى عاهدوا على الاسلام **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صلة عن عمار بن ياسر فى قوله لا ايمان لهم قال لا عهد لهم **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم قال لا عهد لهم وأما النكث فان أصله النقض يقال منه نكث فلان قرنى حبله اذا نقضها والايمان جمع اليمين * واختلفت القراء فى قراءة قوله انهم لا ايمان لهم فقرأه قراء الحجاز والعراق وغيرهم انهم لا ايمان لهم بفتح الالف من ايمان بمعنى لا عهود لهم على ما قد ذكرنا من قول أهل التاويل فيه وذكر عن الحسن البصرى انه كان يقرأ ذلك انهم لا ايمان لهم بكسر الالف بمعنى لا اسلام لهم وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا وذلك أن يكون أراد بقرأته ذلك كذلك انهم لا أمان لهم أى لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم كأنه أراد المصدر من قول القائل أمنته فانا أؤمنه امانا * قال أبو جعفر والصواب من القرا آت فى ذلك الذى لا أستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الالف دون كسرها لاجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولاجماع أهل التاويل على ما ذكرت من ان تاويله لا عهد لهم والايمان التى هى

الرسول يعنى الواردات الغيبية بانسداد رزنة القلب أول مرة فى أوان الطفولية أتخشونهم فى فوات حظوظها فالله أحق أن تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعنى وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادى فى الباطل من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها أم حسبتم أيها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة وليجة أولياء من الشيطان والدنيا والآخرة (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون

قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين

اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك

آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) القراآت مسجد الله بن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيرتكم على الجمع أبو بكر وحماد وجبلة وضاقت ونحوها مما له حمزة وحبت ثم مظاهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى * الوقوف بالكفر ط أعمالهم ج لعطف المختلفين خالدون ه المهتدين ه في سبيل الله ط عند الله ط والظالمين ه لالتلا يشتبه بالوصف وأنفسهم لالان ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ه مقيم ه لالان ما بعده حال أبدا ط عظيم ه على الايمان ط الظالمون ه بأمره ط الفاسقين ه كثيرة لالعطف الظرف على الظرف حنين لالان اذ ظرف نصركم مدبرين ه ج للآية والعطف كفروا ط الكافرين ه من يشاء ط رحيم ه نصف الجزء وهذا ج ان شاء ط حكيم ه * التفسير انه سبحانه بدأ بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم أراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي عليه السلام ألكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فأنزل الله

بمعنى العهد لا تكون الا بفتح الالف لانها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين ۞ القول في تأويل قوله (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم وطعنوا في دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا باخراج الرسول من بين أظهرهم فاخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعني فعلهم ذلك يوم بدر وقيل قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه يقول فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بتركم جهادهم وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا الا باذن الله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول يقول هموا باخراجه فاخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم بدؤكم أول مرة قال قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك من نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التي ضرب لهم أجلا الا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول الى قوله والله خبير بما تعملون ۞ القول في تأويل قوله (قاتلوا يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) يقول تعالى ذكره قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم يعذبهم الله بايديكم يقول يقتلهم الله بايديكم ويخزهم يقول ويذلهم بالاسر والقهر وينصركم عليهم فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة ويشف صدور قوم مؤمنين يقول ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بايديكم واذلالكم وقهركم اياهم وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الاذى والمكروه وقيل ان الله عنى بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعونتهم بكرا عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن محمد العبقري عن اسباط عن السدي ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة يشف صدورهم من بني بكر حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين قال حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله

مثله ۞ القول فى تأويل قوله (ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) يقول الله تعالى ذكره ويذهب غيظ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين ونقضها وكر بها ما فيها من الوجد عليهم بمعونتهم بكرا عليهم كما حدثنى ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العبقرى عن اسباط عن السدى ويذهب غيظ قلوبهم حين قتلهم بنو بكر واعانتهم قريش حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى مثله الا انه قال وأعانهم عليهم قريش وأما قوله ويتوب الله على من يشاء فانه خبر مبتدأ ولذلك رفع وجزم الاحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة كأنه قال قاتلوهم فانكم ان تقاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ثم ابتدأ فقال ويتوب الله على من يشاء لان القتال غير موجب لهم التوبة من الله وهو موجب لهم العذاب من الله والخزى وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ولم يكن موجبا القتال التوبة فابتدأ الحكم به ورفع ومعنى الكلام ويتوب الله على من يشاء من عباده الكافرين فيقبل توبته بتوفيقه اياه والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه ومن منهم غير أهل لها فيخذله حكيم فى تصريف عباده من حال كفر الى حال ايمان بتوفيق من وفقه لذلك ومن حال ايمان الى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده وغير ذلك من أمرهم ۞ القول فى تأويل قوله (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بالقتال لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم الذى بينهم وبينه بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية حاضا على جهادهم أم حسبتم أيها المؤمنون ان يتركم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به فيعرف الصادق منكم فى دينه من الكاذب فيه ولما يعلم الله الذين جاهدوا يقول أحسبتم ان تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم فى سبيله من المضيعين أمر الله فى ذلك المفرطين ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله يقول ولما يعلم الله الذين آمنوا منكم والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين وليجة هو الشئ يدخل فى آخر غيره يقال منه ولج فلان كذلك يلجه فهو وليجة وانما عنى بها فى هذا الموضع البطانة من المشركين نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون اليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يقول والله ذو خبرة بما تعملون فى اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعد ما قد نهاكم عنه لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم والله مجازيكم على ذلك ان خيرا فخير او ان شرا فشر او بنحو الذى قلت فى معنى الوليجة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا المؤمنين وليجة يتولجها من الولاية للمشركين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع وليجة قال دخلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم حسبتم أن تتركوا الى قوله وليجة قال أنى أتركهم دون التمحيص وقوله أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقرأ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآيات كلها أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أبى الله الا أن يمحص حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وليجة قال هو الكفر والنفاق أو قال

الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك أو يراد المسجد الحرام وجمع لانه قبلة المساجد كلها واماما فعامره كعامر جميع المساجد أولان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزومه واما كثرة اتيانه للصلاة والاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما مرمته وتعهده وليس للمشرك هذا أيضا لانه يجرى مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغى ان يكون للكافر منة على أهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدى الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا فى الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روى انه صلى الله عليه وآله أنزل وفد ثقيف فى المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفى على سارية من سوارى المسجد محمول على تعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم كانه أراد ان يكون ذلك بمحضر منه وهو فى المسجد وقوله شاهدين على أنفسهم حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفى تفسير هذه الشهادة أقوال أصحها انهم أقروا على أنفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبى والقرآن ولهذا قال السدى هى ان النصرانى اذا قيل له ما أنت قال نصرانى واليهودى يقول يهودى وعابد الوثن يقول أنا

عابد الوثن وقيل هى قولهم فى طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ثم

به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لان المرء مالم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقى من الله والى الله ولهذا ورد فى الحديث المصلى يناجى ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفنى هذه التهمة بترك ذكره صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه بقوله واقام الصلاة وآتى الزكاة لانهما معلومتان من أفعاله صلى الله عليه وسلم ولما فى الصلاة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلاة لاريب ان فيها عمارة المسجد والحضور فيه وأما ايتاء الزكاة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكاة ولان ايتاء الزكاة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان مالم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكاة فالظاهر انه لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو أتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار فى جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان ذلك لو ضره فى العاجل فسينفعه فى الآجل وفى ادخال كلمة انما فى صدر الآية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من أهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش

أحدهما وقيل أم حسبتم ولم يقل أحسبتم لانه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام وأدخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ وقد بينت نظائر ذلك فى غير موضع من الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) يقول تعالى ذكره ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر يقول ان المساجد انما تعمر لعبادة الله فيها الا لكفر به فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه ان يعمر مساجد الله وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر فانها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر يقول ما ينبغى لهم أن يعمروه واما شاهدين على أنفسهم بالكفر فان النصارى تسئل ما أنت فيقول نصرانى واليهودى فيقول يهودى والصابئ فيقول صابئ والمشرك يقول اذا سألته ما دينك فيقول مشرك لم يكن ليقوله أحد الا العرب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العبقرى عن أسباط عن السدى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله قال يقول ما كان ينبغى لهم أن يعمروها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى شاهدين على أنفسهم بالكفر قال النصرانى يقال له ما أنت فيقول نصرانى واليهودى يقال له ما أنت فيقول يهودى والصابئ يقال له ما أنت فيقول صابئ وقوله أولئك حبطت أعمالهم يقول بطلت وذهبت أجورها لانهم لم تكن لله بل كانت للشيطان وفى النار هم خالدون يقول ماكثون فيها أبد الاحياء ولا أموات واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مساجد الله على الجمع وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين مسجد الله على التوحيد بمعنى المسجد الحرام وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله مساجد الله على الجمع لانه اذا قرئ كذلك احتمل معنى الواحد والجمع لان العرب قد تذهب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد كقولهم عليه أخلاق ثوب ۞ القول فى تأويل قوله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) يقول تعالى ذكره انما يعمر مساجد الله المصدق بوحدانية الله المخلص له العبادة واليوم الآخر يقول الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها وأدى الزكاة الواجبة عليه فى ماله من أوجبها الله له ولم يخش الا الله يقول ولم يرهب عقوبة شئ على معصيته اياه سوى الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين نظير أن يكون الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وأصابه للصواب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر يقول من وحد بالله وآمن باليوم الآخر يقول أقر بما أنزل الله وأقام الصلاة يعنى الصلوات الخمس ولم يخش الا الله يقول لم يعبد الا الله قال فعسى أولئك يقول ان أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهى الشفاعة وكل عسى فى القرآن فهى واجبة حدثنا ابن أحمد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت ولا أحد أفضل منا فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك انما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فاولئك عمارها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق ۞ القول فى تأويل قوله (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر

أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوء وفي قوله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدار بين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باهتداء المشركين ومغبتهم وفيه ان المؤمن يجب أن لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الامة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال أجعلتم سقاية الحاج ومعناه هبوا ان عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا أن هذه الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن لقوله كمن آمن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت اليهود لهم أنتم أفضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله أولئك أعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول أيضا درجة وقصته ما روي عن

الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فاعلمهم جل ثناؤه ان الفخر في الايمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو الوليد الدمشقي أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى معاوية بن سلام عن جده أبي سلام الاسود عن النعمان بن بشير الانصاري قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال رجل منهم ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقي الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فانزل الله تبارك وتعالى أجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني قال الله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين يعني ان ذلك كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين وذلك ان المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون من أجل انهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لاهل الحرم من المشركين قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني انهم يستكبرون بالحرم وقال به سامرا انهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم بخير الايمان بالله والجهاد مع نبي الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به ان كانوا يعمرون بيته ويحرمونه قال الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا انهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير ان رجلا قال ما أبالي أن أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر مسجدا لله وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صلى الجمعة دخلنا عليه فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يستوون عند الله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو عن الحسن قال نزلت في علي وعباس وعثمان وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أرانا الا نأتي سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا سقايتكم فان لكم فيها خيرا قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل عن الشعبي قال نزلت في علي والعباس تكلما في ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرت عن أبي صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظي افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال عباس أنا صاحب السقاية والقائم ولو أشاء بت في المسجد وقال علي ما أدري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس

النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا أبالي ان لا أعمل عملا بعد ان أسقي الحاج وقال الآخر ما أبالي ان لا أعمل عملا بعد ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فنزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي رضي الله عنه ما أدري ما يقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي رضي الله عنه للعباس بعد ان كان أسلم ألا تهاجر ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما أراني الا تاركا سقايتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف أي أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كحصال من آمن ثم كان لسائل أن يسأل ما بال أحد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين أي المشركين ان الشرك لظلم عظيم وأي ظلم أشنع من وضع أخس الموجودات وهو الاصنام مقام أشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر فافهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين آمنوا الآية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن أورد عليه ان قوله أعظم درجة يوجب ان يكون للمفضول أيضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة وأجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله

وأنا صاحب الجهاد فانزل الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية كلها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قال لما نزلت أجعلتم سقاية الحاج قال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله قال افتخر علي وعباس وشيبة بن عثمان فقال العباس أنا أفضلكم انا أسقي حجاج بيت الله وقال شيبة أنا أعمر مسجد الله وقال علي انا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاهد معه في سبيل الله فانزل الله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الى نعيم مقيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أجعلتم سقاية الحاج الآية أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس اما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فانزل الله أجعلتم سقاية الحاج الآية فتأويل الكلام اذا أجعلتم أيها القوم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون هؤلاء وأولئك ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لان الله تعالى لا يقبل بغير الايمان به وباليوم الآخر عملا والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق لصالح الاعمال من كان به كافرا ولتوحيده جاحدا ووضع الاسم موضع المصدر في قوله كمن آمن بالله اذ كان معلوما معناه كما قال الشاعر

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى * ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل خبر الفتيان ان وهو كما يقال انما السخاء حاتم والشعر زهير ۞ القول في تاويل قوله (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية والآخر بالسدانة والآخر بالايمان بالله والجهاد في سبيله يقول تعالى ذكره الذين آمنوا بالله صدقوا بتوحيده من المشركين وهاجروا دورهم وقومهم وجاهدوا المشركين في دين الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وارفع منزلة عنده من سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون وأولئك يقول وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم انهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم الفائزون بالجنة الناجون من النار ۞ القول في تاويل قوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يقول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم برحمة منه لهم انه قد رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم بانه قد رضي عنهم بطاعتهم اياه وأدائهم ما كلفهم وجنات يقول وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد ثابت دائم أبدا لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد المرسوي قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله سبحانه أعطيكم أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شئ أفضل من هذا فقال رضواني ۞ القول في تاويل قوله (خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) يقول تعالى ذكره خالدين فيها ماكثين فيها يعني في الجنات أبدا الا نهاية لذلك ولا حد ان الله عنده أجرا عظيما يقول ان الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية أجر ثواب على طاعتهم ربهم وأدائهم ما كلفهم من الاعمال عظيم وذلك النعيم الذي وعدهم ان يعطيهم في الآخرة ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان

ذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم أو المراد انهم أعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر أو المراد

الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الاسلام وأهله وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر على الايمان يقول ان اختاروا الكفر بالله على التصديق به والاقرار بتوحيده ومن يتولهم منكم يقول ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ويؤثر المقام معهم على الهجرة الى رسول الله ودار الاسلام فاولئك هم الظالمون يقول فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله فوضعوا الولاية في غير موضعها وعصوا الله في أمره وقيل ان ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا ومن أرض الشرك الى دار الاسلام ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب أنا أسقي الحاج وقال طلحة أخو بني عبد الدار أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فانزلت لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء الى قوله يأتي الله بامره بالفتح في أمره اياهم بالهجرة هذا كله قبل فتح مكة ۞ القول في تاويل قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين) يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام المقيمين بدار الشرك ان كان المقام مع آبائكم وأبنائكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وكانت أموال اقترفتموها يقول اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها بفراقكم لبلدكم ومساكن ترضونها فسكنتموها أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد في سبيله يعني في نصرة دين الله الذي ارتضاه فتربصوا يقول فتنظروا حتى يأتي الله بامره حتى يأتي الله بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد حتى يأتي الله بامره بالفتح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتربصوا حتى يأتي الله بامره فتح مكة **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها يقول تخشون أن تكسد فتبيعوها ومساكن ترضونها قال هي القصور والمنازل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأموال اقترفتموها يقول أصبتموها ۞ القول في تاويل قوله (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) يقول تعالى ذكره لقد نصركم الله أيها المؤمنون في أماكن حرب تستوطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة ويوم حنين يقول وفي يوم حنين أيضا قد نصركم وحنين واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأجري لانه مذكر اسم لمذكر وقد يترك اجراؤه ويراد به ان يجعل اسما للبلدة التي هو بها ومنه قول الشاعر

نصر وانبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال حنين واد الى جنب ذي المجاز اذ أعجبتكم كثرتكم وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا اثني عشر ألفا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم لن نغلب من قلة وقيل قال ذلك رجل

يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات التنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة ألفاظ مؤكدات أولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها أبدا وقال أهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا أعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى أعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى أن الذي ربا كم في الدنيا بالنعم التي لا حد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز ان تكون الرحمة اشارة الى رضا العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية ثم أكد المعاني المذكورة بقوله ان الله عنده أجر عظيم وفي تصدير الجملة الاسمية بان ولفظ عنده وتقديمه وتنكير أجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا

بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك و يجيبه ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون ننشدك الله ان تدعنا الى غير شئ فنضيع فبرق فيحاس منهم و يدع فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الى الآيتين وذكر وافى وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة أخرى قالوها وهى انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار و بينهم و بين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو فى الاصل طلب المحبة ثم ان النهى كان يحتمل ان يكون نهى تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب و يبغض فى الله حتى يحب فى الله أبعد الناس و يبغض فى الله حتى يحب فى الله أقرب الناس وعن ابن عباس هى فى المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر و يصارم أقاربه الكفرة و يقطع موالاتهم فقالوا يارسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا و بقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجر واجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى السبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدى عشيرة الرجل أهله الادنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو والكاسب

من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم كثرتكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت يقول وضاقت الارض بسعتها عليكم والباء ههنا فى معنى فى ومعناه وضاقت عليكم الارض فى رحبها و برحبها يقال منه مكان رحيب أى واسع وانما سميت الرحاب رحابا لسعتها ثم وليتم مدبرين عن عدوكم منهزمين مدبرين يقول وليتموهم الادبار وذلك الهزيمة يخبرهم تبارك وتعالى ان النصر بيده ومن عنده وانه ليس بكثرة العدد وشدة البطش وانه ينصر القليل على الكثير اذا شاء و يخلى القليل يهزم الكثير ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة و يوم حنين حتى بلغ وذلك جزاء الكافرين قال وحنين ما بين مكة والطائف قاتل عليها نبى الله هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بنى نصر وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفى قال وذكر لنا انه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وذكر لنا ان رجلا قال يومئذ لن نغلب اليوم بكثرة قال وذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس وجلوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء وذكر لنا ان نبى الله قال أى رب آتنى ما وعدتنى قال والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نادى يا معشر الانصار و يا معشر المهاجرين فجعل ينادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب سورة البقرة قال فجاء الناس عنقا واحدا فالتفت نبى الله صلى الله عليه وسلم واذا عصابة من الانصار فقال هل معكم غيركم فقالوا يا نبى الله والله لو عدت الى برك الغماد من ذى يمن لكنا معك ثم أنزل الله نصره وهزم عدوهم وتراجع المسلمون قال وأخذ رسول الله كفا من تراب أو قبضة من حصباء فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرانة فقسمها مغانم حنين وتألف أناسا من الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فقالت الانصار حين الرجل الى قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة له من أدم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذى بلغنى ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله وكنتم أذلة فاعزكم الله وكنتم وكنتم قال فقال سعد بن عبادة رحمه الله ائذن لى فاتكلم قال تكلم قال اما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكنا كذلك وكنتم أذلة فاعزكم الله فقد علمت العرب ما كان حى من احياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد أتدرى من تكلم فقال نعم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو سلكت الانصار واديا والناس واديا لسلكت وادى الانصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الانصار كرشى وعيبتى فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار اما ترضون أن ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله ورسوله والله ما قلنا ذلك الا حرصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله و رسوله يصدقانكم و يعذرانكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته أو ظئره من بنى سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أملكهم وانما لى منهم نصيبى ولكن ائتينى غدا فسلينى والناس عندى فانى اذا أعطيتك نصيبى أعطاك الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبا فقعدت عليه ثم سألته فاعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها انصباءهم حدثنى محمد بن الحسين

قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة الآية ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة وأعجبته كثرة الناس وكانوا اثنى عشر ألفا فانهزموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوكلوا الى كلمة الرجل فانهزموا عن رسول الله غير العباس وأبى سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بين يديه فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الانصار أين الذين بايعوا تحت الشجرة فتراجع الناس فانزل الله الملائكة بالنصر فهزموا المشركين يومئذ وذلك قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه قال لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون يومئذ قال فلقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ومامعه أحد الا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب آخذا بغرز النبى صلى الله عليه وسلم لا يألوما أسرع نحو المشركين قال فاتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء فقال ياعباس ناد أصحاب السمرة وكنت رجلا صيتا فاذنت بصوتى الاعلى أين أصحاب السمرة فالتقوا كانهم الابل اذا حنت الى أولادها يقولون يالبيك يالبيك يالبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون وتنادت الانصار يامعشر الانصار ثم قصرت الدعوة فى بنى الحرث بن الخزرج فتنادوا يابنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطول الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ثم قال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة قال فوالله مازال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله قال فكأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب انهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبى ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك فقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عندى من ترون وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء قد جاؤنى مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده منهم شئ فطابت نفسه ان يرده فليفعل ذلك ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا يانبى الله رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل منكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا وسلموا **حدثنا** على بن سهل قال ثنا موصل قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا يعلى بن عطاء عن أبى هميم عن أبى عبد الرحمن يعنى الفهرى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين فلما كدت الشمس لبست لامتى وركبت فرسى حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل شجرة فقلت يارسول الله قد حان الرواح فقال أجل فنادى يابلال يابلال فقام بلال من تحت شجرة فاقبل كأن ظله طير فقال لبيك وسعديك ونفسى فداؤك يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسرج فرسى فاخرج سرجا دفتاه حشوهما ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب النبى صلى الله عليه وسلم فصافقناهم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين كما قال الله فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباد الله يامعشر المهاجرين قال ومال النبى صلى الله عليه وسلم عن فرسه فاخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم فولوا مدبرين قال يعلى بن عطاء فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم انهم قالوا ما بقى منا أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى

بنيت للسكنى فبين تعالى انه يجب تحمل هذه المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله فتربصوا انتظروا بما تحبون حتى يأتى الله بامره عن الحسن هو عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل يعنى القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روى ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما أوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين أراد ان يبين ان كل من أعرض عن الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعى مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لنا مثلا فقال لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة قال الواحدى النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع أقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولاهاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وهى على مافى الصحاح تسع عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير وأحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بنى المصطلق وغزوة أنمار وغزوه ذى قرد وخيبر والحديبية والفتح ويوم حنين أى وفى يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضى الله عنه قال على رضى الله عنه وان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر أى ونصركم يوم حنين لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم

اسحق قال سمعت البراء وسأله رجل من قيس فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال سأله رجل يا أبا عمارة وليتم يوم حنين فقال البراء وأنا أسمع أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ دبره وأبو سفيان يقود بغلته فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فما رؤي يومئذ أحد من الناس كان أشد منه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جعفر ابن سليمان عن عوف الاعرابي عن عبد الرحمن مولى برثن قال ثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام لم يبقوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبنا القوم فكانت اياها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال ويومئذ سمي الله الانصار مؤمنين قال فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ قال كانوا اثني عشر ألفا **حدثنا** محمد بن يزيد الادمي قال ثنا معن بن عيسى عن سعيد بن السائب الطائفي عن أبيه عن يزيد بن عامر قال لما انكشفوا كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فاخذ منها قبضة من تراب فاقبل منها على المشركين وهم يقبعون المسلمين فحثاها في وجوههم وقال ارجعوا شاهت الوجوه قال فانصرفنا ما يلقى أحدا الا وهو يمسح القذى عن عينيه وبه عن يزيد بن عامر السوائي قال قيل له يا أبا حاجز الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين ماذا وجدتم قال وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها الطست فيطن ثم يقول كان في أجوافنا مثل هذا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثني المعتمر بن سليمان عن عوف قال سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم قال ثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها ۞ القول في تاويل قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) يقول تعالى ذكره ثم من بعد ما ضاقت عليكم الارض بما رحبت وتوليتم الاعداء أدباركم كشف الله نازل البلاء عنكم بانزاله السكينة وهي الامنة والطمأنينة عليكم وقد بينا انها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأنزل جنودا لم تروها وهي الملائكة التي ذكرت في الاخبار التي قد مضى ذكرها وعذب الذين كفروا يقول وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه

حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها وجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكرت وانما لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان وما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة وألفان من الطلقاء الاسارى الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المراد من قوله اذ أعجبتكم وقيل قالها أبو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيأ والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة أي لم تعطكم الكثرة شيأ يدفع حاجتكم ولم يفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور في موضع الحال أي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لهربكم اليه وكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين أي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وسلم وأكببنا على الغنائم فاستقبلوا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان

ابن الحرث والذى لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط لقد رأيته وأبو سفيان آخذ بلجام الدابة وهو يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته (٦٥) نحو الكفار لا يعالى وكانت بغلة شهباء ثم قال للعباس

وسلم بالقتل وسبي الاهلين والذراري وسلب الاموال والذلة وذلك جزاء الكافرين يقول هذا الذي فعلنا بهم من القتل والسبي جزاء الكافرين يقول هذا ثواب أهل الجحود وحدانيته ورسالة رسوله

حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وعذب الذين كفروا يقول قتلهم بالسيف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحضرمي عن يعقوب عن جعفر عن سعيد وعذب الذين كفروا قال بالهزيمة والقتل قال **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين قال من بقي منهم ۞ القول في تأويل قوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والانابة اليه من بعد عذابه الذي به عذب من هلك منهم قتلا بالسيف على من يشاء أي يتوب الله على من يشاء من الاحياء يقبل به الى طاعته والله غفور لذنوب من أناب وتاب اليه منهم ومن غيرهم منهم رحيم بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم ولا يؤاخذهم بها بعد انابتهم ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقروا بوحدانيته ما المشركون الا نجس * واختلف أهل التأويل في معنى النجس وما السبب الذي من أجله سماهم بذلك فقال بعضهم سماهم بذلك لانهم يجنبون فلا يغتسلون فقال هم نجس ولا يقربوا المسجد الحرام لان الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر في قوله انما المشركون نجس لا أعلم قتادة قال النجس الجنابة وبه عن معمر قال وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي حذيفة وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال حذيفة يا رسول الله اني جنب فقال ان المؤمن لا ينجس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس أي أجناب * وقال آخرون معنى ذلك ما المشركون الا رجس خنزير أو كلب وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه غير جيد فكرهنا ذكره وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا يقول للمؤمنين فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم وانما عنى بذلك منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام * وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذي قلناه ذكر من ذلك **حدثنا** بشر وابن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء الحرم كله قبلة ومسجد قال فلا يقربوا المسجد الحرام لم يعن المسجد وحده انما عنى مكة والحرم قال ذلك غير مرة وذكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما **حدثنا** عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو ان عمر بن عبد العزيز كتب أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع في نهيه قول الله انما المشركون نجس **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن انما المشركون نجس قال لا تصافحوهم فمن صافحهم فليتوضأ وأما قوله بعد عامهم هذا فانه يعني بعد العام الذي نادى فيه علي رحمة الله عليه ببراءة وذلك عام حج بالناس أبو بكر وهي سنة تسع من الهجرة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو العام الذي حج فيه أبو بكر ونادى علي رحمة الله عليهما بالاذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج نبي الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع لم يحج قبلها ولا بعدها وقوله وان خفتم عيلة يقول للمؤمنين وان خفتم فاقة فقر بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء يقال منه عال يعيل عيلة

ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم أحدا الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر ألفا أو ثمانية آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا أي بالقتل والاسر وأخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بانزال السكينة وهي داعية السكون والثبات بقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الله بقوله

وذلك جزاء الكافرين واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسئلة الجامع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الغاء الجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع ان يكون غيره مشروعا معه وأجابت الشافعية

وعيولا ومنه قول الشاعر ما يدرى الفقير متى غناه * وما يدرى الغنى متى يعيل

وقد حكى عن بعضهم ان من العرب من يقول فى الفاقة عال يعول بالواو وذكر عن عمرو بن قائد انه كان تاول قوله وان خفتم عيلة بمعنى واذ خفتم و يقول كان القوم قد خافوا وذلك نحو قول القائل لابيه ان كنت أبى فما كرمنى بمعنى اذ كنت أبى وانما قيل ذلك لهم لان المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك وأمنهم الله من العيلة وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه وهو الجزية فقال لهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله الى صاغرون وقال قوم بادرار المطر عليهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن قالوا من أين نأكل وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم العير فقال الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فامرهم بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله **حدثنا** هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال كان المشركون يجيؤن الى البيت و يجيؤن معهم بالطعام و يتجرون فيه فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا طعام فانزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فانزل عليهم المطر وكثر خيرهم حتى ذهب عنهم المشركون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن على بن صالح عن سماك عن عكرمة انما المشركون نجس الآية ثم ذكر نحو حديث هناد عن أبى الاحوص **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير قال لما نزلت انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع فنزلت وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن واقد مولى زيد بن جليدة عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت هذه الآية انما المشركون نجس الى قوله عيلة قال الفقر فسوف يغنيكم الله من فضله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية العوفى قال قال المسلمون قد كنا نصيب من تجارتهم و بياعاتهم فنزلت انما المشركون نجس الى قوله من فضله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى أحسبه قال أنبأنا أبو جعفر عن عطية قال لما قيل ولا يحج بعد العام مشرك قالوا قد كنا نصيب من بياعاتهم فى الموسم قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله يعنى بما فانهم من بياعاتهم **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال بالجزية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن يمان وأبو معاوية عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك قال أخرج المشركون من مكة فشق ذلك على المسلمين وقالوا كنا نصيب منهم التجارة والميرة فانزل الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثقفوا وان يقعدوا لهم كل مرصد قذف

قول الهادى من أئمة الزيدية وأما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة أبدانهم واحتج القاضى على ذلك بما روى انه الشيطان

صلى الله عليه وسلم شرب من أوانيهم و بانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام وأولوا الآية بان معناها انهم لا يغتسلون عن

يانه تعالى قال فى هذه الآية وذلك أى الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق اما

قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك أى يسلم ناس منهم روى ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وابرهم

وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا فقيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال ان عندى ما ترون يعنى العساكر الفقراء وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شئ وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فرواعرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه صلى الله عليه وسلم العرفاء ان قد رضوا ثم انه سبحانه أجاب عن شبهة أخرى لهم وذلك ان عليا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة فنبذ اليهم عهدهم قال أناس يا أهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس قال فى الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذوو نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت و يجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة فى الوصف واختلف فى تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضأ وهو

الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث أو انهم بمنزلة الشئ النجس فى وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم أو ان كفرهم الذى هو صفة بمنزلة النجاسة المتصفة بالشئ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن أبى حنيفة وأصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية والدليل عليه قول على عليه السلام فى النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعى المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة أى فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم فى قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله أى من تفضله بوجه آخر قال عكرمة أنزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم أخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل أغناهم من الفىء وعن مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وحرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك أعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله واللجأ اليه وليعلم ان حصول ذلك لا يكون فى كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا الضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم أى باحوالكم حكيم لا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة وصواب * التأويل ما كان

الشيطان فى قلوب المؤمنين ان أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير فعلم الله من ذلك ما علم فقال أطيعونى وامضوا لامرى وأطيعوا رسولى فانى سوف أغنيكم من فضلى فتوكل لهم الله بذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما المشركون نجس الى قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال المؤمنون كنا نصيب من متاجر المشركين فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بان لا يقربوهم المسجد الحرام هذه الآية مع أول براءة فى القراءة وسع آخرها فى التأويل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسن قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** بشر بن معاوية قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام شق ذلك على المسلمين وكانوا يأتون بتبعات ينتفع بذلك المسلمون فانزل الله تعالى ذكره وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فاغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم يأخذونها شهرا شهرا عاما عاما فليس لاحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال الا صاحب الجزية أو عبد رجل من المسلمين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال الا صاحب جزية أو عبد له رجل من المسلمين **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى هذه الآية انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الا أن يكون عبدا واحدا من أهل الجزية **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الزبير عن جابر انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك ان الناس قالوا لنقطعن عنا الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الى قوله وهم صاغرون ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية وأما قوله ان الله عليم حكيم فان معناه ان الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام وغير ذلك من مصالح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه ۞ القول فى تأويل قوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول ولا يصدقون بجنة ولا نار ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق يقول ولا يطيعون الله طاعة الحق وهم اليهود والنصارى وكل مطيع ملكا أو ذا سلطان فهو دائن له يقال منه دان فلان لفلان فهو يدين له دينا قال زهير

لئن حللت بجد في بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقوله من الذين أوتوا الكتاب يعني الذين أعطوا كتاب الله وهم أهل التوراة والانجيل حتى يعطوا الجزية والجزية الغلة من جزى فلان فلانا ما عليه اذا قضاه يجزيه والجزية مثل القعدة والجلسة ومعنى الكلام حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعا عنها * وأما قوله عن يد فانه يعني من يده الى يد من يدفعه اليه وكذلك تقول العرب لكل مغط قاهر له شيأ طائعا له أو كارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فالفم ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد ليد وأما قوله وهم صاغرون فان معناه وهم أذلاء مقهورون يقال الذليل الحقير صاغر وذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بحرب الروم فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * واختلف أهل التاويل في معنى الصغار الذي عناه الله في هذا الموضع فقال بعضهم ان يعطيها وهو قائم والآخذ جالس ذكر من قال ذلك حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري قال ثنا سفيان عن ابن سعد عن عكرمة حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون قال أي تاخذها وأنت جالس وهو قائم * وقال آخرون معنى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن أنفسهم بايديهم يمشون بها وهم كارهون وذلك قول روى عن ابن عباس من وجه فيه نظر * وقال آخرون اعطاؤهم اياها هو الصغار ۞ القول في تاويل قوله (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) اختلف أهل التاويل في القائل عزيرا ابن الله فقال بعضهم كان ذلك رجلا واحدا وهو فنحاص ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله وقالت اليهود عزير ابن الله قال قالها رجل واحد قالوا ان اسمه فنحاص وقالوا هو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء * وقال آخرون بل كان ذلك قول جماعة منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكر قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله في ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى أنى يؤفكون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وانما قالوا هو ابن الله من أجل ان عزيرا كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله انهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وذهل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير ربه وابتهل اليه أن يرد اليه الذي نسخ من صدورهم التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله

نزل

نزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها

على رسوله الروح وعلى القلوب المؤمنة وأنزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها

في أحكام الشريعة وآدابها الطريقة وذلك جزاء الكافرين أي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعي انما

لشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى وجبلت أعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب

الانجروية وأدام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين آمنوا أي القلوب المؤمنة وهاجروا أي الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وأنفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حق الوجود بتجلي صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده أجر عظيم أي من وصل الى مقام العندية فالله العظيم أجره لا تتخذوا آباءكم الاتيان فيهما اشارة الى ان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد النظري لقبول الفيض الالهي ويوم حنين أي حين حنث قلوبكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم أرض الوجود ثم أعرضتم عن الطلب اذا احتجبتم بحجب الكبر مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهي واردات تردعلى الارواح والقلوب فتسكن الى ربها

نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من جوفه من التوراة فاذن فى قومه فقال يا قوم قد آتانى الله التوراة ورددها الى فعلق به علمهم فكثوا ما شاء وهو يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا أنه ابن الله **حدثنى** محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وقالت اليهود عزير ابن الله انما قالت ذلك لانهم ظهرت عليهم العمالقة يقتلونهم وأخذوا التوراة وذهب علماؤهم الذين يقرؤها وقد دفنوا كتب التوراة فى الجبال وكان عزير غلاما يتعبد فى رؤس الجبال لا ينزل الا يوم عيد فجعل الغلام يبكى ويقول رب تركت بنى اسرائيل بغير عالم فلم يزل يبكى حتى سقطت اشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع اذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من ثلاث القبور تبكى وتقول يا مطعماه ويا كاسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل قالت الله قال فان الله حى لم يمت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله قالت فلم تبكى عليهم فلما عرف انه قد خصم ولى مدبرا فدعته فقالت يا عزير اذا أصبحت غدا فائت نهر كذا وكذا فاغتسل منه ثم اخرج فصل ركعتين فانه يأتيك شيخ فما اعطاك فخذه فلما أضبح انطلق عزير الى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيا كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يا بنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل أصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها فلما رجع العلماء أخبروا بشان عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال وكانت فى خوابى مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطاك الله هذا الا انك ابنه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين وقالت اليهود عزير ابن الله لا ينونون عزيرا وقرأه بعض المكيين وبعض الكوفيين عزير ابن الله بتنوين عزير قال هو سم مجرى وان كان عجميا لخفته وهو مع ذلك غير منسوب الى الله فيكون بمنزلة قول القائل قام زيد ابن عبد الله وواقع الابن موقع الخبر ولو كان منسوبا الى الله لكان الوجه فيه اذا كان الابن خبرا الاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه وأما من ترك تنوين عزير فانه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الاول منهما استثقالا لتحريكه قال الراجز

لم يجدنى بالعسر يسرا * وبالغناء مدعسا مكرا * اذا عطيف السلمى فرا

فحذف النون للساكن الذى استقبلها * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ عزير ابن الله بتنوين عزير لان العرب تنون الاسماء اذا كان الابن نعتا للاسم كقولهم هذا زيد ابن عبد الله فاراد والخبر عن عزير بانه ابن الله ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا والابن فى هذا الموضع خبر لعزير لان الذين ذكر الله عنهم انهم قالوا ذلك انما أخبروا عن عزير انه كذلك وان كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يعنى قول اليهود عزير ابن الله يقول نسبة قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح الى أنه لله ابن كذب اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيرا الى أنه لله ابن ولا ينبغى أن يكون لله ولد سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يشبهون **حدثنا** بشر قال ثنا

الذمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذبها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوفات الروحانية ان الله عليم يستحق فضله حكيم فيما قدر من قتال النفوس (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب

الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين

لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) القراآت عزير ابن بالتنوين مكسورة الساكنين عاصم وعلي وسهل و يعقوب الباقون بغير تنوين يضاهؤن بالهمزة عاصم غير الخزاز (٧٠) الآخرون يضاهون بحذف الهمزة ان يطئوا وليطؤوا بحذف الهمزة فيهما يزيد

وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسيء بالتشديد ورش من طريق النجاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير المجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد المجلي وأوقية ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد * الوقوف صاغرون ه المسيح ابن الله ط بافواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ه ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان تكون حالا واستئنافا واحدا ج لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو ط يشركون ه الكافرون ه كله لا لتعلق لو بما قبله المشركون ه عن سبيل الله ط في سبيل الله لا لتعلق الفاء أليم ه أي في يوم وظهورهم ط تكنزون ه حرم ط يقاتلونكم كافة ط المتقين ه فحلوا ما حرم الله ط أعمالهم ط الكافرين ه * التفسير انه سبحانه لما ذكر شبهات المشركين وأجاب عنها بأجوبة صحيحة أراد ان يبين أحكام أهل الكتاب والمقصود تمييزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب في أهل الكتاب القتال أو الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات أربعة وأمر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله من الذين أوتوا الكتاب فدل ذلك على ان أهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم عدي

لا يؤمنون بالله فاورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله وأجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل النصارى يضاهون قول اليهود في عزير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسن قال ثنا حجاج عن ابن جريج يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قول النصارى يضاهؤن قول اليهود **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول قالوا مثل ما قال أهل الاوثان وقد قيل ان معنى ذلك يحكون بقولهم قول أهل الاديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يضاهون بغير همز وقرأه عاصم يضاهؤن بالهمز وهي لغة لثقيف وهما لغتان يقال ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة اذا ماثلته عليه وأعنته * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار واللغة الفصحى وأما قوله قاتلهم الله فان معناه فيما ذكر عن ابن عباس ما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتلهم الله يقول لعنهم الله وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن وقال ابن جريج في ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله قاتلهم الله يعني النصارى كلمة من كلام العرب فاما أهل المعرفة بكلام العرب فانهم يقولون معناه قتلهم الله والعرب تقول قاتلك الله وقاتلها الله بمعنى قاتلك الله قالوا وقاتلك الله أهون من قاتله الله وقد ذكروا انهم يقولون شاقاه الله ما باقاه يريدون أشقاه الله ما أبقاه قالوا ومعنى قوله قاتلهم الله كقوله قتل الخراصون وقتل أصحاب الاخدود واحد وهو بمعنى التعجب فان كان الذي قالوا كما قالوا فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس لان فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلا الا من اثنين كقولهم خاصمت فلانا وقاتلته وما أشبه ذلك وقد زعموا ان قولهم عافاك الله منه وان معناه أعفاك الله بمعنى الدعاء لمن دعاله بان يعفيه من السوء وقوله أنى يؤفكون يقول أي وجه يذهب بهم و يجدون وكيف يصدون عن الحق وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ۞ القول في تاويل قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) يقول جل ثناؤه اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء وقد بينت تاويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا قيل واحدهم حبر وحبر بكسر الحاء منه وفتحها وكان يونس الجرمي فيما ذكر عنه يزعم انه لم يسمع ذلك الا حبر بكسر الحاء ويحتج بقول الناس هذا مداد حبر يراد به مداد عالم وذكر الفراء انه سمعه حبرا وحبرا بكسر الحاء وفتحها والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم قال قراءهم وعلماءهم أربابا من دون الله يعني سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيحلون ما أحلوه لهم فيما قد حرمه الله عليهم ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم كما **حدثني** الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا عبد السلام بن حرب الملائي عن عطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا يحلون لهم فيحلون **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا مالك بن اسمعيل **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب قال ثنا عطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن

عدى بن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ فى سورة براءة فقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال قلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم واللفظ لحديث أبى كريب **حدثنى** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية عن قيس بن الربيع عن عبد السلام بن حرب الهندى عن خصيف عن مصعب بن سعد عن عدى بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة فلما قرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلت يا رسول الله أما انهم لم يكونوا يصلون لهم قال صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون ما أحل الله لهم فتحرمونه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البحترى عن حذيفة انه سئل عن قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن أبى البحترى قال قيل لابى حذيفة فذكر نحوه غير انه قال ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن حبيب عن أبى البحترى قال قيل لحذيفة أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم قال أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم ما أحله الله لهم حرموه فتلك كانت ربوبيتهم قال **حدثنا** جرير وابن فضيل عن عطاء عن أبى البحترى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال انطلقوا الى حلال الله فجعلوه حراما وانطلقوا الى حرام الله فجعلوه حلالا فاطاعوهم فى ذلك فجعل الله طاعتهم عبادتهم ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البحترى قال سأل رجل حذيفة فقال يا أبا عبد الله أرأيت قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن أبى عدى عن أشعث عن الحسن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال فى الطاعة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يقول وزينوا لهم طاعتهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عبد الله بن عباس لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فاطاعوهم فسماهم الله بذلك أربابا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال قلت لابى العالية كيف كانت الربوبية التى كانت فى بنى اسرائيل قال ما أمروا به اتمروا وما نهوا عنه فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم **حدثنى** بشر بن سويد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى البحترى عن حذيفة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال لم يعبدوهم ولكنهم أطاعوهم فى المعاصى وأما قوله والمسيح بن مريم كان معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله وأما قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا فانه يعنى به وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الاحبار والرهبان والمسيح أربابا الا أن يعبدوا

والبرودة والاستاذ أبو اسحق أنكره والقاضى أثبت للصفات سبعة أحوال معللة بتلك الصفات وغيره أنكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله فى الازل ما كان أمرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون أنكروه وقوم من قدماء الاشاعرة أثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهى والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا فى ان خلاف المعلوم هل هو مقدور لله وأما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من أن تحصى ههنا وأجيب بان المجسم خالف فى الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دل على ان الاله العالم ليس بجسم ولا جسمانى وأما الخلاف فى المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية القائلين بان كلام الله تعالى حل فى كل لسان وفى كل جسم كتب فيه القرآن كما نكفر النصارى القائلين بان أقنوم الكلمة حلت فى عيسى الصفة الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسمانى والقرآن دل على ان أهل الجنة يأكلون ويشربون وباللذات يتمتعون اما السعادات الروحانية فمتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أى لا يحرمون ما حرم الله فى القرآن والرسول فى سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال أبو روق أى

لا يعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا باحكام توافق مشتهاهم الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق أى لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة

من جزى يجزى اذا قضى ما عليه قال الواحدى هى ما يعطى المعاهد على عهده وقال فى الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لانهم يجزون بها من (٧٣) عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يدان أى يديها يد المعطى أى عن يد مواتية غير ممتنعة يقال أعطى بيده اذا انقاد وأصحب أو المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد أحد وان أى يدبها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أى بسببها كقوله ينهون عن أكل وعن شرب أى يتناهون فى السمن بسببهما أو المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم بدلا عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود موحدة فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به فى حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن أنس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على فقرائهم فى المدينة اثنى عشر درهما وعلى الاوساط أربعة وعشرين وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين فذهب الشافعى الى ان أقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضى ذهب أبو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب ويروى انه صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك ان كتبهم وهى الصحف التى أنزلت على ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد رفعت الى السماء لاحداث أحدثوها وليس المقصود من أخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير سببا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة يقول لعلهم يتفكرون فى كتابهم فيعرفون صدق محمد وما دعاهم اليه وأيضا فيه حرمة أنبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا

معبودا واحدا وأن يطيعوا الارباب واحدا دون أرباب شتى وهو الله الذى له عبادة كل شئ وطاعة كل خلق المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية لا اله الا هو يقول تعالى ذكره لا تنبغى الالوهة الا لواحد الذى أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته سبحانه عما يشركون يقول تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك فى طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله والقائلون المسيح ابن الله المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله ۞ القول فى تاويل قوله (يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا أن يطفئوا نور الله بافواههم يعنى انهم يجادلون بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعث به رسوله وصدهم الناس عنه بانسنتهم أن يبطلوه وهو النور الذى جعله الله لخلقه ضياء ويابى الله الا أن يتم نوره يعلو دينه وتظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره اتمام الله اياه الكافرون يعنى جاحدية المكذبين به * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم يقول يريدون أن يطفئوا الاسلام بكلامهم ۞ القول فى تاويل قوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) يقول تعالى ذكره الله الذى يابى الا اتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعنى ببيان فرائض الله على خلقه وجميع اللازم لهم وبدين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين كله يقول ليعلى الاسلام على الملل كلها ولو كره المشركون بالله ظهوره علينا * وقد اختلف أهل التاويل فى معنى قوله ليظهره على الدين كله فقال بعضهم ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا شقيق قال ثنى ثابت الحداد أبو المقدام عن شيخ عن أبى هريرة فى قوله ليظهره على الدين كله قال حين خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق قال ثنى من سمع أبا جعفر يقول ليظهره على الدين كله قال اذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين * وقال آخرون معنى ذلك ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليظهره على الدين كله قال ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله فيعطيه اياه كله ولا يخفى عليه منه شئ كان المشركون يكرهون ذلك ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليا كلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانيته ربهم ان كثيرا من العلماء والقراء من بنى اسرائيل من اليهود والنصارى ليا كلون أموال الناس بالباطل يقول ياخذون الرشا فى أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بايديهم كتبا ثم يقولون هذه من عند الله ويا خذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون من أراد الدخول فى الاسلام الدخول فيه بنهيهم اياهم عنه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليا كلون أموال الناس بالباطل أما الاحبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى وأما سبيل الله فمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)

يقول تعالى ذكره ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويأكلها أيضا معهم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونهم في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول بشر الكثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله * واختلف أهل العلم في معنى الكنز فقال بعضهم هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته تأولوا عنى بقوله ولا ينفقونها في سبيل الله ولا يؤدون زكاتها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا حدثنا الحسن ابن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر انه قال كل مال أديت منه الزكاة فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد منه الزكاة وان لم يكن مدفونا فهو كنز حدثني ابن السائب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وجرير عن الاعمش عن عطية عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز قال حدثنا أبي عن العمري عن نافع عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ومالم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا قال حدثنا جرير عن النسائي عن عكرمة قال ما أديت زكاته فليس بكنز حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة والكنز مالم تؤد زكاته وان كان على ظهر الارض وأن قل وان كان كثيرا قد أديت زكاته فليس بكنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر قال قلت لعامر مال على رف بين السماء والارض لا تؤدي زكاته أكنز هو قال يكوى به يوم القيامة * وقال آخرون كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رحمة الله عليه قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبي قال أخبرني أبو حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رحمة الله عليه في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز * وقال آخرون الكنز كل مافضل من المال عن حاجة صاحبه اليه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الله بن معاذ قال ثنا أبي قال ثنا شعبة عن أنس عن عبد الواحد انه سمع أبا يحيى قال كان نعل سيف أبي هريرة من فضة فنهاه عنها أبو ذر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صفرا أو بياضا كوي بها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش وعمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة يقولها بلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فأي مال نتخذ فقال عمر أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأي المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا

مجموع ذلك يحمل على الانتقال الى الاسلام ويسروا الصغار في الآية باخذ الجزية على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قائما والمسلم الذي يأخذ الجزية قاعدا ويأمره بان يخرج يده من جيبه ويحنى ظهره ويطأطئ رأسه فيصب ما معه في كفة الميزان ويأخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس أخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند أبي حنيفة دون الشافعي وانما تؤخذ عند أبي حنيفة في أول السنة وعند الشافعي في آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة وخنثى ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه ويضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفاني والراهب والاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذور وغيرهم قال الشافعي في أحد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول أخذنا ان أيسر والا فهي في ذمته الى أن يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام أو نائبه الذي فوضه اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد أن يقول أقررتكم أو أريت لكم في الاقامة في دار الاسلام على أن تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التي يراها الامام ولا يقر أهل الكتاب بالجزية في أرض الحجاز لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي هو

(١٠ - (ابن جرير) - عاشر) مكة والمدينة وما حاليهما أي قرأها وما روي انه صلى الله عليه وسلم أوصى بان يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب فمحمول على انه أراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في أن

المسلم لا يقتل بالذمي قال لان قوله قاتلوا مشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان
المجموع انتفى عند انتفاء الجزية ولكن انتفاء المجموع يكفي فيه انتفاء أحد أجزائه وأحد الجزأين وهو وجوب قتلهم مرتفع
بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم والجزية كما كان ولقائل أن يقول لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وأنت بصدد اثباته ولما حكم في الآية المتقدمة ان أهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن أسقط التنوين من عزير فلانه اسم أعجمي زائد على ثلاثة أحرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه أسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم ان ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا أنه جاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول أو يجالس الملوك ولعله لم يركب أو لم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه أيضا ان اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فحاص بن عازوراء وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله

اسرائيل عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان بمثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال المهاجرون وأي المال نتخذ فقال عمر اسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه قال فادركته على بعيره فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا فاي المال نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن صدي بن عجلان أبي امامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال نبي الله كيتان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سالم عن ثوبان قال كنا في سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المهاجرون لوددنا انا علمنا أي المال خير فنتخذه اذا نزل في الذهب والفضة ما نزل فقال عمر ان شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا أجل فانطلق فتبعته أوضع على بعيري فقال يا رسول الله ان المهاجرين لما أنزل الله في الذهب والفضة ما أنزل قالوا لوددنا انا علمنا أي المال خير فنتخذه قال نعم فيتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على ايمانه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصحة القول الذي ذكر عن ابن عمر من ان كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله الا أن يتفضل الله عليه بعفوه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة وذلك ان الله أوجب في خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها وفي عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها فاذ كان ذلك فرض الله في الذهب والفضة على لسان رسوله فمعلوم ان الكثير من المال وان بلغ في الكثرة ألوف ألوف لو كان وان أديت زكاته من الكنوز التي أوعد الله اهلها على أهلها العقاب لم يكن فيه الزكاة التي ذكرنا من ربع العشر لان ما كان فرضا اخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه الى أهله لا ربع عشره وذلك مثل المال المغصوب الذي هو حرام على الغاصب امساكه وفرض عليه اخراجه من يده الى يده التي طهر منه رده الى صاحبه فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم أو ما فضل عن حاجة ربه التي لا بد منها لو كان مما يستحق صاحبه باقتنائه اذا أدى الى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره بل كان اللازم له الخروج من جميعه الى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه كالذي ذكرنا من الواجب على غاصب رجل ماله رده على ربه وبعد فان فيما **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال قال معمر أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جبينه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت ابلا الا بطح بقاع قرقر تطؤه باخفافها حسبته قال وتعضه بافواهها يردد أولاها على أخراها حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت غنما فمثل ذلك الا أنها تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها وفي نظائر ذلك من الاخبار التي ذكرها الاطالة بذكرها الدلالة الواضحة على ان الوعيد انما هو من الله على الاموال التي لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لاهلها من

الصدقة

الصدقة لاعلى اقتنائها واكتنازها وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على ان الآية لخاص كما قال ابن عباس وذلك ما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول هم أهل الكتاب وقال هي خاصة وعامة يعني بقوله هي خاصة وعامة هي خاصة من المسلمين فيمن لم يؤد زكاة ماله منهم وعامة في أهل الكتاب لانهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم ان أنفقوا ويدل على صحة ما قلنا في تاويل قول ابن عباس هذا ما حدثني ٧ قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الى قوله هذا ما كنتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الارض أو في بطنها فهو كنز وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الارض أو في بطنها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال الكنز ما كنز عن طاعة الله وفريضته وذلك الكنز وقال افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما وانما قلنا ذلك على الخصوص لان الكنز في كلام العرب كل شئ مجموع بعضه على بعض في بطن الارض كان أو على ظهرها مؤول على ذلك قول الشاعر

لاورى وربي ان أطعمت نازلهم * فرق الحتى وعندي البر مكنوز

يعني بذلك وعندي البر مجموع بعضه على بعض وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض واذا كان ذلك معنى الكنز عندهم وكان قوله والذين يكنزون الذهب والفضة معناه والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها الى بعض ولا ينفقونها في سبيل الله وهو عام في التلاوة لم يكن في الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذي اذا جمع بعضه الى بعض استحق الوعيد كان معلوما ان خصوص ذلك انما أدرك لوقف الرسول عليه وذلك لما بينا من انه المال الذي لم يؤد حق الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته وقد كان بعض الصحابة يقول هي عامة في كل كنز غير انها خاصة في أهل الكتاب واياهم عنى الله بها ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا هشيم قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فالقيت أبا ذر فقلت يا أبا ذر ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية ليست هذه الآية فينا انما هذه الآية في أهل الكتاب قال فقلت انها فينا وفيهم قال فارتفع في ذلك بيني وبينه القول فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان أن اقبل الى قال فاقبلت فلما قدمت المدينة ركبني الناس كانهم لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي تنح قريبا قلت والله اني لن أدع ما كنت أقول حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررنا بالربذة ثم ذكر عن أبي ذر نحوه حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث وهشام عن ابن بشر قال قال أبو ذر خرجت الى الشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية انما هي في أهل الكتاب قال فقلت انها فينا وفيهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بابي ذر قال قلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال فقال نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين فان قال قائل فكيف قيل ولا ينفقونها في سبيل الله

٧ بياض بالاصل

عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من أصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني أحتال فاضلهم فعمري رأسه وأظهر الندامة بما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تتنصر وقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه وأحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم ينزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خالصتي فادع الناس الى نحلتك ولقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني وأني غدا أذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه هذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى والاقرب ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك أنت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل في حق ابراهيم عليه السلام وقال المسيح عليه السلام للحواريين أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء الذي أشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في أحد الطرفين بغلو فاسد في الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم

الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر نظيره قوله وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم أو نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه أما اذا انطلق به فذلك هو الغاية في اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية في الحسن والتأثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة أو انه مذهب لا يساعده دليل فلا تأثير له في القلوب ويحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت في الافواه والالسنة يضاهؤن من قرأ بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهي منقوصا أي شاكل ومن قرأ بالهمز فلمجيء ضاهأت لقولهم ضهيء على فعيل وهي التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهياء على فعلاء بزيادة الهمزة كما في غرفاء لقشرة البيض السفلى لمجيء ضهياء ممدودا بمعناه فلا ثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف أي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاقد الجار والمعنى ان قول هؤلاء المعاصرين للنبي من أهل الكتاب يشبه قول قدمائهم أي انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول أهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهؤن للنصارى فقط أي يشابهون كل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود أقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب معجبا ومستفهما على سبيل الانكار قاتلهم الله أنى يؤفكون بشر كيف يصرفون عن الحق أي هم أحقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم ولمن ضل

فاخرجت الهاء والالف مخرج الكناية عن أحد النوعين قيل يحتمل ذلك وجهين أحدهما ان يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز كانه قيل والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونها في سبيل الله لان الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع والآخران يكون استغنى بالخبر عن احداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الاخرى لدلالة الكلام على ان الخبر عن الاخرى مثل الخبر عنها وذلك كثير موجود في كلام العرب واشعارها ومنه قول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

فقال راض ولم يقل راضون وقال الآخر

ان شرخ الشباب والشعر الاسو * د ما لم يقاص كان جنونا

فقال يقاص ولم يقل يقاصيا في أشياء كثيرة ومنه قول الله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ولم يقل اليهما ۞ القول في تأويل قوله (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) يقول تعالى ذكره فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم اليوم من صلة العذاب الاليم كانه قيل يبشرهم بعذاب أليم يعذبهم الله به في يوم يحمى عليها ويعني بقوله يحمى عليها تدخل النار فيوقد عليها أي على الذهب والفضة التي كنزوها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وكل شئ أدخل النار فقد أحمي احماء يقال منه أحميت الحديد في النار أحميها احماء وقوله فتكوى بها جباههم يعني بالذهب والفضة المكنوزة يحمى عليها في نار جهنم يكوى الله بها يقول يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم ومعناه ويقال لهم هذا ما كنزتم في الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون يقول فيقال لهم فاطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكابرة ومباهاة وحذف من قول هذا ما كنزتم ويقال لهم لدلالة الكلام عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن حميد بن هلال قال كان أبو ذر يقول بشر الكنازين بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل حسن الشباب حسن الجسد حسن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيأ قال وأدبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثني عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة الجملي عن أبي نصرة عن الاحنف بن قيس قال رأيت في مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب وث الهيئة يطوف في الحلق وهو يقول بشر أصحاب الكنوز بكي في جنوبهم وكي في جباههم وكي في ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول ما عسى يصنع بي قريش حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال أبو ذر بشر أصحاب الكنوز بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يوم يحمى عليها في نار جهنم قال حية تنطوي على جبينه وجبهته تقول أنا مالك الذي بخلت به حدثنا

بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ثوبان ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذى تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى طاوس عن أبيه قال بلغنى ان الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول انا كنزك لا يدرك منه شيأ الا أخذه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال والذى لا اله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار دينارا ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته قال **حدثنا** أبى عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال ما من رجل يكوى بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته **القول فى تاويل قوله** (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) يقول تعالى ذكره ان عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله الذى كتب فيه كل ما هو كائن فى قضائه الذى قضى يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم يقول هذه الاثنا عشر الشهور منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن حتى لو لقى الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وبذلك تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال ثنا موسى بن عبيدة الزهدى قال ثنى صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى فى أوسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم **حدثنا** محمد بن معمر قال ثنا روح قال ثنا أشعث عن محمد بن بشر بن موسى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر بين جمادى وشعبان **حدثنى** يعقوب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سليمان التيمى قال ثنى رجل بالبحرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته فى حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبى نجيح قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم

اليهود من ولد هرون والرهبان علماء النصارى من أصحاب الصوامع واختلفوا فى معنى اتخاذهم اياهم أربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم آلهة العالم فقال أكثر المفسرين المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم نقل ان عدى بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدى انا لسنا نعبدهم فقال أليس تحرمون ما أحل الله وتحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل فقال انهم رجعوا وجدوا فى كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا يأخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا أنه يلعنه ويستخفه به بخلاف أولئك الاتباع المعظمين لمتبوعيهم قال الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله فى مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الى كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا سارياً فى عرف الاكثرين قلت ولعلهم توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الآى على ما لم يقف عليه الخلف وقيل فى تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا فى تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ فى ذلك اذا كان مزورا

طالبا للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا يليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف بالامم السالفة وأما المسيح فمن جعلوه ابن الله فقد أهلوه للعبادة والالهية ولعل السبب في افراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه أشنع من قولهم في الاحبار والرهبان أولان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا أحبارهم والمسيح ابن مريم أربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما أمروا الضمير للمتخذين والذي أمرهم بذلك أدلة العقل والكتب السماوية وفي القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار والرهبان أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الابان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعال أهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال أمر محمد وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون أن يطفؤا نور الله أي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بهما وذلك ان دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى ولا سيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة أرادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو أشد الانوار المحسوسة بسبب أن ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويابى الله الا أن يتم نوره أي لم يرد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان أرادوا ظلمنا أبينا * امتدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم أكد ذلك المعنى بقوله هو الذي أرسل رسوله

قال في خطبته يوم منى ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وهو قول عامة أهل التأويل ٧ ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم اما أربعة حرم فذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأما كتاب الله فالذي عنده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله قال يذكر بها شأن النسيء وأما قوله ذلك الدين القيم فان معناه هذا الذي أخبرتكم به من ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله وان منها أربعة حرما هو الدين المستقيم كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذلك الدين القيم يقول المستقيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك الدين القيم قال الامر القيم يقول قال تعالى واعلموا أيها الناس ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتبت فيه كل ما هو كائن وان من هذه الاثني عشر الشهر أربعة أشهر حرما ذلك دين الله المستقيم لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحل من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها وأما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان معناه فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال الظلم العمل بمعاصي الله والترك لطاعته ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله فيهن فقال بعضهم عاد ذلك على الاثني عشر شهرا وقال معناه ولا تظلموا في الاشهر كلها أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في الاربعة الاشهر الحرم أنفسكم والهاء والنون عائدة على الاشهر الاربعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواه وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال ان الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظم الامور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في تصييركم حرام الاشهر الاربعة حلالا وحلالها حراما أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر

شهرا

بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات ودين الحق وهو اشتماله على أمور يظهر لكل أحد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية أمره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله أى ليجعل الرسول أو دين الحق غالبا على أهل الاديان كلهم أو على كل دين عن أبى هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدى ذلك عند خروج المهدى عليه السلام لا يبقى أحد الا دخل فى الاسلام وأدى الخراج قلت قد دخل فى عصرنا من الملوك الكفرة ومن أشياعهم فى الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون فى الاسلام وقد جاء فى الحديث زويت لى الارض فاريت مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وقيل ليظهره الاسلام على غيره فى جزيرة العرب وهذا تخصيص أوجبه ضيق العطن وقيل ليظهره الرسول على جميع شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شئ من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار فى بعض الاقطار ظاهرة ولقائل أن يقول ان المسلمين فى تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام أحكامه قوله هو الذى أرسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء وأراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة انه هو المعطى لمثل هذه النعمة التى لا يوازنها نعمة وهى نعمة الهدى والاسلام وقوله ولو كره الكافرون

شهرا الى قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسىء الذين كانوا يصنعون ذلك زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا الآية **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن عبد الاعلى فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم لانفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسين بن محمد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال فلا تظلموا فى الاشهر الاربعة أنفسكم باستحلال حرامها فان الله عظمها وعظم حرمتها وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى تاويله لقوله فلا تظلموا فيهن فاخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جميع ما بين الثلاثة الى العشرة وذلك ان العرب تقول فيما بين الثلاثة الى العشرة اذا كنت عنه فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ولاربعة أيام بقين واذا أخبرت عما فوق العشرة الى العشرين قالت فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ولاربع عشرة مضت فكان فى قوله جل ثناؤه فلا تظلموا فيهن أنفسكم واخراجه كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة الى العشرة الدليل الواضح على ان الهاء والنون من ذكر الاشهر الاربعة دون الاثنى العشر لان ذلك لو كان كناية عن الاثنى العشر الشهر لكان فلا تظلموا فيها أنفسكم فان قال قائل فما أنكرت ان يكون ذلك كناية عن الاثنى العشر وان كان الذى ذكرت هو المعروف فى كلام العرب فقد علمت ان المعروف من كلامها اخراج كناية ما بين الثلاث الى العشر بالهاء والنون وقد قال الشاعر

أصبحت فى فرع وفى داراتها * سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل معلوفاتهن وذلك كناية عن السبع قيل ان ذلك وان كان جائزا فليس الافصح الاعرف فى كلامها وتوجيه كلام الله الى الافصح الاعرف أولى من توجيهه الى الانكر فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فقد يجب ان يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا فى غيرهن من سائر شهور السنة قيل ليس ذلك كذلك بل ذلك حرام علينا فى كل وقت وزمان ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الاشهر وشرفهن على سائر شهور السنة تخص الذنب فيهن بالتعظم كما خصهن بالتشريف وذلك نظير قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولا شك ان الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله حافظوا على الصلوات ولم يرخص فى ترك المحافظة عليهن بامره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما وعلى المحافظة عليها توكيدا وفى تضييعها تشديدا فكذلك ذلك فى قوله منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأما قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فانه يقول جل ثناؤه وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين مؤتلفين غير متفرقين كما يقاتلونكم المشركون جميعا مجتمعين غير متفرقين كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اما كافة فجميع وأمركم مجتمع **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوا المشركين كافة يقول جميعا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا والكافة فى كل حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع لانها وان كانت بلفظ فاعلة فانها فى معنى المصدر كالعافية والعاقبة ولا يدخل العرب فيها الالف واللام لكونها آخر الكلام مع الذى فيها من معنى المصدر كما يدخلونها مع اذ فالوا قاموا معا وقاموا جميعا واما قوله واعلموا أن الله مع المتقين

وفى الآية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا للدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى أيضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركى قريش ثم لما وصفت رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق أراد أن يصفهم بالطمع

والحرص فقال يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الزينة والتبرج تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه ولعمري ان من تامل في أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كانها ما أنزلت الا في شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الجنة ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويحتمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن المحق والمبطل والكل على الباطل وانبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن أخذهم أموال الناس بالاكل تسمية للشئ باسم ما هو أعظم مقاصده وأيضا من أكل شيأ فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كالو أخذه ولهذا فان من أخذ أموال الناس فاذا طولب بردها قال أكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا يأخذون الرشا في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرائع وفي اخفاء بعث محمد وتاول الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الحق انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا الطريق الى تقوية دينهم الا اذا كان أولئك الفقهاء أقوياء عظماء أصحاب الجاه والحشمة والاموال كما تفعله المزورون في زماننا هذا أما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه يمنعون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم بترك

فان معناه واعلموا أيها المؤمنون بالله انكم ان قاتلتم المشركين كافة واتقيتم الله فاطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شئ لان الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه * القول في تاويل قوله (انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) يقول تعالى ذكره ما النسيء الا زيادة في الكفر والنسيء مصدر من قول القائل نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك أي زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا وكل زيادة حدثت في شئ فالشئ الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ولذلك قيل للبن اذا كثر بالماء نسيء وقيل للمرأة الحبلى نسو ونسيت المرأة لزيادة الولد فيها وقيل نسأت الناقة وانسأتها اذا أخرت في السير لزيادة سيرها وقد يحتمل ان النسيء فعيل صرف اليه من مفعول كما قيل اعيز وقتيل بمعنى ملعون ومقتول ويكون معناه انما الشهر المؤخر زيادة في الكفر وكان القول الاول أشبه بمعنى الكلام وهو ان يكون معناه انما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الاربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حراما زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك انما النسي بترك الهمز وترك مده يضل به الذين كفروا واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يضل الله بالنسيء الذي ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يزول عن محجة الله التي جعلها لعباده طريقا يسلكونه الى مرضاته الذين كفروا وقد حكي عن الحسن البصري يضل به الذين كفروا بمعنى يضل بالنسيء الذي سنه الذين كفروا والناس * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان يقال هما قراءتان مشهورتان قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به وهما متقاربتا المعنى لان من أضله الله فهو ضال ومن ضل فبإضلال الله اياه وخذلانه له ضل فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيب وأما الصواب من القراءة في النسيء فالهمز وقراءته على تقدير فعيل لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار التي لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه وأما قوله يحلونه عاما فان معناه يحل الذين كفروا النسيء والهاء في قوله يحلونه عائدة عليه ومعنى الكلام يحلون الذين أخروا تحريمه من الاشهر الاربعة الحرم عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرموا منها عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم يقول حسن لهم وحبب اليهم سيئ أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته والله لا يهدي القوم الكافرين يقول والله لا يوفق لمحاسن الافعال وجملها والله فيه رضي القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس الاشهر الحرم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما النسيء زيادة في الكفر قال النسيء هو ان جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فيوافي الموسم كل عام فينادي ألا ان أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب ألا وان صفر العام الاول العام حلال فيحله الناس فيحرم صفرا عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر الى قوله الكافرين وقوله انما النسيء زيادة في الكفر يقول يتركوا المحرم عاما وعاما يحرمونه * قال أبو جعفر وهذا التأويل من تاويل ابن عباس يدل على صحة قراءة من قرأ النسي بترك

عند العوام لو أقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز

بترك الهمز وترك المد وتوجيهه معنى الكلام الى أنه فعل من قول القائل نسيت النسى انساه ومن قول الله نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا الله فتركهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما النسى زيادة فى الكفر قال فهو المحرم كان يحرم عاما وصفرعاما وزيد صفرآخر فى الاشهر الحرم وكان يحرمون صفرا مرة ويحلونه مرة فعاب الله ذلك وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبى وائل انما النسى زيادة فى الكفر قال كان النسى رجلا من بنى كنانة وكان ذا رأى فيهم وكان يجعل سنة المحرم صفرا فيغزون فيه ويصيبون ويحرمه سنة قال حدثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى وائل انما النسى زيادة فى الكفر الآية وكان رجل من بنى كنانة يسمى النسىء فكان يجعل المحرم صفرا ويستحل فيه الغنائم فنزلت هذه الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال كان رجل من بنى كنانة يأتى كل عام فى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس انى لا أعاب ولا أحاب ولا مرد لما أقول انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفرا ثم يجىء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفرا وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله قال يعنى الاربعة فيحلوا ما حرم الله لتأخيرهذا الشهر الحرام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر النسىء المحرم وكان يحرم المحرم عاما ويحرم صفرا عاما فالزيادة صفر وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم فيحلوا ما حرم الله وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما النسى زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين عمدا ناس من أهل الضلالة فزادوا صفرا فى الاشهر الحرم فكان يقوم قائمهم فى الموسم فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت العام المحرم فيحرمونه ذلك العام ثم يقوم فى العام المقبل فيقول الا ان آلهتكم قد حرمت صفر فيحرمونه ذلك العام وكان يقال لهما الصفران قال فكان أول من نسأ النسى بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة أبو عامر صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحرث ثم أحد بنى كنانة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما النسى زيادة فى الكفر قال فرض الله الحج فى ذى الحجة قال وكان المشركون يسمون ذا الحجة والمحرم وصفرور بيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة يحجون فيه مرة أخرى ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون يسمون صفرا صفرا ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون شوالا رمضان ثم يسمون ذا القعدة شوال ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا مثل هذه القصة فكانوا يحجون فى كل شهر عامين حتى وافق حجة أبى بكر رحمة الله عليه الآخر من العامين فى ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم حجته التى حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما النسى زيادة فى الكفر قال يحجون فى ذى الحجة عامين ثم يحجون فى المحرم عامين ثم يحجون فى صفر عامين فكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبى بكر الآخرة من العامين فى ذى القعدة قبل حجة النبى صلى الله عليه وسلم بسنة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم من قابل فى ذى الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار

بترك الهمز وترك المد وتوجيهه معنى الكلام الى أنه فعل من قول القائل نسيت النسى انساه ومن قول الله نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا الله فتركهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما النسى زيادة فى الكفر قال فهو المحرم كان يحرم عاما وصفرعاما وزيد صفرآخر فى الاشهر الحرم وكان يحرمون صفرا مرة ويحلونه مرة فعاب الله ذلك وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبى وائل انما النسى زيادة فى الكفر قال كان النسىء رجلا من بنى كنانة وكان ذا رأى فيهم وكان يجعل سنة المحرم صفرا فيغزون فيه ويصيبون ويحرمه سنة قال حدثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى وائل انما النسى زيادة فى الكفر الآية وكان رجل من بنى كنانة يسمى النسىء فكان يجعل المحرم صفرا ويستحل فيه الغنائم فنزلت هذه الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال كان رجل من بنى كنانة يأتى كل عام فى الموسم على حماره فيقول أيها الناس انى لا أعاب ولا أحاب ولا مرد لما أقول انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفرا ثم يجىء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله قال يعنى الاربعة فيحلوا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر النسىء المحرم وكان يحرم المحرم عاما ويحرم صفرا عاما فالزيادة صفر وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم فيحلوا ما حرم الله وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما النسى زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين عمدا ناس من أهل الضلالة فزادوا صفرا فى الاشهر الحرم فكان يقوم قائمهم فى الموسم فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت العام المحرم فيحرمونه ذلك العام ثم يقوم فى العام المقبل فيقول الا ان آلهتكم قد حرمت صفر فيحرمونه ذلك العام وكان يقال لهما الصفران قال فكان أول من نسأ النسى بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة أبو عامر صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحرث ثم أحد بنى كنانة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما النسى زيادة فى الكفر قال فرض الله الحج فى ذى الحجة قال وكان المشركون يسمون ذا الحجة والمحرم وصفرور بيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة يحجون فيه مرة أخرى ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون يسمون صفرا صفرا ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون شوالا رمضان ثم يسمون ذا القعدة شوال ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا مثل هذه القصة فكانوا يحجون فى كل شهر عامين حتى وافق حجة أبى بكر رحمة الله عليه الآخر من العامين فى ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم حجته التى حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما النسى زيادة فى الكفر قال يحجون فى ذى الحجة عامين ثم يحجون فى المحرم عامين ثم يحجون فى صفر عامين فكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبى بكر الآخرة من العامين فى ذى القعدة قبل حجة النبى صلى الله عليه وسلم بسنة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم من قابل فى ذى الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار

مكنزة الحكم واكنز الشئ اجمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد أراد أن يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن أموالهم وقيل المقصود مانعوا الزكاة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى فى أخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بابى ذر فقلت له ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعاوية فى هذه الآية فقال معاوية نزلت فى أهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان يشكونى فكتب الى عثمان ان أقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عنى كانهم لم يرونى من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فقلت انى والله لا أدع ما كنت أقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رأيت أبا ذر يقول بشر الكافرين برضف يوم يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بى قريش واختلف علماء الصحابة فى هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذى لم تؤد زكاته عن عمر بن الخطاب مال أدى زكاته ليس بكنز وقال ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وكل مال لم يؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا ينفقونها

فى سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضى ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير

فهو مذموم سواء أديت زكاته أو لم تؤد جهة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا تسألون عما كنتم تعملون وقوله عليه السلام كل امرئ أحق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى ولم تزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من أكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث أو الاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر المريض بتصدق الكل بل الصحيح في حال صحته حجة الاقلين عموم الآية ومارو ى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له صلى الله عليه وسلم أي مال يتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره دينار ان فقال كيتان وعن علي رضي الله عنه كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه مازاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه و يؤدي عنه ما أوجب عليه ثم يعاقبه وقال أهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لان تزايد المال لاحد له يقف هنالك فينجر الى تضييع العمر تارة في تحصيله وأخرى في حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى

كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك انما النسيء زيادة في الكفر قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفرا فيستحلون فيه الحرمات فانزل الله انما النسيء زيادة في الكفر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية قال هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يعدا اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم فقال ننسيه العام هما العام صفران فاذا كان عاما قابلا قضينا فجعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عاما قابلا قال لا تغز وا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان المحرم أنسأناه عاما أول ونقضيه ذلك الانساء وقال شاعرهم * ومنا منسئ الشهور القلمس * وأنزل الله انما النسيء زيادة في الكفر الى آخر الآية وأما قوله زيادة في الكفر فان معناه زيادة كفر بالنسيء الى كفرهم بالله وقيل ابتداعهم النسيء كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انما النسيء زيادة في الكفر يقول ازدادوا به كفرا الى كفرهم وأما قوله ليواطؤا فانه من قول القائل واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة اذا وافقته عليه معينا له غير مخالف عليه وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول يشبهون وذلك قريب المعنى مما بينا وذلك ان ما شابه الشيء فقد وافقه من الوجه الذي شابهه وانما معنى الكلام انهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الاشهر الاربعة التي حرمها الله لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها وان قدموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم عدة ما حرم الله ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك يقول جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله مالكم أي شيء أمركم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله يقول اذا قال لكم رسول الله محمد انفروا أي اخرجوا من منازلكم الى مغازيكم وأصل النفر مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك ومنه نفور الدابة غيرانه يقال من النفر الى الغزو نفر فلان الى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا وأحسب ان هذا من الفروق التي يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وان اتفقت معاني الخبر في معنى الكلام مالكم أيها المؤمنون اذا قيل لكم اخرجوا غزاة في سبيل الله أي في جهاد أعداء الله اثاقلتم الى الارض يقول تثاقلتم الى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها وقيل اثاقلتم لانه أدغم التاء في الثاء فاحدث لها ألف ليتوصل الى الكلام بها لان التاء مدغمة في الثاء ولو أسقطت الالف وابتدئ بها لم تكن الا متحركة فاحدثت الالف لتقع الحركة بها كما قال جل ثناؤه حتى اذا ادارکوا فيها جميعا وكما قال الشاعر

قول الضجيع اذا ما * ساقها اخرا عذب المذاق * اذا ما تابع القبل

فهو بين الفعل افتعلتم من التثاقل وقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة يقول جل ثناؤه أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين في جنانه فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة يقول فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدها الله لاوليائه وأهل طاعته الا قليل يسير يقول لهم فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وشرف الكرامة التي عند الله لاوليائه بطاعته والمسارعة الى الاجابة الى

وآما استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا أدى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية

أمره في النفير لجهاد عدوه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين أمروا بالنفير في الصيف حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض الآية قال هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف حين اخترفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج قال فقالوا منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمتشرد به أمره في ذلك كله فانزل الله انفروا خفافا وثقالا ۞ القول في تاويل قوله (الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفر الى عدوهم من الروم ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا في الدنيا بتركيكم النفر اليهم عذابا موجعا ويستبدل قوما غيركم يقول يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون اذا استنفروا ويجيبونه اذا دعوا ويطيعون الله ورسوله ولا تضروه شيأ يقول ولا تضروا الله بتركيكم النفير ومعصيتكم اياه شيأ لانه لا حاجة به اليكم بل أنتم أهل الحاجة اليه وهو الغني عنكم وأنتم الفقراء والله على كل شئ قدير يقول جل ثناؤه والله على اهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الاشياء قدير وقد ذكروا ان العذاب الاليم في هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثني عبد المؤمن بن خالد الحنفي قال ثني نجدة الخراساني قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه فامسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم فذلك قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن نجدة قال سألت ابن عباس فذكر نحوه الا أنه قال فكان عذابهم ان أمسك عنهم المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما استنفر الله المؤمنين في لهبان الحر في غزوة تبوك قبل الشام على ما يعلم الله من الجهد وقد زعم بعضهم ان هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون فنسختها الآية التي تليها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون * قال أبو جعفر ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا يجب التسليم له ولا حجة تأتي بصحة ذلك وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد وجائز أن يكون قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما خاص من الناس ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس واذا كان ذلك كذلك كان قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة نهيا من الله المؤمنين عن اخلاء بلاد الاسلام بغير مؤمن مقيم فيها راعلاما من الله لهم ان الواجب النفر على بعضهم دون بعض وذلك على من استنفره منهم دون من لم يستنفروا واذا كان ذلك كذلك لم يكن في احدى الآيتين نسخ للاخرى وكان حكم كل واحدة منهما ماضيا فيما

على وعيد مانعي الزكاة في النقود قاس الزكاة في المواشي عليه وقد ورد أيضا في الحديث ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن أوجب الزكاة في الحلي المباح الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشملها ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكاة في الحلي المباح ولم يصححه أبو عيسى الترمذي وبتقدير ان يصح حملوه على اللآلي لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها واقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللآلي لم تبق لتقييد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز أو الاموال أو لان كل واحد منهما جملة واحدة وقيمة وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ أي ولا ينفقون من الفضة وحذف الذهب اما لانه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر أحدهما عن الآخر كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا واما لان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله * فاني وقيار بها لغريب * وقيار كذلك ثم قال

فبشرهم بعذاب أليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح أو من الغم فكان حقيقة يوم يحمى عليها معناه ان النار تحمى عليها أي يوقد عليها نار ذات حمي وحر شديد من

قوله نار حامية ولو قيل يوم يحمى أى الكنوز كقولك أحميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء فى تخصيص هذه الاعضاء بالكى وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح فى القلب يظهر أثره فى الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة ولما فى داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكى على الاعضاء لانها اما فى غاية النظافة ومثاله الجبهة واما فى غاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها الجمال فى الوجه والقوة فى الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول أبى بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جنبيه واذا قعد بجنبيه تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره وانا أقول يحتمل أن يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلق حين خلف ما أعقبه الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال فى مرضاة الله وأنفقه فى معصيته وسخطه وهذا بالتأويل ألبق ثم الذى جعل كيا هو كل ماله أو قدر الزكاة الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا فى كل ماله فناسب أن يعذب بكل الاجزاء ثم قال هذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه توبيخ واشعار بانهم عوضوا بنقيض ما قصدوا وأكد ذلك بقوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية أو موصولة والمعنى

عنيف به ۞ القول فى تأويل قوله (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وهذا اعلام من الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه واظهاره عليهم دونهم أعانوه أو لم يعينوه وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد فى قلة والعدو فى كثرة فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدو فى قلة يقول لهم جل ثناؤه الا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولى اذا استنفركم فتنصروه فالله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره اذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ثانى اثنين يقول أخرجوه وهو أحد الاثنين أى واحد من الاثنين وكذلك تقول العرب هو ثانى اثنين يعنى أحد الاثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة يعنى أحدا لثلاثة واحد الاربعة وذلك خلاف قولهم أخوسته وغلام سبعة لان الاخ والغلام غير الستة والسبعة وثالث الثلاثة أحد الثلاثة وانما عنى جل ثناؤه بقوله ثانى اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه لانهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش اذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا فى الغار وقوله اذ هما فى الغار يقول اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه فى الغار والغار النقب العظيم يكون فى الجبل اذ يقول لصاحبه يقول اذ يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر لا تحزن وذلك انه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا الينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله على عدوه وهو بهذا الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله وبحوجه اليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا تنصروه ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعثه يقول الله فانا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته اذ ذاك وهو ثانى اثنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا تنصروه فقد نصره الله قال ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعث فانه فاعل به كذلك ناصره كما نصره اذ ذاك ثانى اثنين اذ هما فى الغار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تنصروه فقد نصره الله الآية قال فكان صاحبه أبو بكر وأما الغار فجبل بمكة يقال له ثور حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه وكان لابى بكر منيحة من غنم تروح على أهله فارسل أبو بكر عامر بن فهيرة فى الغنم الى ثور وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبى صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثور وهو الغار الذى سماه الله فى القرآن حدثنى يعقوب بن ابراهيم بن جبير الواسطى قال ثنا عفان وحبان قالا ثنا همام عن ثابت عن أنس ان أبا بكر رضى الله عنه حدثهم قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وأقدام المشركين فوق رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال مكث أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى اذ هما فى الغار قال فى الجبل الذى يسمى ثورا مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبيه ان أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل انا قال اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر وقال انا والله

اعرفوا وبال كفركم كافرين أو وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال

ان عدة الشهور والآيتان وذلك انه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غير وائتلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة في كفرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال أبو علي الفارسي لا يجوز أن يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر أعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدال ان تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في أول ما خلق الله العالم ويجوز أن يكون في كتاب الله صفة اثني عشر أي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز أن يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول أي فيما أثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها أربعة حرم ثلاثة سرد أي مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه تركه فلا تظلموا فيهن أي في الاشهر الاربعة أنفسكم بان تحللوا حرامها

صاحبه ۞ القول في تاويل قوله (فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره فانزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل على أبي بكر وأيده بجنود لم تروها يقول وقواه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهي كلمة الشرك السفلى لانها قهرت وأذلت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الاعلى وكلمة الله هي العليا يقول ودين الله وتوحيده وقول لا اله الا الله وهو كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهي الشرك بالله وكلمة الله هي العليا وهي لا اله الا الله وقوله وكلمة الله هي العليا خبر مبتدأ غير مردود على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى لان ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الاولى لكان نصبا وأما قوله والله عزيز حكيم فانه يعني والله عزيز في انتقامه من أهل الكفر به لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب ولا ينصر من عاقبه ناصر حكيم في تدبيره خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته ۞ القول في تاويل قوله (انفروا خفافا وثقالا) اختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه فقال بعضهم معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع الشباب ومعنى الثقل الشيخوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن في قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشبانا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن قال شيوخا وشبانا قال حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة انفروا خفافا وثقالا قال كهولا وشبانا ما أسمع عذروا أحدا يخرج الى الشام فيها حتى مات حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان قال كان رجل من النخع وكان شيخا بادنا فاراد الغزو فمنعه سعد بن أبي وقاص فقال ان الله يقول انفروا خفافا وثقالا فاذن له سعد فقتل الشيخ فسأل عنه بعد عمر فقال ما فعل الشيخ الذي كان من بني هاشم ؟ فقالوا قتل يا أمير المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن اسمعيل عن أبي صالح قال الشاب والشيخ قال حدثنا أبو اسامة عن مالك بن مغول عن اسمعيل عن عكرمة قال الشاب والشيخ قال حدثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك كهولا وشبانا قال حدثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمي عن جعفر بن حيد عن بشر بن عطية كهولا وشبانا حدثنا الوليد قال ثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان في قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وكهولا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشيوخا وأغنياء ومساكين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن شيوخا وشبابا حدثني سعيد بن عمرو قال ثنا مقبة قال ثنا جرير قال ثني حبان بن زيد الشرعبي قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل الافسون الى الخراجية فلقيت شيخا كبيرا هما قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فممن أعان فاقبلت عليه فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا من يحبه الله يبتليه ثم يعبده فيقتله انما يبلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسمعيل عن أبي صالح انفروا خفافا وثقالا قال كل شيخ وشاب * وقال آخرون معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن

الحكم فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال مشاغيل وغير مشاغيل * وقال آخرون معناه انفروا أغنياء وفقراء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال أغنياء وفقراء * وقال آخرون معناه نشاطا وغير نشاط ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انفروا خفافا وثقالا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خفافا وثقالا قال نشاطا وغير نشاط * وقال آخرون معناه ركبانا ومشاة ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد قال قال أبو عمرو اذا كان النفر الى دروب الشام نفر الناس اليها خفافا ركبانا واذا كان النفر الى هذه السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا ركبانا ومشاة * وقال آخرون معنى ذلك ذا يعة وغير ذى ضيعة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال الثقيل الذى له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته و يخرج والخفيف الذى لا ضيعة له فقال الله انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى انه ذكر له ان ناسا كانوا عسى ان يكون أحدهم عليلا أو كبيرا فيقول ان أحسب بى أنا فال أثم وأنزل الله انفروا خفافا وثقالا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين الا وهو فى آخرين الا عاما واحدا وكان أبو أيوب يقول انفروا خفافا وثقالا فلا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا جرير عن عثمان عن راشد بن سعد عمن رأى المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثابوت من ثوابيت الصيارفة بحمص وقد فصل عنه من عظمه نقات له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا حدثنا سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا جرير قال ثنى عبد الرحمن بن ميسرة قال ثنى أبو راشد الحبرانى قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على ثابوت من ثوابيت الصيارفة بحمص قد فصل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه فى سبيله خفافا وثقالا وقد يدخل فى الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا يسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادرا على الظهر والركاب ويدخل فى الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال فاذ كان قد يدخل فى الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف فى الكتاب ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نصب على خصوصه دليلا وجب ان يقال ان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال من أحوال الخفة والثقل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مسلم بن صبيح قال أول ما نزل من براءة انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مثله حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ان أول ما نزل من براءة لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة قال يعرفهم نصره ويوطنهم لغزوة تبوك ۞ القول فى تأويل قوله (وجاهدوا

لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه أن لبعض الاوقات أثرا فى زيادة الثواب أو العقاب كالامكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء أوقاتا مخصوصة وفيه فائدة أخرى هى ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو أمر مطلوب فى نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد أو لاعتقاده ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلى ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع أقرب الى اتحاد الآراء ولطائف الكلمة وقيل الضمير فى قوله فيهن عائد الى اثنى عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد مدة عمره أو المراد المنع من الشئ على ما يجئ، قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب أن يخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلاثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الوحدة قال حسان

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ويقال لثلاث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهر الآية يدل على اباحة القتال فى جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا ونصبه على

المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان فعن ابن عباس قاتلوهم (٨٧) بكليتهم ولا تحيوهم بترك القتال كما انهم يستحلون

بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ورسوله من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم فانفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم حتى ينقادوا لكم فيحلوا فيه طوعا أو كرها أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا ان كانوا أهل كتاب أو تقتلوهم وأنفسكم يقول وبأنفسكم تقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم ذلكم خير لكم يقول هذا الذي أمركم به من النفر في سبيل الله تعالى خفافا وثقالا وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل الى الارض اذا استنفرتم والخلود اليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة ان كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه ۞ القول في تأويل قوله (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) يقول جل ثناؤه للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلف عنه حين خرج الى تبوك فاذن لهم لو كان ما تدعوا اليه المتخلفين عنك والمستأذنيك في ترك الخروج معك الى مغزاك الذي استنفرتم اليه عرضا قريبا يقول غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا يقول وموضعا قريبا سهلا لاتبعوك ونفروا معك اليهما ولكنك استنفرتهم الى موضع بعيد وكلفتهم سفرا شاقا عليهم لانك استنهضتهم في وقت الحر وزمان القيظ وحين الحاجة الى الكن وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يقول تعالى ذكره وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستاذنوك في ترك الخروج معك اعتذارا منهم اليك بالباطل لنقبل منهم عذرهم ونأذن لهم في التخلف عنك بالله كاذبين لو استطعنا لخرجنا معكم يقول لو أطعنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لا بد للمسافر والغازي منه وصحة البدن والقوى لخرجنا معكم الى عدوكم يهلكون أنفسهم يقول يوجبون لانفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب لانهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه والله يعلم انهم لكاذبون في حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا للخروج مطيعين بوجود السبيل الى ذلك بالذي كان عندهم من الاموال ما يحتاج اليه الغازي في غزوه والمسافر في سفره وصحة الابدان وقوى الاجسام * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان عرضا قريبا الى قوله لكاذبون انهم يستطيعون الخروج ولكن كانت تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة في الخير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو كان عرضا قريبا قال هي غزوة تبوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يعلم انهم لكاذبون أي انهم يستطيعون ۞ القول في تأويل قوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص الى تبوك لغزو الروم من المنافقين يقول جل ثناؤه عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك في التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه لم أذنت لهم لاي شئ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يقول ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك اذ قالوا لك لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له منهم فيكون اذنك لمن أذنت له منهم على علم منك لعذره وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا وشكا في دين الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا عاصم قال ثنا أبو عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

قتال جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا أن الله مع المتقين حث لهم على النفور وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الآية المتقدمة وأكد النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نسأ اذا أخر كالنذير والنكير وقال قطرب أصله الزيادة من قوله نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤل المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن أن يجاب بان المراد ان العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وأيضا أطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار وأجيب بان الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤل الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز أو بالحقيقة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي أي يحلون التأخير عاما وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمون التأخير عاما آخر وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها أو في

المحرم حرب وغارة أخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدي وأكثر العلماء على ان هذا التأخير كان من المحرم الى صفر وروى انه حدث في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله أي من القتال وترك الاختصاص قال أهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد منهم يطابق صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان يأتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما أحلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل أن تكون عدة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطاة والآية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية أعني اثني عشر شهرا قمرية هي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك البهائي بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ولكن الاكبير اقليلا فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان

عفا الله عنك لم أذنت لهم قال ناس قالوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور فرخص له في ان يأذن لهم ان شاء فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لهم لمن شئت منهم فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سعيد بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن ميمون الازدي قال اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء أذنه للمنافقين وأخذه من الاساري فانزل الله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد بن سليمان قال قرأت على سعيد بن أبي عروبة قال هكذا سمعته من قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية ثم أنزل بعد ذلك في سورة النور فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الآية **حدثنا** صالح بن عمار قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا موسى بن مروان قال سألت مورقا عن قوله عفا الله عنك قال عاتبه ربه ۞ القول في تأويل قوله (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) وهذا اعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين ان من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه اذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد لا تأذن في التخلف عنك اذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر فانه لا يستأذنك في ذلك الا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر فاما الذي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب فانه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد الله أعداء الله بماله ونفسه والله عليم بالمتقين يقول والله ذو علم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة الى طاعته في غزو عدوه وجهادهم بماله ونفسه وغير ذلك من أمره ونهيه ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر وعذر الله المؤمنين فقال لم يذهبوا حتى يستأذنوه ۞ القول في تأويل قوله (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم انما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدقون بالله ولا يقرون بتوحيده وارتابت قلوبهم يقول وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله وفي ثواب أهل طاعته وعقابه أهل معاصيه فهم في ريبهم يترددون يقول في شكهم متحيرون وفي ظلمة الحيرة مترددون لا يعرفون حقا من باطل فيعملون على بصيرة وهذه صفة المنافقين فكان جماعة من أهل العلم يزعمون ان هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرنا في سورة النور ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله فهم في ريبهم يترددون نسختها الآية التي في النور انما المؤمنون الذين آمنوا بالله الى ان الله غفور رحيم وقد بينا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول في تأويل قوله (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) يقول تعالى ذكره ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوك الخروج معك لاعدوا له عدة يقول لاعدوا للخروج عدة ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما

عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل

ولكن كره الله انبعاثهم يعنى خروجهم لذلك فثبطهم يقول فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود فى منازلهم خلافك واستثقلوا السفر والخروج معك فتركوا ذلك الخروج وقيل اقعدوا مع القاعدين يعنى اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين فى سبيل الله وكان تثبيط الله اياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به لعلمه بنفاقهم وغشهم للاسلام وأهله وانهم لو خرجوا ضروهم ولم ينفعوا وذكر ان الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود كانوا عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس ومن كان على مثل الذى كانا عليه كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استاذنوه فيما بلغنى من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده ۞ القول فى تاويل قوله (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) يقول تعالى ذكره لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم الا خبالا يقول لم يزيدوكم بخروجهم فيكم الا فسادا وضرا ولذلك ثبطهم عن الخروج معكم وقد بينا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل ولا وضعوا خلالكم يقول ولاسرعوا ركائبهم السير بينكم وأصله من ايضاع الخيل والركائب وهو الاسراع بها فى السير يقال للناقة اذا أسرعت السير وضعت الناقة تضع وضعا ووضوعا وأوضعها صاحبها اذا جذبها وأسرع يوضعها ايضاعا ومنه قول الراجز

يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع

وأما أصل الخلال فهو من التخلل وهو الفرج تكون بين القوم فى الصفوف وغيرها ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم تراصوا فى الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف وأما قوله يبغونكم الفتنة فان معنى يبغونكم الفتنة يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم فى مغزاكم بتثبيطهم اياكم عنه يقال منه بغيته الشر وبغيته الخير أبغيه ابغاء اذا التمسته له بعينى بغيت له وكذلك علمك وحلبتك بمعنى حلبت لك وعلمت لك واذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه قالوا أبغيتك كذا وأحلبتك وأعلمتك أى أعنتك عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولا وضعوا خلالكم يبغونكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا وضعوا خلالكم يقول ولا وضعوا أسلحتهم خلالكم بالفتنة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم الفتنة قال رفاعة ابن التابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول وأوس بن قيظى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولا وضعوا خلالكم قال لاسرعوا الازقة خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم عبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول قال حدثنا الحسن قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولا وضعوا خلالكم قال لاسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قال هؤلاء المنافقون فى غزوة تبوك يسلى الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال وما يحزنكم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يقولون قد جمع لكم أو فعل وفعل يخذلونكم ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة الكفر وأما قوله وفيكم سماعون لهم * فان أهل التاويل اختلفوا فى تاويله فقال بعضهم معنى ذلك وفيكم سماعون بحديثكم لهم يؤدونه اليهم عيون لهم عليكم ذكر من قال ذلك

أقدموا على الكبيس بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفى فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخامسة ثم فى السابعة ثم فى العاشرة ثم فى الثالثة عشرة ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهر يجوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصفة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل أعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس ويسمى بالنسىء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روى انه صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ما خطب به ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر فكانت حجة أبى بكر قبلها فى ذى القعدة التى سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلاثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا أى لا أزيد ولا أنقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم أيضا ما لزمهم فى التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن أماكنها فيجوز ان تكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما أى يحلون النسىء عن عام الكبس ويحرمونه

عاما أي في غير سنة الكبس ومعنى قوله نيوا طؤا عدة ما حرم الله ما روي انه كان يقوم في الموسم منهم خطيب و يقول أنا أنسئ لكم في هذه السنة شهرا وكذا أفعل في كل سنين أقبلت حتى يأتي حجكم وقت الادراك فنسي المحرم ويجعله كبسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فتكرر حرم عليهم واحدا برأيه على وفق مصلحتهم وأحل الآخر وباقي الآية قدمر تفسيره مثله مرارا والله تعالى أعلم * التاويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر أي لا يعملون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق أي لا يطلبون الحق من الذين أوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار أنوار الواردات الى النفس المظلمة فتصورت كما ان اليهود لما سمعت التوراة والعلوم التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق و بتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا أحبارهم أي قلوبهم ورهبانهم أي أزواجهم أربابا والمسيح بن مريم وهو الخفي وذلك ان الخفي هو أول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى أن يرى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون أي النفوس أن يطفؤا نور الله الذي رش على الارواح في بدء الخلق بافواه اسنة الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي أرسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب

حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفيكم سماعون لهم يحدثون باحاديثكم عيون غير المنافقين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفيكم سماعون لهم يسمعون ما يؤدونه لعدوكم * وقال آخرون بل معنى ذلك وفيكم من يسمع كلامهم و يطيع لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيكم سماعون لهم وفيكم من يسمع كلامهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعوهم اليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم فعلى هذا التاويل وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم اياهم عن السير معكم وأما على التاويل الاول فان معناه وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم فيبلغونهم و يؤدونه اليهم عيون لهم عليكم * قال أبو جعفر وأولى التاويلين عندي في ذلك بالصواب تاويل من قال معناه وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم لان الاغلب من كلام العرب في قولهم سماع وصف من وصف به انه سماع للكلام كما قال الله جل ثناؤه في غير موضع من كتابه سماعون للكذب واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث وأما اذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه اليه فانما تصفه له بانه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو له سماع مطيع وأما قوله والله عليم بالظالمين فان معناه والله ذو علم بمن يوجه أفعاله الى غير وجوهها و يضعها في غير مواضعها ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ومن يستأذنه شاكا في الاسلام ونفاقا ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسر بمساءة المؤمنين و يسائهم لا يخفى عليه شئ من سرائر خلقه وعلانيتهم وقد بينا معنى الظلم في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تاويل قوله (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) يقول تعالى ذكره لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لاصحابك يا محمد التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردهم الى الكفر بالتخذيل عنه كفعل عبد الله بن أبي بك وباصحابك يوم أحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه وذلك كان ابتغاؤهم ما كانوا ابتغوا الاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل يعني بقوله من قبل من قبل هذا وقلبوا لك الامور يقول وأجالوا فيك وفي ابطال الدين الذي بعثك به الله الرأي بالتخذيل عنك وانكار ما تاتيهم به ورده عليك حتى جاء الحق يقول حتى جاء نصر الله وظهر أمر الله يقول وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الاسلام وهم كارهون يقول والمنافقون ظهور أمر الله ونصره اياك كارهون وكذلك الآن يظهرك الله و يظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا سلمة عن ابن اسحق وقلبوا لك الامور أي ليخذلوا عنك أصحابك و يردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وذكر ان هذه الآية نزلت في نفر مسمين باعيانهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو عن الحسن قوله وقلبوا لك الامور قال منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف ورفاعة بن رافع وزيد بن التابوت القينقاعي وكان تخذيل عبد الله بن أبي أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري و يزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم كل قد حدث في غزوة

تبوك ما بلغه عنهما و بعض القوم يحدث مالم يحدث بعض وكل قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طاب الثمار وأحبت الظلال فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم و يكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وأخبر انه يريد غير الذى يصدده الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى صدده ليتاهب الناس لذلك أهبته وأمر الناس بالجهاد وأخبرهم انه يريد الروم فتجهز الناس على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره فامر الناس بالجهاد وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى ابن سلول عسكره على ذى حدة أسفل منه بحدود باب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله بن أبى أخى بنى عوف بن الخزرج وعبد الله بن نبتل أخى بنى عمرو بن عوف ورفاعة بن يزيد ابن التابوت أخى بنى قينقاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيد الاسلام وأهله قال وفيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنزل الله القدا بتغوا الفتنة من قبل الآية ۞ القول فى تاويل قوله (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وذكر ان هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس و يعنى جل ثناؤه بقوله ومنهم ومن المنافقين من يقول ائذن لى أقم فلا أشخص معك ولا تفتنى يقول ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الاصفر و بناتهم فانى بالنساء مغرم فاخرج وآثم بذلك و بذلك من التاويل تظاهرت الاخبار عن أهل التاويل ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ائذن لى ولا تفتنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر ونساء الروم فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تغنموا بنات الاصفر يعنى نساء الروم ثم ذكر مثله قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ائذن لى ولا تفتنى قال هو الجد بن قيس قال قد علمت الانصار انى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهرى و يزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه لجد بن قيس أخى بنى سلمة هل لك تاخذ العام فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله أو تاذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى ما رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الآية أى ان كان انما يخشى الفتنة من نساء بنى الاصفر وليس ذلك به سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى قال هو رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام تغزو بنى الاصفر ونتخذ منهم سرارى ووصفانا فقال أى

بقصد حى تركك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها فى نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم امتنعوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا يتهافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى أصابكم من ألم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنتم فذوقوا الآن ألم كى نار الحرص لانكم لم تذوقوا فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها أربعة حرم فيه اشارة الى أن الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب أن يجعل أوقات عمره أثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الآخرة وثلثا من ذلك حرام أن يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى أشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان فى ساوكه اعوجاج ثم ذكر ان من شان النفوس المشركة انها ان أقبلت على طاعة أخرتها عن وقتها وهو النسىء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت ان ذلك التاخير مما لا باس به (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا

يعذبكم عذابا أليما و يستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله

هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا
وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم

لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) القراآت وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون بالرفع * الوقوف الى الارض ط من الآخرة ط قليل ه شيا ط قدير ه معنا ج لعطف أنزل على نصره مع عوارض الظروف السفلى ط الايمان قرأ وكلمة بالنصب العليا ط حكيم ه في سبيل الله ط تعلمون ه الشقة ط معكم ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أنفسهم ج لواو الابتداء والحال لكاذبون ه عنك ج لحق الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين ه وأنفسهم ط بالمتقين ه يترددون ه القاعدين ه الفتنة ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال لهم ط بالظالمين ه كارهون ه ولا تفتني ط سقطوا ط بالكافرين ه * التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى ذكر

الترغيب في قتالهم عن ابن عباس انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رجع عن الطائف أقام بالمدينة أياما

رسول الله ائذن لي ولا تفتني ان لم تأذن لي افتتنت ووقعت فغضب فقال الله الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين وكان من بني سلمة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة فقالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأي الداء أدوى من البخل ولكن سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء بن معرور **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني يقول ائذن ولا تخرجني الى الفتنة سقطوا يعني في الخروج سقطوا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ولا تؤثمني الا في الاثم سقطوا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين يقول وان النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذب رسله محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة يقول فكفى للجد بن قيس واشكاله من المنافقين يصلها حرها ۞ القول في تاويل قوله (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجد بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين وان تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجد ونظراؤه قد أخذنا أمرنا من قبل أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد وترك اتباعه الى عدوه من قبل يقول من قبل أن تصيبه هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يقول ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقتل من قتل منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان تصبك حسنة تسؤهم يقول ان تصبك في سفرك هذا الغزوة تبوك حسنة تسؤهم قال الجد وأصحابه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل حذرنا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن رفاعة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل قال حذرنا **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تصبك حسنة تسؤهم ان كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم ۞ القول في تاويل قوله (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول تعالى ذكره مؤدبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك ان يصيبنا أيها المرتابون في دينهم الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا هو مولانا يقول هو ناصرنا على أعدائه وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانهم ان يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيأ غيره يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم ۞ القول في تاويل قوله (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم هل تنتظرون بنا الا احدى الحلتين اللتين هما أحسن من غيرهما اما ظفرا بالعدو وفتحا لنا بغلبتنا اهم ففيها الاجر والغنيمة والسلامة واما قتلا من عدونا فانه فيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكلتاهما مما يحب ولا يكره ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يقول ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة لكم أو بأيدينا فنقتلكم فتربصوا انا معكم متربصون يقول فانتظروا انا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا وما اليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

قام بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان الضيق والقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر والخوف من عسكر الروم ولوجود أسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج فى غزوة الا ورى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة وأصل النفر الخروج الى مكان لامرهاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير وأصل انا قلتم تثاقلتم كما قلنا فى فاداراتم ومعناه تباطأتم وانما عدى بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله أخلد الى الارض أى مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام فى مالكم الانكار وقرئ أنا قلتم على الاستفهام للانكار أيضا فيكون جواب اذا فعلا آخر مدلولا عليه بانا قلتم كنحو ملتم وذلك ان جواب اذا عامل فى اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذه ان يكون اذا المجردة الظرفية والعامل فيه ما فى مالكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن فى من الآخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون كانه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا أنواع فضائحهم التى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة أى فى جنبها وفى مقابلها الا قليل ويجوز ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهى الزائل الى غير المتناهى الباقى والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا انه طالما أعطى الكل حكم الكل وأطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم فى الجهاد بعوض الثواب عليهم رغبهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه

ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول فتح أو شهادة وقال مرة أخرى يقول القتل فهى الشهادة والحياة والرزق واما يخزيكم بايدينا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول قتل فيه الحياة والرزق واما أن يغلب فيؤتيه الله أجرا عظيما وهو مثل قوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا احدى الحسنيين قال القتل فى سبيل الله والظهور على أعدائه قال **حدثنا** محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال القتل فى سبيل الله والظهور **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد احدى الحسنيين القتل فى سبيل الله والظهور على أعداء الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج قال ابن عباس بعذاب من عنده بالموت أو بايدينا قال القتل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الافتحا أو قتلا فى سبيل الله ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا أى قتل ۞ القول فى تاويل قوله (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره وعلى أى حال شئتم من حال الطوع والكره فانكم ان تنفقوها ان يتقبل الله منكم نفقاتكم وأنتم فى شك من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه انكم كنتم قوما فاسقين يقول خارجين عن الايمان بربكم وخرج قوله أنفقوا طوعا أو كرها مخرج الامر ومعناه الخبر والعرب تفعل ذلك فى الاماكن التى يحسن فيها ان التى تاتى بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فهو فى لفظ الامر ومعناه الجزاء ومنه قول الشاعر

أسيئى بنا أو أحسنى * لا ملومة ولا معلنة ان تعلنى

فكذلك قوله أنفقوا طوعا أو كرها انما معناه ان تنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وقيل ان هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم هذا مالى أعينك به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال الجد بن قيس ائذن لى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى افتتن ولكن أعينك بمالى قال ففيه نزلت أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم قال لقوله أعينك بمالى ۞ القول فى تاويل قوله (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) يقول تعالى ذكره وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد ان تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك وفى غير ذلك من السبل الا أنهم كفروا بالله وبرسوله فان الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع لان معنى الكلام ما منع قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى يقول لا ياتونها الا متثاقلين بها لانهم لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا وانما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فاذا أمنوهم لم يقيموها ولا ينفقون قال ولا ينفقون من أموالهم شيأ الا وهم كارهون أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه مما فيه تقوية للاسلام وأهله ۞ القول فى تاويل قوله (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

اليمن عن أبي روق وقيل أبناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل ان يراد بهم الملائكة وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين أظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيأ قال الحسن الضمير لله وفيه انه غني عنهم في نصرة دينه بل في كل شئ * وقال آخرون الضمير للرسول لان الله وعده أن يعصمه ووعد الله كائن لا محالة وفي قوله والله على كل شئ قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله بأي وجه أراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف أمره كائنا من كان عن الحسن وعكرمة ان الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي في الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من ان أهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول أولا كقوله تعالى مالكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في قوله لا تضروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها ثم وعيهم في الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه فقد نصره الله وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد وفيه انه لما أوجب

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال بعضهم معنى ذلك التقديم وهو مؤخر ذكره من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قال هذه من تقاديم الله ليعذبهم بها في الآخرة حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال آخرون بل معنى ذلك انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما ألزمهم فيها من فرائضه ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن سلمان الاقصري عن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى حدثني موسى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيها هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا التأويل الذي ذكرنا عن الحسن لان ذلك هو الظاهر من التنزيل فصرف تأويله الى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه الى باطن لا دلالة على صحته وانما وجه من وجه ذلك الى التقديم وهو مؤخر لانه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجها يوجهه اليه وقال كيف يعذبهم بذلك في الدنيا وهو لهم فيها سرور وذهب عن توجيهه الى انه من عظيم العذاب عليه الزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه اذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على صغر معه وكره وأما قوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون فانه يعني وتخرج أنفسهم فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يقال منه زهقت نفس فلان وزهقت فمن قال زهقت قال تزهق ومن قال زهقت قال تزهق زهوقا ومنه قيل زهق فلان بين أيدي القوم يزهق زهوقا اذا سبقهم فتقدمهم وقال زهق الباطل اذا ذهب ودرس ۞ القول في تأويل قوله (ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يقول تعالى ذكره ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم انهم لمنكم في الدين والملة يقول الله تعالى مكذبا لهم وما هم منكم أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم بل هم أهل شك ونفاق ولكنهم قوم يفرقون يقول ولكنهم قوم يخافونكم فهم خوفا منكم يقولون بالسنتهم انا منكم ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا ۞ القول في تأويل قوله (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون) يقول تعالى ذكره لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ يقول عصرا يعتصرون به من حصن ومعقلا يعتقلون فيه منكم أو مغارات وهي الغيران في الجبال واحدتها مغارة وهي معتقلة من غار الرجل في الشئ يغور فيه اذا دخل ومنه قيل غارت العين اذا دخلت في الحدقة أو مدخلا يقول سربا في الارض يدخلون فيه وقال أو مدخلا الآية لانه من أدخل يدخل وقوله لولوا اليه يقول لادبروا اليه هربا منكم وهم يجمحون يقول وهم يسرعون في مشيهم وقيل ان الجماح مشي بين المشيين ومنه قول مهلهل

لقد جمحت جماحا في دمائهم * حتى رأيت ذوي أحسابهم خدعوا

وانما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة لانهم انما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الايمان بالله وبرسوله لانهم كانوا قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الايمان وفي أنفسهم ما فيها من البغض

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به والعداوة فقال الله واصفهم بما فى ضمائرهم لو يجدون ملجأ أو مغارات الآية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ الملجأ الحرز الجبال والمغارات الغيران فى الجبال وقوله أو مدخلا والمدخل السرب **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ملجأ يقول حرزا أو مغارات يعنى الغيران أو مدخلا يقول ذهابا فى الارض وهو النفق فى الارض وهو السرب **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال حرزا لهم يفرون اليه منكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال محرزا لهم لفروا اليه منكم وقال ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ حرزا أو مغارات قال الغيران أو مدخلا قال نفقا فى الارض **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا يقول لو يجدون ملجأ حصونا أو مغارات غيرانا أو مدخلا سربا لولوا اليه وهم يجمحون ۞ القول فى تأويل قوله (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) يقول تعالى ذكره ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم فى هذه الآيات من يلمزك فى الصدقات يقول يعيبك فى أمرها ويطعن عليك فيها يقال منه لمز فلان فلانا يلمزه ويلمزه اذا عابه وقرصه وكذلك همزه ومنه قيل فلان همزة لمزة ومنه قول رؤبة

فاريت بعد عنق وحرى ٧ * فى ظل عصرى باطلى ولمزى

ومنه قول الآخر

اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة * وان أغيب فأنت العائب اللمزه

فان أعطوا منها رضوا يقول ليس بهم فى عيبهم اياك فيها وطعنها عليك بسببها الدين ولكن الغضب لانفسهم فان أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك وان أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يروزك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات يروزك ويسألك قال ابن جريج وأخبرنى داود بن أبى عاصم قال قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ورآه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات يقول ومنهم من يطعن عليك فى الصدقات وذكر لنا ان رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن جاء يعدل عليك بعدى ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واشباهه فان فى أمتى أشباه هذا يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفسى بيده ما أعطيكم شيأ ولا أمنعكموه انما أنا خازن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يطعن قال **حدثنا** محمد بن ثور عن

تعالى ان يخرج هو وأبو بكر الصديق الى الغار وأمر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل أبو بكر يلتمس ما فى الغار فقال له الرسول مالك فقال بابى أنت وأمى الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان لابى بكر فخرق عمامته وسد الجحر وبقى جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد أخذ الله أبصارهم عنه استدل أهل السنة بالآية على أفضلية أبى بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه فى مثل تلك الحالة وانه كان ثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى العلم لقوله ما صب فى صدرى شيأ الا وصببته فى صدر أبى بكر وفى الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض الايمان أولا على أبى بكر فآمن ثم عرض أبو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة أخرى من أجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغزوات وفى أداء الجماعات وفى المجالس والمحافل وقد أقامه فى مرضه مقامه فى الامامة ولما توفى دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه

وسلم وكان ثاني اثنين من أول أمره الى آخره ولو قدرنا انه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم ان لا يقوم باخره ولا يكون وصية الا أبو بكر وان لا يبلغ ما حدث في ذلك

يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين بن الفضل من أنكر صحبة غير أبي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن أنكر صحبة أبي بكر فانه يكون كافرا لانه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه أجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس أعظم من كون الله رابعا لكل ثلاثة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون المصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه عليه السلام استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الثقة احتمل أن يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه أو يوقفهم على أسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب وخطأ سلمنا دلالة الآية على فضل أبي بكر الا أن اضجاع علي رضي الله عنه على فراشه أعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس أجاب أهل السنة بان كون الله رابعا لكل ثلاثة أمر مشترك وكونه ثاني اثنين تشريف زائد اختص الله أبا بكر به على ان المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فان احداهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضي الاهانة والاذلال وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن

من

ان الله معنا قالوا والعجب ان الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل واستنكروا أن يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي

مغمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ائذن لي فاضرب عنقه قال دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا ينظر شيأ ثم ينظر في نصله فلا يجد شيأ ثم ينظر في رصافه فلا يجد شيأ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى يديه أو قال يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تردد يخرجون على حين فترة من الناس قال فنزلت ومنهم من يلمزك في الصدقات قال أبو سعيد أشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد ان عليا رحمة الله عليه حين قتلهم جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال هؤلاء المنافقون قالوا والله ما يعطينا محمد الا من أحب ولا يؤثرنا الا هواه فاخبر الله نبيه وأخبرهم انه انما جاءت من الله وان هذا أمر من الله ليس من محمد انما الصدقات للفقراء الآية ۞ القول في تاويل قوله (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد في الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم وقالوا حسبنا الله يقول وقالوا كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله يقول سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها انا الى الله راغبون يقول وقالوا انا الى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة اليهم ۞ القول في تاويل قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره لا تنال الصدقات الا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله تعالى جل ثناؤه ثم اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين فقال بعضهم الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة والمسكين المحتاج السائل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير الجالس في بيته والمسكين الذي يسعى **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال المساكين الطوافون والفقراء فقراء المسلمين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن جرير بن حازم قال ثني رجل عن جابر بن زيد انه سئل عن الفقراء قال الفقراء المتعففون والمساكين الذين يسألون **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل عن عبيد الله الجزري قال سألت الزهري عن قوله انما الصدقات للفقراء قال الذين في بيوتهم لا يسألون والمساكين الذين يخرجون فيسألون **حدثنا** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يحيى بن سعيد عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل قال **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة والمساكين الذين يسألون الناس **حدثنا** الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقراء الذين لا يسألون والمساكين الذين يسألون وقال آخرون الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين هو الصحيح الجسم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير

ذكره مدفوع بما روى ان أبا بكر هو الذى اشترى الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما فى الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروى أن جبريل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه

من به زمانة والمسكين الصحيح المحتاج **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين أما الفقير فالزمن الذى به زمانة وأما المسكين فهو الذى ليست به زمانة وقال آخرون الفقراء فقراء المهاجرين والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين وهو محتاج ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم عن على بن الحكم عن الضحاك بن مزاحم انما الصدقات للفقراء قال فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا قال **حدثنا** عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء المهاجرين قال سفيان يعنى ولا يعطى الاغراب منها شيأ **حدثنا** ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقة لفقراء المهاجرين قال **حدثنا** جرير عن منصور عن ابراهيم قال كانت تجعل الصدقة فى فقراء المهاجرين فى سبيل الله تعالى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن ابزى قال كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والنافة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله الى انهم فقراء وجعل لهم سهما فى الزكاة **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقات فى فقراء المهاجرين وفى سبيل الله وقال آخرون المسكين الضعيف البئيس ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن محمد قال قال عمر الفقير ليس بالذى لا مال له ولكن الفقير الاخلق الكسب قال يعقوب قال ابن علية الاخلق المحارف عندنا **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رحمة الله تعالى عليه قال ليس المسكين بالذى لا مال له ولكن المسكين الاخلق الكسب وقال بعضهم الفقير من المسلمين والمسكين من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة فى قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال لا تقولوا الفقراء المسلمين مساكين انما المساكين مساكين أهل الكتاب * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال الفقير هو ذو الفقر والحاجة مع حاجته يتعفف عن مسئلة الناس والتذلل لهم فى هذا الموضع والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم وانما قلنا ان ذلك كذلك وان كان الفريقان لم يعطيا الا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة لاجماع الجميع من أهل العلم ان المساكين انما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر وان معنى المسكنة عند العرب الذلة كما قال الله تعالى جل ثناؤه وضربت عليهم الذلة والمسكنة يعنى بذلك الهون والذلة لا الفقر فاذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر فجعلهم صنفين كان معلوما ان كل صنف منهم غير الآخر واذ كان ذلك كذلك كان لا شك ان المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذى لا مسكنة فيه والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع الى فقره المسكنة وهى الذل بالطلب والمسئلة فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك معناه انما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذى لا يسأل والمتذلل منهم الذى يسأل وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو الذى قلنا فى ذلك خبر **حدثنا** القاسم ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن شريك ابن أبى نمير عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انما المسكين المتعفف على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من

أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر به أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك أنت الاعلى وقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر ان اضطجاع على رضى الله عنه على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا أن صحبة أبى بكر أعظم لان الحاضر أعلى حالا من الغائب ولان عليا رضى الله عنه ما تحمل المحنة الا ليلة وأبو بكر مكث فى الغار أياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبى بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على أبى بكر أشد من غضبهم على على رضى الله عنه ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ألم لما عرفوا ان المضطجع هو ثم زعم أهل السنة ان الضمير فى قوله فانزل الله سكينته عليه عائد الى أبى بكر لا الى الرسول لانه أقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبى بكر ولان الخوف كان حاصلا لابى بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولناسب أن يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله وأيده عطف على فانزل فواجب أن يتحد الضميران فى حكم العود وأجيب بان قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره فى واقعة الغار وأيده فى واقعة بدر والاحزاب

وحنين بالملائكة والظاهر ان الحزن لا يعدان يكون شاملا للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول أو يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وقوله وجعل يعني يوم بدر وسائر الوقائع كلمة الذين كفروا وهي دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة الله وهي دعوته الى الاسلام أو كلمة التوحيد لا اله الا الله هي العليا وفي توسيط كلمة الفصل أعني هي تأكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة بالعلاء دون سائر الكلام قال الفراء لا أحب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ أن يقال وكلمة هي العليا ألا ترى انك تقول أعتق أبوك غلامه ولا تقول أعتق أبوك غلام أبيك قلت وفي الرفع أيضا الاستئناف ومافي الجملة الاسمية من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا فعل له الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون أي خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وان المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضي تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روي عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال ما أنت الا خفيف أو ثقيل فرجع الى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه ونزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان أبا أيوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزواته المسلمين ويقول قال الله انفروا

تسميتهم أهل الفقر مساكين لا على تفصيل المسكين من الفقير ومما ينبئ عن ان ذلك كذلك انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وذلك في صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر فقال للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقوله والعاملين عليها وهم السعاة في قبضها من أهلها ووضعها في مستحقها يعطون ذلك بالسعاية أغنياء كانوا أو فقراء ومثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو معقل عن عبيد الله قال سألت الزهري عن العاملين عليها فقال السعاة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاملين عليها قال جباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والعاملين عليها الذي يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل في قدر ما يعطى العامل في ذلك فقال بعضهم يعطى منه الثمن ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن جويبر عن الضحاك قال للعاملين عليها الثمن من الصدقة **حدثت** عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والعاملين عليها قال يأكل العمال من السهم الثامن وقال آخرون يعطى على قدر عمالته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الاخضر بن عجلان قال ثنا عطاء بن زهير العامري عن أبيه انه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة أي مال هي فقال مال العرجان والعوران والعميان وكل منقطع به فقال له ان للعاملين حقا والمجاهدين قال ان المجاهدين قوم أحل لهم وللعاملين عليها على قدر عمالتهم ثم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يكون للعامل عليها ان عمل بالحق ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن انما يفرضون له بقدر عمالته **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والعاملين عليها قال كان يعطى العاملون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال يعطى العامل عليها على قدر عمالته وأجر مثله وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الاموال بين الاصناف الثمانية على ثمانية أسهم وانما عرف خلقه ان الصدقات لن تجاوز هؤلاء الاصناف الثمانية الى غيرهم واذ كان كذلك بما سيوضح بعد وبما قد أوضحناه في موضع آخر كان معلوما ان من أعطي منها حقا فانما يعطى على قدر اجتهاد المعطي فيه واذا كان ذلك كذلك وكان العامل عليها انما يعطى على عمله لا على الحاجة التي تزول بالعطية كان معلوما ان الذي أعطاه من ذلك انما هو عوض من سعيه وعمله وان ذلك انما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله الذي لا يزول بالعطية وانما يزول بالعزل وأما المؤلفة قلوبهم فانهم قوم كانوا يتألفون على الاسلام ممن لم تصح نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته كأبي سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والاقرع بن حابس ونظرائهم من رؤساء القبائل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والمؤلفة قلوبهم وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات فاذا أعطاهم من الصدقات فاصابوا منها خيرا قالوا هذا دين صالح وان كان غير ذلك عابوه وتركوه **حدثنا** عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير ان المؤلفة قلوبهم من بني أمية أبو سفيان بن حرب ومن بني مخزوم الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بني جمح صفوان بن أمية ومن بني

خفافا وثقالا فلا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك انه صلى الله عليه وسلم خلف عن النساء والرجال أقواما فذلك يدل على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخرج لزمه ذلك ومن أمره أن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع في الضعفاء والمراض ثم قال وجاهدوا باموالكم وأنفسكم وفيه ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بالنفس ان لم يكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بان يستنيب من يغزو عنه ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني انه خير في نفسه أو انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال لو كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج أي لو كان المدعو فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه

بني عامر بن لؤي سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومن بني أسد بن عبد العزى حكيم بن حزام ومن بني هاشم نعمان بن الحرث بن عبد المطلب ومن بني فزارة عيينة بن حصن بن بدر ومن بني تميم الاقرع بن حابس ومن بني نصر مالك بن عوف ومن بني سليم العباس بن مرداس ومن ثقيف العلاء بن حارثة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة ناقة الا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بن عبد العزى فانه أعطى كل رجل منهم خمسين **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال قال صفوان بن أمية لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ناس كان يتألفهم بالعطية عيينة بن بدر ومن كان معه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن والمؤلفة قلوبهم الذين يؤلفون على الاسلام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما المؤلفة قلوبهم ناس من الاعراب ومن غيرهم كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبد الله قال سألت الزهري عن قوله والمؤلفة قلوبهم فقال من أسلم من يهودي أو نصراني قلت وان كان غنيا قال وان كان غنيا **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معقل بن عبد الله الجزري عن الزهري والمؤلفة قلوبهم قال من هو يهودي أو نصراني * ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها وهل يعطى اليوم أحد على التالف على الاسلام من الصدقة فقال بعضهم قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ولا سهم لاحد في الصدقة المفروضة الا لذي حاجة اليها وفي سبيل الله أو لعامل عليها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والمؤلفة قلوبهم قال أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم انما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأتاه عيينة بن حصن الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أي ليس اليوم مؤلفة **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال ليس اليوم مؤلفة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال انما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشى وقال آخرون المؤلفة قلوبهم في كل زمان وحقهم في الصدقات ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر قال في الناس اليوم المؤلفة قلوبهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي ان الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الاسلام وتقويته فما كان في معونة الاسلام وتقوية أسبابه فانه يعطاه الغني والفقير لانه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه اليه وانما يعطاه معونة للدين وذلك كما يعطى الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله فانه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو لا لسد خلته وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وان كانوا أغنياء استصلاحا باعطائهموه أمر الاسلام وطلب تقويته وتأييده وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد ان فتح الله عليه الفتوح وفشا الاسلام وأعز أهله فلا حجة لمحتج بان يقول لا يتألف اليوم على الاسلام أحد لامتناع أهله لكثرة العدد

قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالعرض سهولة مأخذه وسفرا قاصدا أى وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد أى ذو قصد لان كل أحد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده وفوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا فى الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم أخبر انه سيحدهم اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما أخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر فى الوجهين أى سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا سادمسد جوابى القسم ولو جميعا قيل فى الآية دلالة على ان قوله انفروا خطاب المستطيعين والالما أمكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا فى التخلف قال الجبائى فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والالما كذبهم الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبى زائدا عليه فان قيل لم لا يجوز أن يرادانهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر فى ترك الخروج فمن لا قدرة له أولى وأيضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا أريد به المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن وأجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس فى مكان لا يكون قادرا فى هذا الزمان على ان يفعل فعلا فى مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله فى المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم فى ما ألزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل أن يقول انهم وان كانوا غير قادرين على القتال الا

ممن أرادهم وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم فى الحال التى وصفت وأما قوله وفى الرقاب فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم وهم الجمهور الاعظم هم المكاتبون يعطون منها فى فك رقابهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن الحسين ان مكاتبا قام الى أبى موسى الاشعرى رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال له أيها الامير حث الناس على فحث عليه أبو موسى فالقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتما حتى ألقوا سوادا كثيرا فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع فاعطى المكاتب مكاتبته ثم أعطى الفضل فى الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما أعطى الناس فى الرقاب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن قوله وفى الرقاب قال المكاتبون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى الرقاب قال المكاتب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن وفى الرقاب قال هم المكاتبون وروى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل الرقبة من الزكاة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال عنى بالرقاب فى هذا الموضع المكاتبون لاجماع الحجة على ذلك فان الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه فى ماله يخرجها منه لا يرجع اليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض والمعتق رقبة منها راجع اليه ولاء من أعتقه وذلك نفع يعود اليه منها * وأما الغارمون فالذين استدانوا فى غير معصية الله ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولا عرض وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الغارمون من احترق بيته أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ويدان على عياله فهذا من الغارمين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله والغارمين قال من احترق بيته وذهب السيل بماله وادان عياله **حدثنا** أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمين المستدين فى غير سرف ينبغى للامام أن يقضى عنهم من بيت المال قال **حدثنا** أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألنا الزهرى عن الغارمين قال أصحاب الدين قال ثنا معقل عن عبد الكريم قال ثنى خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال كتب عمر بن عبد العزيز ان يعطى الغارمون قال أحمد أكثر ظنى من الصدقات قال **حدثنا** أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون المستدين فى غير سرف **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن سعيد عن قتادة أما الغارمون فقوم غرقتهم الديون فى غير املاق ولا تبذير ولا فساد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الغارم الذى حل عليه الغرم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد والغارمين قال هو الذى يذهب السيل والحريق بماله ويدان على عياله قال **حدثنى** أبى عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال المستدين فى غير فساد قال **حدثنى** أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون الذين يستدينون فى غير فساد ينبغى للامام أن يقضى عنهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد هم قوم ركبتهم الديون فى غير فساد ولا تبذير فجعل الله لهم فى هذه الآية سهما وأما قوله وفى سبيل الله فانه يعنى وفى النفقة فى نصرة دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى سبيل الله قال الغازى

انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب التمثال فيعود السؤال قال في الكشاف يجوز أن يكون بدلا من يحلفون أو حالا أي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب أو حالا من ضمير خرجنا أي لو خرجنا معكم وان ألقينا أنفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنه

في سبيل الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة رجل عمل عليها أو رجل اشتراها بماله أو في سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار تصدق عليه فاهدا هاله قال حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة يعني الا لثلاثة في سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار فتصدق عليه فاهداها له وأما قوله وابن السبيل فالمسافر الذي يجتاز من بلد الى بلد والسبيل الطريق وقيل للضارب فيه ابن السبيل للزومه اياه كما قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا * الى ان شبت واكتهلت لذاتي

وكذلك تفعل العرب تسمي اللازم للشئ يعرف بابنه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من أرض الى أرض حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وابن السبيل قال لابن السبيل حق من الزكاة وان كان غنيا اذا كان منقطعا به حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهري عن ابن السبيل قال يأتي على ابن السبيل وهو محتاج قلت فان كان غنيا قال وان كان غنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابن السبيل الضيف جعل له فيها حق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن السبيل المسافر من كان غنيا أو فقيرا اذا أصيبت نفقته أو فقدت أو أصابها شئ أو لم يكن معه شئ نفقة واجب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك انه قال في الغني اذا سافر فاحتاج في سفره قال يأخذ من الزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من الارض الى الارض وقوله فريضة من الله يقول جل ثناؤه قسم قسمه الله لهم فاوجبه في أموال أهل الاموال لهم والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفي غير ذلك لا يخفى عليه شئ فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة حكيم في تدبيره خلقه لا يدخل في تدبيره خلل واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية وهل يجب لكل صنف من الاصناف الثمانية فيها حق وذلك الى رب المال ومن يتولى قسمها في ان له أن يعطي جميع ذلك من شاء من الاصناف الثمانية فقال عامة أهل العلم للمتولي قسمها وضعها في أي الاصناف الثمانية شاء وانما سمى الله الاصناف الثمانية في الآية اعلاما منه خلقه ان الصدقة لا تخرج من هذه الاصناف الثمانية الى غيرها الا ايجابا القسمها بين الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن الحجاج بن أرطاة عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال ان شئت جعلته في صنف واحد أو صنفين أو ثلاثة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن المنهال عن زر عن حذيفة قال اذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك قال حدثنا جرير عن ليث عن عطاء عن عمر انما الصدقات للفقراء قال أي اصناف أعطيته من هذا أجزأك قال حدثنا ابن نمير عن عبد المطلب عن عطاء انما الصدقات للفقراء الآية قال لو وضعتها في صنف واحد من هذه الاصناف أجزأك ولو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الي قال أخبرنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل في أي صنف أعطيته من هذه

يقال حلف بالله ليفعلن أو لافعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء أول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح حينئذ ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك أنفسنا والله تعالى أعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم أذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كني عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيآن فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاساري فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في أمري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي ووقاك الله الا عرفت حتى وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله لم أذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه عليه السلام أذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب أو منع والا كان عاصيا بل

كافرا لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله ولا ريب انه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن أن يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة

فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطأ واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد وأخطأ
فله أجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب (١٠٢) الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم
رخص له في سورة النور في قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم قال أبو مسلم يحتمل أن يريد بقوله أذنت لهم الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونه عونا للمنافقين على المسلمين واذا كان هذا محتملا فلا تتعين الآية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان سياق الآية يدل على ان الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوا لان الاستئذان من علامات النفاق فقال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا أي في أن يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد وكانوا بحيث لو أمرهم بالقعود شق عليهم ذلك ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى أن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كاضمار الجار والتقدير في ان لا يجاهدوا لان سياق الآية يدل على ذم من يستاذن في القعود وعلى هذا يمكن أن يقال معناه كراهة أن يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الى انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستئذان فقال انما يستاذنك الآية وفيه ان السائل في أمر الدين وفي أصوله لا في بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه ان محل الريب واليقين هو القلب وان الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والالم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان السائل متردد بين النفي والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقديره ان الاعتقاد

الاصناف أجزأ قال حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله قال حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال انما هذا شئ أعلمه فاي صنف من هذه الاصناف أعطيته اجزأ عنك قال حدثنا أبي عن الحكم عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء قال في أي هذه الاصناف وضعتها أجزأ قال حدثنا أبي عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال اذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزأ قال حدثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال اذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزأ قال حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران انما الصدقات للفقراء قال اذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء اجزأ عنك قال حدثنا محمد بن بشر عن مسعود عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية قال أعلم أهلها من هم قال حدثنا حفص عن ليث عن عطاء عن عمر انه كان يأخذ الفرض في الصدقة ويجعلها في صنف واحد وكان بعض المتأخرين يقول اذا تولى رب المال قسمها كان عليه وضعها في ستة أصناف وذلك ان المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا وان سهم العاملين يبطل بقسمه اياها وبزعم انه لا يجزئه أن يعطي من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس وكان يقول ان تولى قسمها الامام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف لا يجزي عنده غير ذلك ۞ القول في تاويل قوله (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغشونه ويقولون هو أذن سامعه يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه وهو من قولهم رجل أذنة مثل فعلة اذا كان يسرع الاسماع والقبول كما يقال هو تغن وتفن اذا كان ذا تفنن بكل ما أحدث وأصله من أذن له يأذن اذا استمع له ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن ومنه قول عدي بن زيد

أيها القلب تعلل بددن * ان همي في سماع وأذن

وذكر ان هذه الآية نزلت في ربيع بن الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله غشهم يعني المنافقين واذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن الآية وكان الذي يقول تلك المقالة فيما بلغني نبتل بن الحرث أخو بني عمرو بن عوف وقد نزلت هذه الآية وذلك انه قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله قل أذن خير لكم أي يسمع الخير ويصدق به واختلفت القراء في قراءة قوله قل أذن خير لكم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير يعني قل لهم يا محمد هو أذن خير لا أذن شر وذكر عن الحسن البصري انه قرأ ذلك قل أذن خير لكم بتنوين أذن ويصير خير خبر له بمعنى قل من سمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ان كان محمد كما وصفتموه من انكم اذا آذيتموه فانكر تم ما ذكر له عنكم من أذاكم اياه وغشكم له سمع منكم وصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون ثم كذبهم فقال بل لا يقبل الا من المؤمنين يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندي في ذلك قراءة من قرأ قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير وخفض الخير يعني قل هو أذن خير لكم لا أذن شر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثني عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن يسمع من كل أحد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قال كانوا يقولون انما محمد أذن لا يحدث عنا شيأ الا هو أذن يسمع ما يقال له **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويقولون هو أذن نقول ما شئنا ونحلف فيصدقنا **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هو أذن قال يقولون نقول ما شئنا ثم نحلف له فيصدقنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وأما قوله يؤمن بالله فانه يقول يصدق بالله وحده لا شريك له وقوله ويؤمن للمؤمنين يقول ويصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا محمد أذن يقول جل ثناؤه انما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير يصدق بالله وبما جاءه من عنده ويصدق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله وقيل ويؤمن للمؤمنين معناه ويؤمن المؤمنين لان العرب تقول فيما ذكر لنا عنها أمنت له وأمنته بمعنى صدقته كما قيل ردف لكم بعض الذي تستعجلون ومعناه ردفكم وكما قال للذين هم لربهم يرهبون ومعناه للذين هم ربهم يرهبون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يعني يؤمن بالله ويصدق المؤمنين واما قوله ورحمة للذين آمنوا منكم فان القراء اختلفت في قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ورحمة للذين آمنوا بمعنى قل هو أذن خير لكم وهو رحمة للذين آمنوا منكم فترجع الرحمة عطفا بها على الاذن وقرأه بعض الكوفيين ورحمة عطفا بها على الخير بتأويل قل أذن خير لكم وأذن رحمة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأه ورحمة بالرفع عطفا بها على الاذن بمعنى وهو رحمة للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاء به من عند به لان الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جنانه ۞ القول في تأويل قوله (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يغشون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هو أذن وأمثالهم من مكذبيهم والقائلين فيه الهجر والباطل عذاب من الله موجع لهم في نار جهنم ۞ القول في تأويل قوله (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ورسوله صلى الله عليه وسلم يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم اياه بالطعن عليه والعيب له ومطابقتهم سرا أهل الكفر عليكم بالله والايمان الفاجرة انهم ما فعلوا ذلك وانهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم يبتغون بذلك رضاكم يقول الله جل ثناؤه والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والانابة مما قالوا ونطقوا ان كانوا مؤمنين يقول ان كانوا مصدقين بتوحيد الله مقرين بوعده ووعيده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية ذكر لنا ان رجلا من المنافقين قال والله ان هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وان كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال فسمعها رجل من المسلمين فقال والله ان ما يقول محمد حق ولانت شر من الحمار فسعى بها لرجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى الرجل فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك قال وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله في ذلك يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ۞ القول في تأويل قوله (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار

الحيرة والتردد من شأن صاحبه كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر قال المفسرون وان المستأذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم فقال ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد فتركهم العدة دليل على انهم أرادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم أى انطلاقهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو أرادوا الخروج يعطى معنى نفى الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما يقول ما أحسن الى زيد ولكن أساء الى ومثل هذا يسمى في علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تأكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحى وكذا على قول أبي مسلم وبما نوهم انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا وقوله في سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله قل لن تتبعونا وأما عندنا فانما خطأ الرسول صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه أذن لهم قبل اتمام

التخصص وكمال التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء أنفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم وكان لا تدعو الحاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه أخر دالة على هتك أستارهم وكشف أسرارهم قال معتزلة البصرة في الآية دلالة على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه أراد عدم ذلك الشئ وزيف بان العدم لا يصلح أن يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن أن يجاب بان الارادة صفة تقتضي ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة تحصيلا للحاصل وأيضا عدم الشئ المخصوص ليس عدما محضا أما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل أن يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود ويحتمل أن يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة أو قول بعضهم لبعض لما أرادوا الاجتماع على التخلف أو هو قول الرسول كأنه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد أذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم أذنت لهم أي لم ذكرت هذه اللفظة التي أمكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذم لهم وتجهيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي عسكره على ذي جدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بما قبل العسكرين ٧ فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فانزل الله يعزي نبيه لم خرجوا فيكم ازادوكم الا خبالا فيكون استثناء متصلا مع أعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على ان التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا فقال

جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق انه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما بالخلاف عليهما فان له نار جهنم في الآخرة خالدا فيها يقول لابثا فيها مقيما الى غير نهاية ذلك الخزي العظيم يقول فلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذل العظيم وقرأت القراء فان بفتح الالف من أن بمعنى ألم يعلموا أن لمن حاد الله ورسوله نار جهنم واعمال يعلموا فيها كأنهم جعلوا ان الثانية مكررة على الاولى واعتمدوا عليها اذ كان الخبر معهما دون الاولى وقد كان بعض نحوي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها وان دخولها فيها عنده دليل على انها جواب الجزاء وانها اذا كانت للجواب جزاء كان الاختيار فيها الابتداء والقراءة التي لا أستجيز غيرها فتح الالف في كلا الحرفين أعني ان الاولى والثانية لان ذلك قراءة الامصار وللعلة التي ذكرت من جهة العربية

القول في تاويل قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون) يقول تعالى ذكره يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقول تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم وقيل ان الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المنافقين كانوا اذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيأ من أمره وأمر المسلمين قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم استهزؤا مهددا لهم متوعدا ان الله مخرج ما كنتم تحذرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة يقول يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال سرنا هذا وأما قوله ان الله مخرج ما تحذرون فانه يعني به ان الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون ان تظهروه فاظهر الله ذلك عليهم وفضحهم فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين

القول في تاويل قوله (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ليقولن لك انما قلنا ذلك لعبا وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد أبالله وآياته كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن وكان ابن اسحق يقول الذي قال هذه المقالة كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف **حدثنا** علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا الليث قال ثني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا السنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فقال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده **حدثني** هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء

ضعيف والخبال فى اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى الاشرا وقال سلمان الامكرا وقال الضحاك الاغدرا وقيل الاخبثا وقيل هو الاضطراب فى الرأى وذلك بتزيين أمر لقوم وتقبيحه لآخرين حتى يختلفوا وتتفرق كلمتهم قالت

فقال رجل فى المجلس كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله بن عمر فانا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته و رسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن عكرمة فى قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله بانهم كانوا مجرمين قال فكان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقوله اللهم انى أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتحن منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لايقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت قال فاصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا وجد غيره **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوته الى تبوك و بين يديه ناس من المنافقين قالوا يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا قالوا يانبى الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تبارك وتعالى ما تسمعون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك و ركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال على هؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى قراءتنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال أبالله وآياته و رسوله كنتم تستهزؤن الى قوله مجرمين وان رجليه لينسفان بالحجارة وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما كنا نخوض ونلعب قال رجل من المنافقين يحدث انا محمدا ان ناقة فلان بوادى كذا وكذا ومايدريه ما الغيب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ۞ القول فى تاويل قوله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم لاتعتذروا بالباطل فتقولوا كنا نخوض ونلعب قد كفرتم يقول قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به بعد ايمانكم يقول بعد تصديقكم به واقراركم به ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وذكر انه عنى بالطائفة فى هذا الموضع رجل واحد وكان ابن اسحق يقول فيما **حدثنا** به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى عفى عنه فيما بلغنى مخشى بن حمير الاشجعى حليف بنى سلمة وذلك انه أنكر منهم بعض ما سمع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد ابن جبلة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ان نعف عن طائفة منكم قال طائفة رجل * واختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معناه ان نعف عن طائفة منكم بانكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر نعذب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله و رسوله ذكر من قال ذلك

المعتزلة دلت الآية على انه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل على أنه تعالى لايريد الا الخير والصلاح ولقائل أن يقول اثبات حكم كلى بحكم جزئى غير معقول واعلم انه سبحانه عد من مفاسد خروجهم ثلاثة الاول قوله مازادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال فى الكشاف زيد ألف فى الكتابة لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قبل نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أولا ذبحنه فى النمل ولاتوها فى الاحزاب ولاراب لها فى القرآن وفى الايضاح قولان لاهل اللغة فقال أكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا وأوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون فى الآية حذف والتقدير ولاوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وأبو عبيدة انه جاء لازما ويقال أوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفه وعليه السكينة وأوضع فى وادى محسر أى أسرع قال الواحدى والآية تشهد للاخفش وأبى عبيدة وعلى القولين المراد فى الآية السعى بين المسلمين بالتخريب والنميمة والمبالغة فى الاول أكثر لان الراكب أسرع من الماشى ومعنى خلالكم أى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين

و يبغونكم الفتنة أى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وأبغنى أى اطلبه لاجلى ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش فى المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام أسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل

اختلاف الآراء ومن الثانى المشتى بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض وأما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد أى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم و يقبل قولهم واذا تعارضا الفاعل والقابل وقع الاثر على أكمل الوجوه لاحالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم وأجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام أو لمن جبل على الجبن والفشل (١٠٦) أو لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة أو هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال بعضهم كان رجل منهم لم يؤنبهم فى الحديث فيسير مجانبا لهم فنزلت ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فسمى طائفة وهو واحد وقال آخرون بل معنى ذلك ان تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة وأما قوله انهم كانوا مجرمين فان معناه يعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم وهو الكفر بالله وطعنه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف و يقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره المنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون للمؤمنين الايمان بالسنتهم و يسرون الكفر بالله و رسوله بعضهم من بعض يقول هم صنف واحد وأمرهم واحد فى اعلانهم الايمان واستبطانهم الكفر يأمرون من قبل منهم بالمنكر وهو الكفر بالله و بمحمد صلى الله عليه وسلم و بما جاء به وتكذيبه و ينهون عن المعروف يقول و ينهونهم عن الايمان بالله ورسوله و بما جاءهم به من عند الله وقوله و يقبضون أيديهم يقول و يمسكون أيديهم عن النفقة فى سبيل الله ويكفونها عن الصدقة فيمنعون الذين فرض الله لهم فى أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم كما

حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله و يقبضون أيديهم قال يبسطونها بنفقة فى حق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله و يقبضون أيديهم لا يبسطونها بخير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة و يقبضون أيديهم قال يقبضون أيديهم عن كل خير وأما قوله نسوا الله فنسيهم فان معناه تركوا الله أن يطيعوه و يتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته و رحمته * وقد دللنا فيما مضى على ان معنى النسيان الترك بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نسوا الله فنسيهم نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر قوله ان المنافقين هم الفاسقون يقول ان الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الايمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الايمان به و برسوله ۞ القول فى تاويل قوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) يقول تعالى ذكره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله نار جهنم ان يصلبهموها جميعا خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا لا يحيون فيها ولا يموتون هى حسبهم يقول هى كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله ولعنهم الله يقول وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ولهم عذاب مقيم يقول وللغريقين جميعا يعنى من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ۞ القول فى تاويل قوله (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين

حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال بعضهم كان رجل منهم لم يؤنبهم فى الحديث فيسير مجانبا لهم فنزلت ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فسمى طائفة وهو واحد وقال آخرون بل معنى ذلك ان تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة وأما قوله انهم كانوا مجرمين فان معناه يعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم وهو الكفر بالله وطعنه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف و يقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره المنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون للمؤمنين الايمان بالسنتهم و يسرون الكفر بالله و رسوله بعضهم من بعض يقول هم صنف واحد وأمرهم واحد فى اعلانهم الايمان واستبطانهم الكفر يأمرون من قبل منهم بالمنكر وهو الكفر بالله و بمحمد صلى الله عليه وسلم و بما جاء به وتكذيبه و ينهون عن المعروف يقول و ينهونهم عن الايمان بالله ورسوله و بما جاءهم به من عند الله وقوله و يقبضون أيديهم يقول و يمسكون أيديهم عن النفقة فى سبيل الله ويكفونها عن الصدقة فيمنعون الذين فرض الله لهم فى أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم كما

حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله و يقبضون أيديهم قال يبسطونها بنفقة فى حق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله و يقبضون أيديهم لا يبسطونها بخير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة و يقبضون أيديهم قال يقبضون أيديهم عن كل خير وأما قوله نسوا الله فنسيهم فان معناه تركوا الله أن يطيعوه و يتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته و رحمته * وقد دللنا فيما مضى على ان معنى النسيان الترك بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نسوا الله فنسيهم نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر قوله ان المنافقين هم الفاسقون يقول ان الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الايمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الايمان به و برسوله ۞ القول فى تاويل قوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) يقول تعالى ذكره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله نار جهنم ان يصلبهموها جميعا خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا لا يحيون فيها ولا يموتون هى حسبهم يقول هى كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله ولعنهم الله يقول وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ولهم عذاب مقيم يقول وللغريقين جميعا يعنى من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ۞ القول فى تاويل قوله (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين

سخيف أو أهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الآية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين كيد أهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل أى من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن أبى يوم أحد حين انصرف عن النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعنى الفتنة تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور وحرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حول مصايد المكايد حتى جاء الحق الذى هو القرآن وظهر أمر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم فى نحرهم وأتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك فى الماضى فكذا يكون الحال فى المستقبل لقوله و يابى الله الا أن يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بان لا تاذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت احتمل أن يكون قد ذكره على سبيل السخرية أو على سبيل الجد بان كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل

الذين

لا تفتنى أى لا تلقنى فى التهلكة فانى ان خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فنزلت الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا الجد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه

وسلم وأعداء أدوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن معرور ألا فى الفتنة سقطوا أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكاليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الآية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما فى الدنيا فلاحاطة أسبابها بهم من البغى عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار وأما فى الآخرة فلما آل حالهم الى الدرك الاسفل من النار * التأويل أيها الارواح والقلوب المؤمنة مامصيبتكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الربانى أخرجوا من الدنيا ومافيها فى طلب الله والسير اليه انا قلتم الى أرض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا أليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا أى النفوس الامارة الكافرة من أرض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذهما فى غار العدم وكلمة الله هى العليا يجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعى وأصله الى مقام العندية انفروا أيها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها أو خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بقدمى بذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا وهو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا وهو

الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب أبالله وآياته وكتابه ورسوله كنتم تستهزؤن كالذين من قبلكم من الامم الذين فعلوا فعلكم فاهلكهم الله وعجل لهم فى الدنيا الخزى بسبب ما أعدلهم من العقوبة والنكال فى الآخرة يقول لهم جل ثناؤه واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حل بهم فانهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا وأكثر منكم أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم يقول فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ورضوا بذلك من نصيبهم فى الدنيا عوضا من نصيبهم فى الآخرة وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم فى الاستمتاع بخلاقكم يقول فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الامم الذين كانوا من قبلهم الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى بخلافهم يقول كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم وخضتم فى الكذب والباطل على الله كالذى خاضوا يقول وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون نحوض تلك الامم قبلكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى أبو معشر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذ الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم القرآن كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم قال فهل الناس الا هم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قوله كالذين من قبلكم الآية قال قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنى اسرائيل شبههم بهم لا أعلم الا انه قال والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج وأخبرنى زياد بن سعد عن محمد بن زيد بن مهاجر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله أهل الكتاب قال فمن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال أبو سعيد الخدرى انه قال فمن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فاستمتعوا بخلاقهم قال بدينهم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن تحدثوا فى الاسلام حدثا أو قد علمتم انه سيفعل أقوام من هذه الامة فقال الله فى ذلك فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا انما حسبوا ان لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببنى اسرائيل قبلهم وان الفتنة عائدة كما بدت وأما قوله أولئك حبطت أعمالهم فان معناه هؤلاء الذين قالوا انا كنا نخوض ونلعب وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الامم قبلهم حبطت أعمالهم يقول ذهبت أعمالهم باطلا فلا ثواب لها الا النار لانها كانت فيما يسخط الله ويكرهه وأولئك هم الخاسرون يقول وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد ۞ القول فى تأويل قوله (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم

تتبع شهوات النفس وهواها لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعنى أرباب النفوس لخرجنا معكم يا أهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم فى ريبهم يترددون بين أوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لا عدوا له عدة وهى متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم فى سجن البشرية مازادوكم الا خبالا فيه اشارة الى ان قعود أهل الطبيعة فى حبس البشرية صلاح لارباب القلوب وأصحاب السلوك لانهم لو

خرجوا عن نية صادقة وعزيمة صالحة مازادوهم الا تشويشا وتفرقة لاقوالهم وأفعالهم وأحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح في شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر أمر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود عن الارتقاء في مدارج المعارف والمشارع ولا تفتني بارو ح بتكليفي ما ليس من شأني وذلك ان الهوى مركب المحبة يستعمله الروح في تصاعده الى ذروة الكمال والوصال ألا في الفتنة سقطوا أي ان فتنة الهبوط هي الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم كفار النفس وصفاتها أعاذنا الله منها (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) القراآت هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزي وابن فليح وقراءة حمزة وعلي وهشام مدغما حتى لا يجتمع ساكنان الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء لن تقبل بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الآخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير بالمعروف ﴿الوقوف تسؤهم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف فرحون ه لنا ج للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولانا ط لابتداء اخبار من الله أو الحكاية عنهم المؤمنون ه الحسنيين

ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله وينهون عن الايمان به وبرسوله نبأ الذين من قبلهم يقول خبر الامم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا بين جل ثناؤه من أولئك الامم التي قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم فقال قوم نوح ولذلك خفض القوم لانه ترجم بهم عن الذين والذين في موضع خفض ومعنى الكلام ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم اذ كذبوا رسولي نوحا وخالفوا أمري ألم أغرقهم بالطوفان وعاد يقول وخبر عاد اذ عصوا رسولي هودا ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية وخبر ثمود اذ عصوا رسولي صالحا ألم أهلكهم بالرجفة فاتركهم بافنيتهم خمودا وخبر قوم ابراهيم اذ عصوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمرود وخبر أصحاب مدين بن ابراهيم ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة اذ كذبوا رسولي شعيبا وخبر المنقلبة بهم أرضهم فصار أعلاها أسفلها اذ عصوا رسولي لوطا وكذبوا ما جاءهم به من عندي من الحق يقول تعالى ذكره أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزؤن بالله وبآياته ورسوله ان يسلك بهم في الانتقام منهم وتعجيل الخزي والنكال لهم في الدنيا سبيل أسلافهم من الامم ويحل بهم بتكذيبهم رسولي محمدا صلى الله عليه وسلم ما حل بهم في تكذيبهم رسلنا اذ أتتهم بالبينات * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والمؤتفكات قال قوم لوط انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والمؤتفكات قال هم قوم لوط فان قال قائل فان كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط فكيف قيل المؤتفكات فجمعت ولم توحد قيل انها كانت قريات ثلاثا فجمعت لذلك ولذلك جمعت بالتاء على قول الله والمؤتفكة أهوى فان قال وكيف قيل أتتهم رسلهم بالبينات وانما كان المرسل اليهم واحدا قيل معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم الى الله فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم اليهم للدعاء الى الله عن رسالته رسلا اليهم كما قالت العرب لقوم نسبوا الى أبي فديك الخارجي الفديكات وأبو فديك واحد ولكن أصحابه لما نسبوا اليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا الى رئيسهم فكذلك قوله أتتهم رسلهم بالبينات وقد يحتمل ان يقال معنى ذلك أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الامم الذين ذكرهم الله في هذه الآية رسلهم من الله بالبينات وقوله فما كان الله ليظلمهم يقول جل ثناؤه فما أهلك الله هذه الامم التي ذكر انه أهلكها الا باجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلما من الله لهم ولا وضعا منه جل ثناؤه عقوبة في غير من هو لها أهل لان الله حكيم لا خلل في تدبيره ولا خطأ في تقديره ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم فحقت عليهم كلمة العذاب فعذبوا ﴿القول في تأويل قوله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره وأما المؤمنون والمؤمنات وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه فان صفتهم ان بعضهم أنصار بعض يأمرون

ط للاستئناف بعد تمام الاستفهام بايدينا ط والوصل أصح لان الفاء جواب نتربص متربصون ه منكم ط فاسقين ه كارهون ه ولا أولادهم ط كافرون ه لمنكم ط يفرقون ه يجمحون ه الصدقات ط للشرط مع الفاء يسخطون ه ورسوله ط الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف أى لكان خيرا لهم * التفسير هذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة فى يوم بدر والمصيبة فى يوم أحد والاولى حمله على العموم (١٠٩) اذ معلوم من حال المنافقين انهم كانوا فى كل

بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ويقيمون الصلاة يقول ويؤدون الصلاة المفروضة ويؤتون الزكاة يقول ويعطون الزكاة المفروضة أهلها ويطيعون الله ورسوله فيأتمرون لامر الله ورسوله وينتهون عما نهاهم عنه أولئك سيرحمهم الله يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله الناهون عن المعروف الآمرون بالمنكر القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم ان الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به لا يمنعه من الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر حكيم فى انتقامه منهم وفى جميع أفعاله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كل ماذكره الله فى القرآن من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهى عن المنكر النهى عن عبادة الاوثان والشياطين قال حدثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يقيمون الصلاة قال الصلوات الخمس ۞ القول فى تاويل قوله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء جنات تجرى من تحتها الانهار يقول بساتين تجرى تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لا يبغين فيها أبدا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ومساكن طيبة يقول ومنازل يسكنونها طيبة وطيبها انها فيما ذكر لنا كما حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية فى كتاب الله تبارك وتعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من لؤلؤة فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا قرة بن حبيب عن حسن بن فرقد عن الحسن عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وأما قوله فى جنات عدن فانه يعنى وهذه المساكن الطيبة التى وصفها جل ثناؤه فى جنات عدن وفى من صلة مساكن وقيل جنات عدن لانها بساتين خلد واقامة لا يظعن فيها أحد وقيل انما قيل لها جنات عدن لانها دار الله التى استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه من قول العرب عدن فلان بارض كذا اذا أقام بها وخلد بها ومنه المعدن ويقال هو فى معدن صدق يعنى به انه فى أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذى ذكر الله تعالى ومعنى أخذنا أمرنا أى أمرنا الذى نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الرأى والتدبير ومن قبل أى من قبل ما وقع وتولوا أى عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم أو اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقول فى جوابهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل أى فى اللوح المحفوظ من خير أو شر أو خوف أو رجاء أو شدة أو رخاء وفائدته انه اذا علم الانسان ان الذى وقع امتنع أن لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل أى فى عاقبة أمرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان أحوال المسلمين وان كانت مختلفة فى الغم والسرور والدولة والمحنة الا أن العاقبة تكون لهم والظفر يقع من جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين فى الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم أو الشهادة وعلى هذا القول يقع ما فى الآية الثانية كالمكرر هو مولانا لا يتولى أمورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من أسباب التهانى والتعازى لا اعتراض لاحد عليه وعلى الله فليتوكل

المؤمنون فيه تنبيه على ان المؤمن يجب أن لا يعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم أمرهم بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين التربص التمسك بما ينتظر به مجىء حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تانيث الاحسن وهى صفة الحالة أو الخصلة أو العاقبة يعنى النصرة أو الشهادة وفى الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفى الثانية ابقاء الذكر والفوز بنعم الآخرة ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذاب

الدارين أو بايدينا يعني القتل بان يظهر نفاقكم ويامر بقتلكم كالكافر الحربي فتربصوا أمر للتهديد نحو ذق انك أنت العزيز الكريم ثم ذكرانهم ان أتوا بشئ من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به في الآخرة والغرض ان أسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما وأنفقوا لفظه (١١٠) أمر ومعناه خبر كقوله فيما يجيء استغفرلهم أولا تستغفرلهم ومعناه أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفرلهم أو لا تستغفرلهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة * أسيء بنا أو أحسني لا ملومة * كانه يقول امتحني لطف محلك عندي وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تجدني مني تفاوتا في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب أحدهما مقام الآخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب طوعا أو كرها على الحال ومعناه طائعين من غير التزام من الله ورسوله أو ملزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل أن يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم أو ملزمين من جهتهم وذلك ان رؤساء أهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا رأوا فيه مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم أو انه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات وأجيب بان الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم أن تقبل منهم الآية علل منع القبول بامور ثلاثة أولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلي للناس لانه وفيه انه غير معتقد للصلاة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان أنفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر

وان تستضيفوا الى حلمه * تضافوا الى راجح قد عدن

وينشد قد وزن * وكالذي قلنا في ذلك كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأولونه حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا غياث بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس جنات عدن قال معدن الرجل الذي يكون فيه حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا الكندي سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات بقين من الليل في الساعة الاولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن وهي داره التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولم يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك وذكر في الساعة الثالثة حدثني موسى بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا الليث بن سعد قال ثنا زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله تبارك وتعالى طوبى لمن دخلك * وقال آخرون معنى جنات عدن جنات أعناب وكروم ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي قال ثنا زكريا بن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحرث ان ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن فقال هي الكروم والاعناب بالسريانية * وقال آخرون هي اسم لبطنان الجنة ووسطها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن سليمان الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال عدن بطنان الجنة حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان وشعبة عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله جنات عدن قال بطنان الجنة قال ابن بشار في حديثه فقلت ما بطنانها وقال ابن المثنى في حديثه فقلت للاعمش ما بطنان الجنة قال وسطها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة وأبي الضحى عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بمثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا أو عن أحدهما عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قول الله جنات عدن قال بطنان الجنة * وقال آخرون عدن اسم لقصر ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبدة أبو غسان عن عون بن موسى الكناني عن الحسن قال جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ورفع به صوته

حدثنا

بالله سبب مستقل فى منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الآخرين والجواب انها أمارات ويجوز تواردالامارات المتعددة على شئ واحد وبوجه آخر أطلق كفرهم أولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلاة والزكاة وبعبارة أخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من أنواع كفرهم هذين تفظيعا للشأن تارك الصلاة والزكاة قال فى الكشاف وقرأت فى بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين قال (١١١) بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل

حدثنا أحمد بن أبى سريج قال ثنا عبدالله بن عاصم قال ثنا عون بن موسى قال سمعت الحسن ابن أبى الحسن يقول جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل رفع الحسن به صوته حدثنا أحمد قال ثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبدالله بن عمرو قال ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والروح له خمسون ألف باب على كل باب حبرة لا يدخله الا نبى أو صديق حدثنا الحسن بن ناجح قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت يعقوب بن عاصم يحدث عن عبدالله بن عمرو ان فى الجنة قصرا يقال له عدن له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقيل هى مدينة الجنة ذكر من قال ذلك حدثت عن عبدالرحمن المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى جنات عدن قال هى مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها وقيل انه اسم نهر ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربى عن واصل بن السائب الرقاشى عن عطاء قال عدن نهر فى الجنة جنانه على حافتيه وأما قوله ورضوان من الله أكبر فان معناه ورضى الله عنهم أكبر من ذلك كله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا يا رب وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا حدثنا ابن حميد قال ثنى يعقوب عن حفص عن شمر قال يجىء القرآن يوم القيامة فى صورة الرجل الشاحب الى الرجل حين ينشق عنه قبره فيقول ابشر بكرامة الله ابشر برضوان الله فيقول مثلك من يبشر بالخير ومن أنت فيقول أنا القرآن الذى كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك فيحمله على رقبته حتى يوافى به ربه فيمثل بين يديه فيقول يا رب عبدك هذا جزه عنى خيرا فقد كنت أسهر ليله وأظمئ نهاره وآمره فيطيعنى وأنهاه فيطيعنى فيقول الرب تبارك وتعالى فله حلة الكرامة فيقول أى رب زده فانه أهل ذلك فيقول فله رضوانى قال ورضوان الله أكبر وابتدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات انه أكبر من كل ماذكر جل ثناؤه فرفع وان كان الرضوان فيما قد وعدهم ولم يعطف به فى الاعراب على الجنات والمساكن الطيبة ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ما قسم لهم من فضله واعطاهم من كرامته نظير قول القائل فى الكلام الآخر اعطيتك ووصلتك بكذا وأكرمتك ورضاى بعد عنك أفضل ذلك هذه الاشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم لانهم ظفروا بكرامة الابد ونجوا من الهوان فى السقر فهو الفوز العظيم الذى لا شئ أعظم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) يقول تعالى ذكره يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين بالسيف والسلاح والمنافقين واختلف أهل التأويل فى صفة الجهاد الذى أمر الله نبيه به فى المنافقين فقال بعضهم أمره بجهادهم

منقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الآية وهو ان شيأ من أعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو أن يصرف ذلك الى تأثيره فى تخفيف العقاب ولقائل أن يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له فى التخفيف أيضا أثر وقيل فى الآية دلالة على ان الصلاة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الآخرة أراد أن يبين ان ما يظنونه من منافع الدنيا فهو أيضا فى الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم أولا كل أحد فلا تعجبك الآية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالغاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط أى ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلاة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجىء فى الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره مأتاه وانه من البعيد فى حكم الله أن يزيل ذلك الشئ عنه ويحصله لغيره كقوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا

ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس فى ذلك الشئ وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ازالته فى قدرة الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك فى حبها فان المسكن الاصلى هو الآخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعرابه كما مر فى قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدى وقتادة فى الآية تقديم وتأخير والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة

كانهم نظروا الى أن المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده وأورد عليه انهما لا يكونان عذابا فى الآخرة أيضا فان تكلفوا وقالوا أراد بذلك انهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتأخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب فى الدنيا أيضا وبوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان فى الدنيا لا محالة فما فائدة فى ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب فى الدنيا والآخرة وذلك ان كل ما كان حبه للشئ أشد كان خوفه عن فواته أكثر وحزنه على فواته أعظم وصاحب المال أبدا اما فى خوف فوات المال واما فى حزن فواته واما فى تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه و يفضى الى طغيانه وقساوة قلبه الى أن ينسى حب الله وذكر الآخرة ثم انه ان بقى عليه ذلك الى آخر عمره فعند الموت عظم أسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وعند الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام فى الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا أن المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيفتر حبه للاموال الدنيوية بخلاف المنافق الذى اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وأيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال و بعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون فى ذلك فائدة أخروية و كانوا فى أشق تكليف وكانوا مبغضين للنبى صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال و بعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض أولادهم وأموالهم للنهب والسبى وكثير منهم كان لهم أولاد أتقياء مخلصون كحنظلة بن أبى عامر والآخرة غسلته الملائكة وكعبد بن عبد الله شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يزيفون طريق آبائهم فى النفاق و يقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه ولاجل هذه المعانى ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله أن يزيد فى أموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق أنفسهم أى تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى أراد منهم الكفر وأورد الجبائى عليه ان المريض اذا قال

بالبد واللسان و بكل ما أطاق جهادهم به ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جميد ابن عبد الرحمن و يحيى بن آدم عن حسين بن صالح عن على بن الاقمر عن عمرو بن أبى جندب عن ابن مسعود فى قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه * وقال آخرون بل أمره بجهادهم باللسان ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فامره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرفق عنهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس جاهد الكفار والمنافقين قال الكفار بالقتال والمنافقين ان تغلظ عليهم بالكلام **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يقول جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم * وقال آخرون بل أمره باقامة الحدود عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن جاهد الكفار والمنافقين قال جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحدود أقم عليهم حدود الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجاهد الكفار بالسيف و يغلظ على المنافقين فى الحدود * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تاويل ذلك عندى بالصواب ما قال ابن مسعود من ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذى أمره به من جهاد المشركين فان قال قائل فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم قيل ان الله تعالى ذكره انما أمر بقتال من أظهر منه كلمة الكفر ثم أقام على اظهاره ما أظهر من ذلك وأما من اذا اطلع عليه منهم انه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها ورجع عنها وقال انى مسلم فان حكم الله فى كل من أظهر الاسلام بلسانه ان يحقن بذلك دمه وماله وان كان معتقدا غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله اياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لان أحدهم كان اذا اطلع عليه انه قد قال قولا كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الاسلام بلسانه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه الا بما ظهر له من قوله عند حضوره اياه وعزمه على امضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك دون اعتقاد ضميره الذى لم يبح الله لاحد الاخذ به فى الحكم وتولى الاخذ به هو دون خلقه وقوله واغلظ عليهم يقول تعالى ذكره واشدد عليهم بالجهاد والقتال والارعاب وقوله ومأواهم جهنم يقول ومساكنهم جهنم وهى مثواهم ومأواهم و بئس المصير يقول و بئس المكان الذى يصار اليه جهنم ۞ القول فى تاويل قوله (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا

الطبيب أريد ان تدخل على فى حالة مرضى لم يلزم منه كونه مريد المرض نفسه والجواب ان أمثال هذه موكولة الى قرائن الحال فورقول المريض لاريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا فى تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفى الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق فى ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق فى حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال فى الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريدان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح أفعال المنافقين ماحكى الله سبحانه عنهم فى قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم أى على دينكم ثم قال وماهم منكم أى ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم أكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مغارا فيتحصنون فيه آمنين على أنفسهم منكم لفروا اليه ولغار قوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم فى الدار والمسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذى يغار الانسان فيه ان يستقر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول أدغمت التاء فى الدال لقرب مخرجيهما والتدخل تفعل من الادخال ومعناه المسلك الذى يندس بالدخول فيه قال الكلبى وابن زيد نفق كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرفه وهم يجمحون أى يسرعون اسراعا لا يردوجوههم شئ ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة أشياء والاقرب حملها على المعانى المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف فى الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى أعلم

ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الزجاج لمزت الرجل ألمزه وألمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب فى الحضور والهمز العيب فى الغيبة واعلم ان العيب فى الصدقات يحتمل وجوها الاول فى أخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء أفقرهم وان شاء أغناهم الثانى ان يقال هب انك تأخذ الزكوات الآن ما تأخذه كثيرفوجب ان

والآخرة ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير) اختلف أهل التأويل فى الذى نزلت فيه هذه الآية والقول الذى كان قاله الذى أخبر الله عنه انه يحلف بالله ما قاله فقال بعضهم الذى نزلت فيه هذه الآية الجلاس بن سويد بن الصامت وكان القول الذى قاله ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت فى الجلاس ابن سويد بن الصامت قال ان كان ماجاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمير فقال له ابن امرأته والله يا عدو الله لانت شر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فانى ان لا أفعل أخاف ان تصيبنى قارعة واما أؤاخذ بخطيئتك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الجلاس فقال يا جلاس أقلت كذا وكذا فحلف ما قال فانزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنى المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن ابيه قال نزلت هذه الآية يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم فى الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ماجاء به محمد حقا لنحن أشر من حمير ناهذه التى نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم وخشيت ان ينزل فى القرآن أو تصيبنى قارعة أو ان أخطأ قلت يارسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولا مخافة الله أن أؤاخذ بخطيئته أو تصيبنى قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت الذى قال مصعب قال فحلف فانزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال تلك المقالة فيما بلغنى الجلاس بن سويد بن الصامت فرفعها عنه رجل كان فى حجره يقال له عمير بن سعيد فانكر فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ورجع وحسنت توبته فيما بلغنى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كلمة الكفر قال أحدهم لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فقال له رجل من المؤمنين ان ما قال لحق ولانت شر من حمار قال فهم المنافقون بقتله فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه قال حدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى أيوب بن اسحق بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل حجره فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن اطلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير جميعا الى آخر الآية وقال آخرون بل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول قالوا والكلمة التى قالها ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله ما قالوا الى قوله من ولى ولا نصير قال ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء

تقتنع باقل من ذلك الثالث هب انك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع فى قسمة الصدقات وفى تفريقها وهذا هو الذى دلت الاخبار على انهم أرادوه عن أبى سعيد الخدرى بينا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين قال له ابن ذى الخويصرة وأنت الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فنزلت وعن الكلبى هو أبو الجواظ قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا انما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدته ان يعلم ان الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم أرشدهم الى ما هو صلاح لهم فى نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على أربع مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله و رسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكما كان حكمه وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر أثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال وانا الرضا والتسليم وذكر الحبيب الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله فى غنيمة أخرى الرابعة الرغبة الى الله بانه المقصد الحقيقى والمقصود الاصلى من الايمان والطاعة والمال والمنال روى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون فقال ما الذى حملكم عليه فقالوا الرغبة فى الثواب فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال أنتم المحقون

* التأويل ان تصبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها فيها تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع أخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خالفناه فى السير الى العالم الروحانى قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لا علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للرد وانظر وقل هل تربصون بنا أيتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما أو بايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا أو رياء وكرها أى نفاقا ان يتقبل منكم لان أعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولا لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن أبلغ من عمله وباقى الآيات اشارات الى أن من امارات النفاق عدم الرضا

الانصار وظهر الغفارى على الجهينى فقال عبد الله بن أبى للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى رجل من المسلمين الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فانزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا ان يقال ان الله تعالى أخبر عن المنافقين انهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها انهم لم يقولوها وجائز ان يكون ذلك القول ما روى عن عروة ان الجلاس قاله وجائز ان يكون قائله عبد الله بن أبى ابن سلول والقول ما ذكر قتادة عنه انه قال ولا علم لنا بان ذلك من أى اذ كان لا خبر باحدهما يوجب الحجة ويوصل به الى تعيين العلم به وليس بمنكر زقك علمه بفطرة العقل فالصواب ان يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأما قوله وهموا بما لم ينالوا فان أهل التأويل اختلفوا فى الذى كانوا هموا به من ذلك وما الشئ الذى كان هم به قتل ابن امرأته الذى سمع منه ما قال وخشى ان يفشيه عليه ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون بقتله يعنى قتل المؤمن الذى قال له انت شر من الحمار فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد به وقال آخرون كان الذى هموا به رجلا من قريش والذى هموا به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شبل عن جابر عن مجاهد فى قوله وهموا بما لم ينالوا قال رجل من قريش هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الاسود * وقال آخرون الذى هم عبد الله بن أبى ابن سلول وكان همه الذى لم ينله قوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل من قول قتادة وقد ذكرناه وقوله وما نقموا الا ان أغناهم الله و رسوله من فضله ذكر لنا ان المنافق الذى ذكر الله عنه انه قال كلمة الكفر كان فقيرا فاغناه الله بان قتل له مولى فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته فلما قال ما قال قال الله تعالى وما نقموا يقول ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا ان أغناه الله و رسوله من فضله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه وما نقموا الا ان أغناهم الله و رسوله من فضله وكان الجلاس قتل له مولى فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى فذلك قوله وما نقموا الا ان أغناهم

بقسمة الخلاق وحال المخاص بالعكس (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم (١١٠) الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات

والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) القراآت أذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل الباقون بالاضافة ورحمة بالجر حمزة الآخرون بالرفع ألم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التأنيث في الثاني * الوقوف وابن السبيل ط أي فرض الله فريضة من الله ط حكيم ه هو أذن ط آمنوا ط منكم ط أليم ه ليرضوكم ط لاحتمال الواو الحال والاستئناف مؤمنين ه خالدا فيها ط العظيم ه بما في قلوبهم ط استهزؤا ط لاحتمال الفاء في ان للتعليل تحذرون ط ونلعب ط تستهزؤن ه بعد ايمانكم ط مجرمين ه من بعض ط كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي صفة لكلهم أيديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ه فيها ط حسبهم ط ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في اتمام الجزاء ولعنهم الله ج لذلك مقيم ه لابتدائه على تعلق الكاف وأولادا ط خاضوا ط والآخرة ج الخاسرون ه * التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الرأس ووداء في البطن ولنتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون لا يفي دخلهم بخرجهم انما الكلام في انهما متساويا الدلالة أو أحدهما أسوأ حالا عن أبي يوسف ومحمد والجبائي أنهما

أغناهم الله ورسوله من فضله قال **حدثنا** ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا في مولى لبني عدي بن كعب وفيه أنزلت هذه الآية وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال كانت لعبد الله بن أبي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان قال ثنا عمرو قال سمعت عكرمة ان مولى لبني عدي بن كعب قتل رجلا من الانصار فقضى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه أنزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال عمرو لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من عكرمة يعني الدية اثني عشر ألفا **حدثنا** صالح بن سمالك قال ثنا محمد بن سنان العوفي قال ثنا محمد بن مسلم الطائفي عن عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفا فذلك قوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال باخذ الدية وأما قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم يقول تعالى ذكره فان يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق وان يتولوا يقول وان يدبروا عن التوبة فيأبوها ويصروا على كفرهم يعذبهم الله عذابا أليما يقول يعذبهم عذابا موجعا في الدنيا اما بالقتل واما بعاجل خزي لهم فيها ويعذبهم في الآخرة بالنار وقوله ومالهم في الارض من ولي ولا نصير يقول وما لهؤلاء المنافقين ان عذبهم الله في عاجل الدنيا من ولي يواليه على منعه من عقاب الله ولا نصير ينصره من الله فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء فاخبر جل ثناؤه ان الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ان احتاجوا الى نصرهم وذكر ان الذي نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم قال قال الجلاس قد استثنى الله لي التوبة فانا أتوب فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم الآية فقال الجلاس يا رسول الله اني أرى الله قد استثنى لي التوبة فانا أتوب فتاب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ۞ القول في تاويل قوله (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم

واحد حتى لو أوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد أمرهم في الصدقات والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعي الفقير أسوأ حالا لانه تعالى أثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون أشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة كناية عن أعظم أنواع الشر والدواهي وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد سأل المسكنة في قوله اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سأل توسط الحال ولهذا ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أشياء معلومة مع انه تعالى أجاب دعاءه ظاهرا فاماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى (١١٦) أما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيأ كاهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذي يسأل الناس والغالب انه يحصل له منهم شيء وقريب منه قول من قال سمي مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم في قوله سبحانه وفي أموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان الفقر ضد الغنى ولم يقل أحد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال أبو حنيفة المسكين أسوأ حالا لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة أعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي أفقير أنت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل وأجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله أعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء أجور تنمو أمثالهم لانها أجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ان يبعث أبا رافع عاملا على الصدقات وقال أما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة أو لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك أجرة عمله وعن الحسن انه لا يأخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم أشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم أبو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في

معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من عاهد الله يقول أعطى الله عهدا لئن آتانا من فضله يقول لئن أعطانا الله من فضله ورزقنا مالا ووسع علينا من عنده لنصدقن يقول لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا ولنكونن من الصالحين يقول ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به وانفاقه في سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى فرزقهم الله وآتاهم من فضله فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذي آتاهم فلم يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة ولم ينفقوا منه في حق الله وتولوا يقول وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله وهم معرضون عنه فاعقبهم الله نفاقا في قلوبهم بخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله واخلافهم العهد الذي وعدوا الله ونقضهم عهده في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه من الصدقة والنفقة في سبيله وبما كانوا يكذبون في قيلهم وحرمهم التوبة منه لانه جل ثناؤه اشترط في نفاقهم انه أعقبهموه الى يوم يلقونه وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا * واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها رجل يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الانصار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية وذلك ان رجلا يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن أتاني الله من فضله أتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله فاخلف الله ما وعده وأغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه في القرآن ومنهم من عاهد الله الآية الى قوله يكذبون حدثني المثنى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا محمد بن شعيب قال ثنا معاذ بن رفاعة السلمي عن ابي عبد الملك علي بن يزيد الالهاني انه أخبره عن القاسم ابن عبد الرحمن انه أخبره عن أبي امامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الانصاري انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال اما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي

الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والافلم يكن ما أعطاهم من الصدقات ويروى ان أبا بكر الصديق اعطى عدى بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه أيام الردة والذى استقر عليه رأى الائمة ان المؤلفة ثلاثة أقسام ضعيف النية فى الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتألف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعى الزكاة حيث يكون ذلك أهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما رأى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتألفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيأ من الزكاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس والآن لا يعطون أصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تألفهم ولانه ليس فى الآية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان يقال ان حكم الآية منسوخ الصنف الخامس قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب وللائمة فى تفسيره أقوال فعن ابن (١١٧) عباس انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى

تهو كما يهوى الدود حتى ترك الجمعة فطفق يبلغ الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فاخبروه بامره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما ففرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا الجزية ما أدرى ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان نأخذ هذا منك قال بلى فخذوه فان نفسى بذلك طيبة وانما هى لى فأخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فاخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى فانزل الله تبارك وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثى على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبضها فلما ولى عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ولا أبو بكر ولا أنا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها ثم ولى عثمان رحمة الله عليه فاتاه فسأله ان يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رحمة الله عليه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية ذكر لنا ان رجلا من الانصار أتى على

قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شئ أو لا يفى ما فى أيديهم بنجومهم صرف اليهم أو الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك وأحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن أبى حنيفة وأصحابه وهو قول سعيد بن جبير انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل وذلك ينافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى فى لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصفات التى لاجلها استحقوا سهم الزكاة ففى الرقاب يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق أو الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاج اليه فى الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان بانهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان فى الوعاء فنبه به على انهم أحقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين * الصنف السادس الغارمون قال الزجاج أهل الغرم لزوم ما يستحق وسمى العشق غراما لكونه أمرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المديونون والدين ان حصل بسبب معصية لم يدخل فى الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية أو لاصلاح ذات البين وان كان متحملا أو للضمان ان أعسر هو والاصيل وكل داخل فى الآية روى الاصم فى تفسيره انه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة فى جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمل بن مالك أعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمل على الصدقة يومئذ وانما

بعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض أعطى الباقى * الصنف السابع قوله فى سبيل الله يعنى الغزاة قال الشافعى يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك وأحمد واسحق وأبى عبيد وقال أبو حنيفة لا يعطى الغازى الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم أجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها فى سبيل الله * الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر لاجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد وموضع ماله ان كان له فى الطريق مال قال الشافعى ويدخل فى المسافر الشاخص من وطنه أو من بلد كان مقيما به منشأ للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله أعلم ولنذكر طرفا من أحكام هذه الاصناف * الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكاة الواجبة فى قوله انما الصدقات لقوله فى موضع آخر خذ من أموالهم (١١٨) صدقة ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة واختلفوا فى الصدقة المندوبة فمنهم من قال تدخل والفائدة ان تعلم ان مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك فى الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكاة تدل على الحصر فى الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه أخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى ولان الصدقات تنصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات * الحكم الثانى فى الآية دلالة على ان الزكاة انما يتولى أخذها الامام أو نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذى نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتأكد هذا النص بقوله خذ من أموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكاة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل آخر كقوله وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليه ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه أفضل * الحكم الثالث مذهب أبى حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول بذلك عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وأبى العالية والنخعى لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل جزء من أجزائها صدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذى لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على أربعة وعشرين ليوقع كل ثلاثة منها الى ثلاثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فى مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء مستحقين فبررتهم بها كان أحب الى وقال الشافعى لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة فى نص الكتاب ثم أكدها بقوله فريضة من الله وهو فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء فى قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبى صلى الله

مجلس من الانصار فقال لئن آتاه الله مالا ليؤدين لكل ذى حق حقه فآتاه الله مالا فصنع فيه ما تسمعون قال فلما آتاهم من فضله بخلوا به الى قوله وبما كانوا يكذبون ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدث ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة الى بنى اسرائيل قالت بنو اسرائيل ان التوراة كثيرة وانا لا نفرغ لها فسل لنا ربك جماعا من الامر نحافظ عليه ونتفرغ فيه لعلنا نشئا قال يا قوم مهلا مهلا هذا كتاب الله ونور الله وعصمة الله قال فاعادوا عليه فاعاد عليهم قالها ثلاثا قال فاوحى الله الى موسى ما يقول عبادى قال يا رب يقولون كيت وكيت قال فانى آمرهم بثلاث ان حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة ان ينتهوا الى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم وان لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤا وضوء الصلاة قال فرجع بهن نبى الله صلى الله عليه وسلم الى قومه ففرحوا ودوا انهم سيقومون بهن قال فوالله ما لبث القوم الا قليلا حتى انقطع بهم فلما حدث نبى الله بهذا الحديث عن بنى اسرائيل قال تقبلوا الى ستة أتقبل لكم الجنة قالوا ما هن يا رسول الله قال اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم أبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم من الزنا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ثلاث من كن فيه صار منافقا وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد أخلف * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجلان أحدهما ثعلبة والآخر معتب بن قشير ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى الآخر وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير هما من بنى عمرو بن عوف **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله قال رجلان خرجا على ملأ قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم الله بخلوا به **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله رجلان خرجا على ملأ قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم بخلوا به فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا لنصدقن فلم يفعلوا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين فلما أتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا بذلك أعقبهم

عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الآية بقوله والله عليم أي بتقدير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب والاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكاة ومن ههنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلاثة لانه تعالى ذكر أكثر الاصناف بلفظ الجمع وأقل الجمع ثلاثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث أقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل في افراد الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فيسهل التسوية بينهم * الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فبقي ان تصرف الزكاة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي أما اذا لم يفعل ذلك فانها مجزئة عند سائر الائمة أما الحكمة في ايجاب الزكاة

بذلك نفاقا الى يوم يلقونه ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو كما أصاب ابليس حين منعه التوبة * قال أبو جعفر في هذه الآية الابانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق أعني في قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ووردت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض من قال ذلك **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله اعتبر المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله يكذبون **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن صبيح بن عبد الله بن عمير عن عبد الله بن عمر قال ثلاث من كن فيه كان منافقا اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان قال وتلا هذه الآية ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر الآية **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت صبيح بن عبد الله القيسي يقول سألت عبد الله بن عمر وعن المنافق فذكر نحوه **حدثني** محمد بن معمر قال ثنا أبو هشام المخزومي قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا عثمان بن حكيم قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول كنت أسمع ان المنافق يعرف بثلاث بالكذب والاخلاف والخيانة فالتمستها في كتاب الله فما هو الا أجدها هم وجدتها في آيتين من كتاب الله قوله ومنهم من عاهد الله حتى بلغ وبما كانوا يكذبون وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض هذه الآية **حدثني** القاسم بن بشير بن معروف قال ثنا اسامة قال ثنا محمد المحرم قال سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فقلت للحسن يا أبا سعيد لئن كان لرجل على دين فلقيني فتقاضاني وليس عندي وخفت أن يحبسني وبي لمكني فوعدته أن اقضيه رأس الهلال فلم أفعل أمنافق انا قال هكذا جاء الحديث ثم حدث عن عبد الله بن عمرو ان أباه لما حضره الموت قال زوجوا فلانا فاني وعدته أن أزوجه لا ألقى الله بثلث النفاق قال قلت يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن قال هكذا جاء الحديث قال فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح فاخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن وبالذي قلت له وقال لي فقال أعجزت ان تقول له أخبرني عن اخوة يوسف عليه السلام ألم يعدوا آباهم فاخلفوه وحدثوه فكذبوه وائتمنهم فخانوه أمنافقين كانوا ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبي

فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكاة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم أي عن دنس الاستغراق في حب المال وأيضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك الملذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فتصير المسألة دورية لا مقطع لها ولا آخر فاثبت الشرع لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال في طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا آخر له ويقضي في الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وأيضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعظيم لامر الله وعملية وكمالها في الشفقة على خلق الله فاوجب الله الزكاة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محببا الى الخلق وأمدوا له بالدعاء والهمة وأيضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل أحد وهو غادر وائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا أنفقه لوجه الله بقي بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبيه بالمجردات والمفارقات وليس الغني الا عن الشيء لا به لان الاستغناء عن الشيء صفة الحق والاستغناء بالشيء صفة المخلوقين العاجزين ففي الامر بالزكاة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة أعلى وأيضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلاة له فكيف يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وأيضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو انه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما في حق الفقير فلاحتياجه الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع

ونهاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فانه يبقى عليه الكثير وأمر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجعلا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل فى الوجود وأيضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا انه ألقاها فى أيديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملء بطنه وكم من غافل تأتيه الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال خزانتى الى المحتاجين من عبيدى وأيضا ان الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها أو على الالتحاق باعداء المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعالى يقول للغنى اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصير على فقدان المال فصرت من الصابرين ويقول (١٢٠) للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكنى أوجبت على الغنى ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرنى فتكون من الشاكرين وأيضا أراد الله سبحانه ان يكون الغنى منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغنى بما قبله منه ليحصل الخلاص له فى الدنيا من الذم والعار وفى الآخرة من عذاب النار ثم يحكى نوعا آخر من فضائح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم هو أذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فانما محمد أذن سامعة فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن سامعة فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نافل بن الحرث وكان رجلا أحور العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نافل بن الحرث وكان يتم حديث النبى صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه نقول فى ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فارادوا ان يقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى محمد بن عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حقا وانكم لشر من الحمير ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذى يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كان جلته أذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين فسر ايذاءهم النبى صلى الله عليه وسلم بانهم يقولون له هو أذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وانه ليس ذاك ولا بعيد غور بل هو سليم القلب

وجدهم نبى قال فقلت لعطاء يا أبا محمد حدثنى باصل النفاق وباصل هذا الحديث فقال حدثنى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال هذا الحديث فى المنافقين خاصة الذين حدثوا النبى فكذبوه وائتمنهم على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه فى الغزو فاخلفوه قال وخرج أبو سفيان من مكة فاتى جبريل النبى صلى الله عليهما وسلم فقال ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون وأنزل فى المنافقين ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فاذا لقيت الجسن فاقرئه السلام وأخبره باصل هذا الحديث وبما قلت لك قال فقدمت على الحسن فقلت يا أبا سعيد ان أخاك عطاء يقرئك السلام فاخبرته بالحديث الذى حدث وما قال لى فاخذ الحسن بيدى فمالها وقال يا أهل العراق أعجزتم ان تكونوا مثل هذا سمع منى حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله صدق عطاء هكذا الحديث وهذا فى المنافقين خاصة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يعقوب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وان صلى وصام وزعم انه مسلم فهو منافق فقيل له ما هى يا رسول الله فقال النبى عليه السلام اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنا ميسرة عن الاوزاعى عن هرون بن رباب عن عبد الله بن عمرو بن وائل انه لما حضرته الوفاة قال ان بلالا خطب الى ابنتى وانى كنت قلت له فيها قولا شبيها بالعدة والله لا ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم انى قد زوجته وقال قوم كان العهد الذى عاهد الله هؤلاء المنافقون شيئا فى أنفسهم ولم يتكلموا به ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت معمر بن سليمان التيمى يقول ركبت البحر فاصابنا ريح شديدة فنذر قوم منا نذورا ونويت أنا لم أتكلم به فلما قدمت البصرة سألت أبا سلمان فقال لى يا بنى فيه به قال معتمر و **حدثنا** كهمس عن سعيد بن ثابت قال قوله ومنهم من عاهد الله الآية قال انما هو شئ نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع الى قوله ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب ۞ القول فى تاويل قوله (ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرا ويظهرون الايمان بهم لاهل الايمان جهرا ان الله يعلم سرهم الذى يسرونه

سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز أن يراد بالايذاء أنواع أخر سوى هذا القول أي يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر أنواع الاذية ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو أذن يقبل كل ما يسمع فمن نأتيه فيعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه أجاب عن قولهم فقال قل أذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ومجوز لا اضافة هو الملابسة كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن اذا أريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه أذن خير بأنه يؤمن بالله أي يقر به ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من أهل الغرة وأبله وهو رحمة للذين آمنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري أمركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله (١٢١) هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وأما من قرأ أذن خير بالرفع فهما فعلى ان الاذن خير مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير والمعنى هو أذن موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم فيتحفظ بذلك دماءكم وأموالكم وقيل التقدير قل أذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدي وهو ان قوله أذن وان كان رفعا في الظاهر لكنه نصب في الحقيقة على الحال وتأويله قل هو أذنا خير لكم ثم ذكر ان من قبائح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه أي كان من الواجب أن يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستمرون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر أو المراد والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك أو وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شيء واحد كما يقال احسان زيد واجماله بعثني ومعني ان كنتم مؤمنين أي بزعمكم ثم وبخهم بقوله ألم يعلموا وذلك انه يقال ذلك لمن تواتر في تعليمه مدة ثم لم يظهر عليه أثر العلم والرشد وكان النبي صلى الله عليه وسلم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه في الطاعة والضمير في قوله انه للشأن وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق آخر وقال أبو مسلم هي من الحديد حديد السلاح ثم ذكر في الجزاء قوله فان له بالفتح أي فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتأكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه وجواب من محذوف وهو يهلك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستئناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل البكعي في تفسيره انه قرأ بالكسر قال السدي نزل في المنافقين والله ودت التي ضربت فولدت مائة جلدة ولا يزال

في أنفسهم من الكفر به وبرسوله ونجواهم يقول ونجواهم اذا تناجوا بينهم بالطعن في الاسلام وأهله وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به فيحذروا من الله عقوبته أن يحل بهم وسطوته ان يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وغشهم للاسلام وأهله فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه وأن الله علام الغيوب يقول ألم يعلموا ان الله علام ما غاب عن اسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم مما أكنته نفوسهم فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ويؤخرهم عن اضمار غير ما يبدونه واظهار خلاف ما يعتقدونه ۞ القول في تأويل قوله (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره الذين يلمزون المطوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم ويطعنون فيها عليهم بقولهم انما تصدقوا به رياء وسمعة ولم يريدوا وجه الله ويغمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به الا جهدهم وذلك طاقتهم فينتقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا سخر يه منهم بهم فيسخرون منهم سخر الله منهم وقد بينا صفة سخر ية الله بمن يسخر به من خلقه في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا ولهم عذاب أليم يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم وذكر ان المعني بقوله المطوعين من المؤمنين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي الانصاري وان المعني بقوله والذين لا يجدون الا جهدهم أبو عقيل الاراشي أخو بني أنيف ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان كان الله ورسوله الغنيين عن هذا الصاع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس يوما فنادى فيهم ان اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من أحوجهم بمن من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالخرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعان بصاعك من شيء ثم ان عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بني زهرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات فقال لا فقال عبد الرحمن بن عوف ان عندي مائة

فينا شيء فيفضحنا فأنزل الله تعالى يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشى علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكانها تخبرعما في بواطنهم وتذيع عليهم أسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به وأجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة أو كفرهم كان كفر عناد أو كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في أمر خائف من وقوعه أو هذا الخبر في معنى الامر أي ليحذر المنافقون عن أبي مسلم انهم أظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا أجابهم الله بقوله استهزؤا وهو أمر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون يظهر ما تحذرونه من نفاقكم أو محصل انزال السورة لان الشيء اذا حصل بعد عدم فكان فاعله أخرجه من العدم الى الوجود قوله ولئن سألتهم الآية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هذه القراء أرغب (١٢٢) بطونا أي أوسع ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله وأصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وأنت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي أصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى أطلق على كل دخول فيه تلويث وأذى أي كنا نخوض في الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق فانزل

أوقية من ذهب في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب أمجنون أنت فقال ليس بي جنون فقال أتعلم ما قلت قال نعم مالي ثمانية آلاف اما أربعة آلاف فاقرضها لربي واما الاربعة آلاف فلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وكره المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن بن عوف عطيته الا رياء هم كاذبون انما كان به متطوعا فانزل الله عذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر فقال الله في كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين قال جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف فلمزه المنافقون وقالوا راءى والذين لا يجدون الا جهدهم قال رجل من الانصار أجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره فجاء به فلمزوه وقالوا كان الله غنيا عن صاع هذا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الآية قال أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله فتقرب به الى الله فلمزه المنافقون فقالوا ما أعطى ذلك الا رياء وسمعة فاقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له حجاب أبو عقيل فقال يا نبي الله بت أجر الجرير على صاعين من تمر أما صاع فامسكته لاهلي وأما صاع فها هو ذا فقال المنافقون والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا فانزل الله في ذلك القرآن الذين يلمزون الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله وكان ماله ثمانية آلاف دينار فتصدق باربعة آلاف دينار فقال ناس من المنافقين ان عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء فقال الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات وكان لرجل صاعان من تمر فجاء باحدهما فقال ناس من المنافقين ان كان الله عن صاع هذا الغنيا فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم فقال الله والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطي قال ثنا أبو عوانة عن أبي سلمة عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تصدقوا فاني أريد أن أبعث بعثا قال فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ان عندي أربعة آلاف ألفين أقرضها الله وألفين لعيالي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت فقال رجل من الانصار وان عندي صاعين من تمر صاعا لربي وصاعا لعيالي قال فلمز المنافقون وقالوا ما أعطى ابن عوف هذا الا رياء وقالوا أولم يكن الله غنيا عن صاع هذا

ثم أمر نبيه بان يقول في جوابهم أبالله أي بتكاليفه أو باسمائه أو بقدرته حيث استبعدتم اعانة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على فتح قصور الشام وآياته يعني القرآن ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبأ باعتذارهم لعلمه بانهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان أولى الاستفهام الذي يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل أتستهزؤن بالله ثم قال لا تعتذروا نقل الواحدي عن أئمة اللغة ان معنى الاعتذار محو أثر الذنب أو قطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه منه عذرت الجارية لانها تعذر أي تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشيء الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم أي صرحتم بالكفر بعد ايمانكم أي بعد الايمان الذي أظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيفما كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى في الايمان

هو التعظيم لامر الله ولشرائعه ان نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك أخف لانه لم يوافق القوم في الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى انه من خاض في عمل باطل فعليه ان يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له بتركه ذلك القليل أن يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكنه أن يطيف بالشئ ثم يجوز أن يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وأقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال طائفة الواحد فما فوقه ووجه بان من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد أن يسمى طائفة بهذا السبب والباء للمبالغة وقال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين أي مصرين مستمرين على الجرم ويجوز أن (١٢٣) يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز أن يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة أحوال المنافقين وان اناثهم في ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي في صفة النفاق وأريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يأمرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا أو شرعا وأعظم ذلك تكذيب الله ورسوله وينهون عن المعروف وهو كل حسن عقلا أو شرعا وأعظم ذلك الاخلاص في الايمان ويقبضون أيديهم من كل خير أو عن كل واجب كصدقة أو زكاة أو انفاق في سبيل الله وهذا أولى ليتوجه الذم بتركه وقبض الايدي كناية عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا أمره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيأ لم يذكره فقل يذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وان على المسلم أن يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين ما أعد لاهل النفاق والكفر فقال وعد الله الآية ومعنى خالدين فيها مقدرين الخلود فيها قاله في الكشاف ويحتمل أن يراد مستأهلين للخلود هي حسبهم كافيهم في الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب مقيم نوع آخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار أو عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات فقال للملتفتين من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم أي

فانزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الى آخر الآية **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس في قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال أصاب الناس جهد شديد فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق فجاء عبد الرحمن بار بعمائة أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فيما أمسك فقال المنافقون ما فعل عبد الرحمن هذا الا رياء وسمعة قال وجاء رجل بصاع من تمر فقال يا رسول الله آجرت نفسي بصاعين فاطلعت بصاع منهم الى أهلي وجئت بصاع من تمر فقال المنافقون ان الله غني عن صاع هذا فانزل الله هذه الآية والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية وكان من المطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بار بعة آلاف دينار وعاصم بن عدي أخو بني عجلان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بار بعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدي فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ما هذا الا رياء وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل أخو بني أنيف الاراشي حليف بني عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فافرغه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغني عن صاع أبي عقيل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن ابن مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان كنا نعمل قال فجاء رجل فتصدق بشئ كثير قال وجاء رجل فتصدق بصاع تمر فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة قال ثني خالد بن بشار عن ابن أبي عقيل عن أبيه قال بت أجر الجرير على ظهري على صاعين من تمر فانقلبت باحدهما الى أهلي يتبلغون به وجئت بالآخر اتقرب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال أنثره في الصدقة فسخر المنافقون منه وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فانزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآيتين **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريري عن أبي السليل قال وقف على الحي رجل فقال ثني أبي أو عمي فقال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له عند الله يوم القيامة قال وعلي عمامة لي قال فنزعت لوثي لاتصدق بها فما قال ثم أدركني ما يدرك ابن آدم فعصبت بها رأسي قال فجاء رجل لا أرى بالبقيع رجلا أقصر قة ولا أشد سوادا ولا أدم لعين منه يقود

أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول يحل الكاف رفع وعلى الثانى نصب ثم وصف أولئك الكفار بانهم كانوا أشد قوة أى جسامة من هؤلاء المنافقين وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان أى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصيب أى أثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا وأجيب بانه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية فى المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وأنت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذى خاضوا فعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذى كالخوض الذى خاضوه أو كالفرح الذى خاضوا وقيل أصله كالذين فحذف النون ثم بين ان أولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال اما فى الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما فى الآخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم فى هذه الاعمال والفضائح مع ضعف نياتهم وقلة عددهم وعددهم أولى بخزى الدارين وخسار الامرين

* التأويل انما الصدقات وهى صدقات مواهب الله كما قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية أوصاف الوجود ألقوا سفينة القلب فى بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم أرباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين أرباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله وفى الرقاب الذين يريدون أن يتخلصوا عن رق الموجودات تحريا لعبودية موجدها والمكاتب عبد المتطوعين ما بقى عليه درهم والغارمين الذين استغرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفى سبيل الله المجاهدين والجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن أوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله أوجبها على ذمة كرمه كما قال الامن طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فى معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو أذن رأوا بمحامده بنظر المذمة والعيب قل أذن خير لكم أى سامعته خيرا لكم لان له مقام السمعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين بلان فوائد ايمانه تعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله باقوالهم وأفعالهم وأحوالهم

نافة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها قال أصدقة هى يا رسول الله قال نعم قال فدونكها فالقى بخطامها أو بزمامها قال فلزه رجل جالس فقال والله انه ليتصدق بها وانها لهى خير منه فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو خير منك ومنها يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك يقول الذى تصدق بصاع التمر فلزه المنافقون أبو خيثمة الانصارى **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العبادانى قال ثنا عامر بن يساف اليمامى عن يحيى بن أبى كثير اليمامى قال جاء عبد الرحمن بن عوف بار بعة آلاف درهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بار بعة آلاف فاجعلها فى سبيل الله وأمسكت أر بعة آلاف لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت وجاء رجل آخر فقال يا رسول الله بت الليلة أجر الماء على صاعين فاما أحدهما فتركت لعيالى وأما الآخر فجئتك به اجعله فى سبيل الله فقال بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال ناس من المنافقين والله ما أعطى عبد الرحمن الا رياء وسمعة ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان فانزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات يعنى عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهدهم يعنى صاحب الصاع فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم واذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأر بعة آلاف فقال هذا مالى أقرضه الله وقد بقى لى مثله فقال له بورك لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال المنافقون ما أعطى الا رياء وما أعطى صاحب الصاع الا رياء ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شئ **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الى قوله ولهم عذاب أليم قال أمر النبى عليه السلام المسلمين أن يتصدقوا فقام عمر بن الخطاب فالفى مالا وافرا فاخذ نصفه قال فجئت أحمل مالا كثيرا فقال له رجل من المنافقين ترائى يا عمر فقال عمر أرائى الله ورسوله وأما غيرهما فلا قال ورجل من الانصار لم يكن عنده شئ فواجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين ليلته فترك صاعا لعياله وجاء بصاع يحمله فقال له بعض المنافقين ان الله ورسوله عن صاعك لغنيان فذلك قول الله تبارك وتعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم هذا الانصارى فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وقد بينا معنى اللمز فى كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى واما قوله المطوعين فان معناه

يعذر المنافقون والحذر لا يغني عن القدر ان نعف عن طائفة اظهار التفضل والرأفة نعذب طائفة اظهار القهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان أرواحهم كانت في صف واحد في الازل فعاملناهم من نتائج خصوصيات أرواحهم نسوا الله ونود كروه قبل الاتيان بالمعاصي لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفرلهم هي حسبهم لانها نصيبهم في الازل كانوا أشد منكم قوة بالاستعداد الفطري وضيعوها في الاستمتاع العاجل فخسروا رأس المال ولم يربحوا (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم)

* القراآت والمؤتفكات وبابه بغير همز أبو عمرو وغير شجاع وورش ويزيد والحلواني عن قالون والاعشى وحمزة في الوقف * الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات ج لابتداء النفي مع فاء التعقيب يظلمون ۝ أولياء ط من بعض ۘ لما مر ورسوله ط سيرحمهم الله ط حكيم ۝ عدن ط أكبر ط العظيم ۝ واغلظ عليهم ط جهنم ط المصير ۝ ما قالوا ط لم ينالوا ج من فضله ط خيرا لهم ج والآخرة ج ولا نصير ۝ من الصالحين ۝ معرضون ۝ يكذبون ۝ علام الغيوب ۝ ج لاحتمال النصب أو الرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير في نجواهم فيسخرون منهم ط سخر الله منهم ط لانقطاع الجزاء مع اختلاف النظم أليم ۝ * التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان أولئك الكفار من هم فذكرت طوائف سمع العرب أخبارهم لان بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام للتقرير فأولهم قوم نوح وقد أهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد وأهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود

المتطوعين أدغمت التاء في الطاء فصارت طاء مشددة كقيل ومن يطوع خيرا يعني يتطوع واما الجهد فان للعرب فيه لغتين يقال أعطاني من جهده بضم الجيم وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ومن جهده بفتح الجيم وذلك لغة نجد وعلى الضم قراءة الامصار وذلك هو الاختيار عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية فانهم يزعمون انهما مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد وانما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة نفسه كما اختلفت لغاتهم في الوجد والوجد بالضم والفتح من وجدت وروى عن الشعبي في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي قال الجهد والجهد في العمل والجهد في القوت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي مثله قال ثنا ابن ادريس عن عيسى ابن المغيرة عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في العيشة ۞ القول في تاويل قوله (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة أولا تدع لهم بها وهذا كلام خرج مخرج الامر وتاويله الخبر ومعناه ان استغفرت لهم يا محمد أولم تستغفر لهم فان يغفر الله لهم وقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم يقول ان تسأل لهم ان تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها فان يستر الله عليهم ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رؤس الاشهاد يوم القيامة ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه هذا الفعل من الله لهم وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم من أجل انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الايمان به وبرسوله ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين نزلت هذه الآية قال لازيدن في الاستغفار لهم على سبعين مرة رجاء منه ان يغفر الله لهم فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن أبي ابن سلول قال لاصحابه لولا انكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله وهو القائل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فانزل الله استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فابى الله تبارك وتعالى ان يغفر لهم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شبال عن الشعبي قال دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول النبي صلى الله عليه

واخذوا بالصيحة ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر ملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وكانوا سبعة أصناف مدين قوم شعيب أخذتهم الرجفة وسادسهم أصحاب المؤتفكات قوم لوط أمطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن أن يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب أحوالهم من الخير الى الشر ثم قال أتتهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات ولابد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم قالت المعتزلة أي ماصح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقدمر الكلام في أمثال ذلك ثم بين ان شأن المؤمنين في الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا أولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لا كارههم وبمقتضى الطبع والعادة (١٢٦) بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية

وأقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم في أمر من الامور بالجملة كالدار أو حكم من الاحكام الشرعية أو سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل أن يكون تكلفا أو بطريق النفاق لان سببه انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة ثم ذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك بلفظ منهم لامكان الاحتمال المذكور واما تشارك المؤمنين في السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضي الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهاتان لهم في أنفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله أي في كل ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما أعدلهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال أولئك سيرحمهم الله والسين تفيد المبالغة وجهاد في انجاز الوعد بالرحمة كما يؤكد الوعيد به اذا قلت سأنتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الآية بقوله ان الله عزيز حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما أجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الآية وقد كثر كلام أصحاب الآثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن

وسلم الى جنازة أبيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال حباب بن عبد الله بن أبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ان الحباب هو الشيطان ثم قال النبي عليه السلام انه قد قيل لي استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فانا استغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين وألبسه النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عرق **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان تستغفر لهم سبعين مرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سأزيد على سبعين استغفارة فانزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون لن يغفر الله لهم عزما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال **حدثنا** اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسن قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه قال **حدثنا** الحسن قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الشعبي قال لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان أبي قد احتضر فاحب ان تشهده وتصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ان الحباب اسم شيطان قال فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له أتصلي عليه وهو منافق قال ان الله قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولاستغفرن له سبعين وسبعين قال هشيم وأشك في الثالثة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم الى قوله القوم الفاسقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لاستغفرن أكثر من سبعين مرة فلعل الله ان يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال نبي الله قد خيرني ربي فلازيدنهم على سبعين فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لازيدن على سبعين فقال الله سواء عليهم استغفرت لهم أولم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ۞ القول في تأويل قوله (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يقول تعالى ذكره فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به

من القوة مايأتى على ذلك أجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم يرها عين ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة أى وسطها قاله الازهرى وبطنان الاودية المواضع التى يستنقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هى قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهى المدينة التى فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فيهب الريح من تحت العرش فيدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمران فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وفى هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم و يؤيده قوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان أصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا أقام به ومنه المعدن للمكان الذى يخلق فيه الجواهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا أن يغاب الاسم على بعضها ورضوان من الله شئ يسير من رضاه أكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات الروحانية أعلى حالا وأشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحده دون مايعده الناس فوزا فى الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول انا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا ثم عاد مرة أخرى الى شرح أحوال المنافقين فقال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك أى جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا تجوز محاربته فى ظاهر الشرع وضعف بان النسق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرفه الله حالهم فصاروا كسائر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم بالوحى الا أنه مامور بان يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد يذل المجهود فى حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين وأغلظ عليهم فى الجهاد بن جميعا عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرهه و يبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر عنه بانه قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق أولان الغالب ممن يقام عليه الحد فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وطعنوا فى الدين فنقل ماقالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

وجهاد أعدائه بمقعدهم خلاف رسول الله يقول بجلوسهم فى منازلهم خلاف رسول الله يقول على الخلاف لرسول الله فى جلوسه ومقعده وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر الى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا فى منازلهم وقوله خلاف مصدر من قول القائل خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا فلذلك جاء مصدره على تفعل وفعال كما يقال قاتله قتالا ولو كان مصدرا من خلفه لكانت القراءة بمقعدهم خلف رسول الله لان مصدر خلفه خلاف لا خلف ولكنه على مابينت من انه مصدر خالف فقرئ خلاف رسول الله وهى القراءة التى عليها قراء الامصار وهى الصواب عندنا وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد على ذلك بقول الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

وذلك قريب لمعنى ماقلنا لانهم قعدوا بعده على الخلاف له وقوله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يقول تعالى ذكره وكره هؤلاء المخلفون ان يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يعنى فى دين الله الذى شرعه لعباده لينصروه ميلا الى الدعة والخفض وايثارا للراحة على التعب والمشقة وشحا بالمال ان ينفقوه فى طاعة الله وقالوا لا تنفروا فى الحر وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم استنفرهم الى هذه الغزوة وهى غزوة تبوك فى حر شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض لا تنفروا فى الحر فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم أشد حرا التى أعدها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله أشد حرا من هذا الحر الذى تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه يقول الذى هو أشد حرا أحرى ان يحذر و يتقى من الذى هو أقل منه أذى لو كانوا يفقهون يقول لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه و يتدبرون آى كتابه ولكنهم لا يفقهون عن الله فهم يحذرون من الحر أقله مكروها وأخفه أذى ويوافقون أشده مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى قوله يفقهون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ان ينبعثوا معه وذلك فى الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر فى الحر فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بمقعدهم خلاف رسول الله قال هى غزوة تبوك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد الى تبوك فقال رجل من بنى سلمة لا تنفروا فى الحر فانزل الله قل نار جهنم الآية حدثنا ابن

صلى الله عليه وسلم يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فخلفوا ما قالوا شيأ من ذلك فأنزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن قتادة أن رجلين اقتتلا رجل من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن أبي يا بني الاوس أنصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الآية اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر أخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم (١٢٨) يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما عابوا الا أن أغناهم كقول القائل * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا الغنائم وجمعوا الاموال وروي انه قتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر وأما عذاب الآخرة فمعلوم ومالهم في الارض يحتمل أرض الدنيا وأرض القيامة ثم بين ان هؤلاء كما ينافقون الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما عاهدوه عليه فقال ومنهم من

حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأجمع السير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد يقول الله جل ثناؤه وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا ۞ القول في تأويل قوله (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره فرح هؤلاء المخلفون فقعدهم خلاف رسول الله فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية بقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم فانهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا جزاء بما كانوا يقولون اثاما لهم على معصيتهم بتركهم النفر اذ استنفروا الى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله بما كانوا يكسبون يقول بما كانوا يجترحون من الذنوب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي رزين فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال يقول الله تبارك وتعالى الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين في قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين انه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال أحدهم أحد هذين الحديثين رفعه الى الربيع بن خثيم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فليضحكوا قليلا قال ليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة في نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا أي في النار ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ذكر لنا انه نودي عند ذلك أو قيل له لا تقنط عبادي حدثنا ابن بكير قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة قال حدثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين فليضحكوا قليلا قال في الدنيا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا يقول الله تبارك وتعالى

فليضحكوا

عاهد الله يروى عن أبي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى فقال اما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال فضة وذهبا لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر وا خبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا وأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على

الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما ففرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا أخت الجزية ما أدري ماهذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الي فانطلقا وأخبر السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان نأخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسي بها طيبة فأخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال أروني كتابكما ثم قال ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقارب ثعلبة فخرج اليه وقال يا ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته (١٢٩) فقال ان الله قد منعني ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى ان يقبل منه شيأ رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها فقبض أبو بكر وأبى ان يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول وماذاك الا بشؤم اللجاج أولا وآخرا قال بعض العلماء المعاهدة أعم من أن تكون باللسان أو بالقلب وقال المحققون انه لابد من التلفظ بها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن أمتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به زلان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من

فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في النار **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا يوم القيامة كثيرا وقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ۞ القول في تأويل قوله (فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان ردك الله يا محمد الى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاقعدوا مع الخالفين يقول فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكم منهم فاقتدوا بهديهم واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر وذلك في غزوة تبوك فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج فتخلف عنه رجال فأدركتهم نفوسهم فقالوا والله ما صنعنا شيأ فانطلق منهم ثلاثة فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتوه تابوا ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله ولا تقم على قبره فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الذين تخلفوا فأنزل الله عذرهم لما تابوا فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم وقال انه بهم رؤف رحيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله فاقعدوا مع الخالفين أي مع النساء ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين فقتل منهم ما قتل **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فاقعدوا مع الخالفين والخالفون الرجال * قال أبو جعفر والصواب من التأويل في قوله الخالفين ما قال ابن عباس فاما ما قال قتادة من ان ذلك النساء فقول لا معنى له لان العرب لا تجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالواو والنون ولو كان معنيا بذلك النساء لقيل فاقعدوا مع الخوالف أو مع الخالفات ولكن معناه ما قلنا من انه أريد به فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء واذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر فان العرب تغلب الذكور على الاناث ولذلك قيل فاقعدوا مع الخالفين والمعنى ما ذكرنا ولو وجه معنى ذلك الى فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم خالف الرجل على أهله يخلف خلوفا اذا فسد ومن قولهم هو خالف

(١٧ - (ابن جرير) - عاشر)

قوله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول للساني والمراد بالفضل ايتاء السؤال بطريق التجارة أو الاستغنام ونحوهما وأصل لنصدقن لنتصدقن أدغمت التاء في الصاد والمصدق المعطي لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس انه أراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض أراد به الاجمام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظة البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل في الآية على ذلك مع

ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان أعقب مسند الى ضمير البخل أي أورثهم البخل نفاقا ثم كنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التأويل ان جعل عائد الى التولي أو الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو أمر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود ولان هذا الترك قد يوجد في حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو اوجب حصول الكفر في القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا أو محرما فبسبب الاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الآية ان التولي أوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا أن يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو الله ومن هنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير في اعقبهم لله ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله والمعتزلة أن يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه أمر شرعي ولا يبعد جعل شئ عدمي امارة عليه وأيضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم أنه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من أين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز أن يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف أو يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع ان الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره بعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة تمسكا بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال عطاء بن أبي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه واتمنوا على سره فنوه ووعدوه أن يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث

وسوء كان مذهبا وأصله اذا أريد به هذا المعنى من قولهم خلف اللبن يخلف خلوفا اذا خلف من طول ضعه في السقاء حتى يفسد ومن قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه ۞ القول في تاويل قوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ولا تقم على قبره يقول ولا تتول دفنه وتقبيره من قول القائل قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره انهم كفروا بالله يقول انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الاسلام مفارقون أمر الله ونهيه وقد ذكر ان هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع وسوار بن عبد الله قال ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر قال جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فاعطاه قميصه وقال اذا فرغتم فآذنوني فلما أرادان يصلي عليه جذبه عمر وقال أليس قد نهاك الله ان تصلي على المنافقين قال بل خيرني قال استغفر لهم أولا تستغفر لهم قال فصلى عليه قال فانزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره قال فترك الصلاة عليهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عبيد الله عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلول أتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني ربي فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على سبعين فقال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا نوار بن عبد الله العنبري قال ثنا يحيى بن سعيد عن مجالد قال ثني عامر عن جابر بن عبد الله ان رأس المنافقين مات بالمدينة فاوصى ان يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم وان يكفن في قميصه فكفنه في قميصه وصلى عليه وقام على قبره فانزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد ان يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول فاخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وقد أدخل حفرته فاخرجه فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه

فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد أخلف كما ذكر الله فمن عاهده واذا ائتمن على دين الله خان فى السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء أرسل الى الحسن رجلا فقال ان أولاد يعقوب حدثوه فى قولهم فاكله الذئب فكذبوا وعدوه فى قولهم واناله لحافظون فاخلفوا واتهمهم أبوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن فى مذهبه قال أهل التفسير قوله الى يوم يلقونه دل على أن ذلك المعاهد عوت على ذلك وكان كما أخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائى هذا اللقاء لاشك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء فى القرآن ليس بمعنى الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد فى القرآن كذلك كقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ثم وبخهم على التجاهل أو عدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم وتناجيهم فقال ألم يعلموا الآية والسر ما ينطوى عليه الصدور والنجوى ما يتناجى (١٣١) بين اثنين وأكثر مع الاخفاء عن غيرهم

ريقه والله أعلم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما توفى عبد الله بن أبى ابن سلول ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت يارسول الله أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله عليه السلام يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عنى يا عمر انى خيرت فاخترت وقد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلو انى أعلم أنى ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال فأتعجب لى وجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما مات عبد الله بن أبى أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله قميصه فاعطاه فكفن فيه أباه **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبى فذكر مثل حديث ابن حميد عن سلمة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية قال بعث عبد الله بن أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عن ذلك عمر فاتاه نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال نبى الله صلى الله عليه وسلم أهلكك حب اليهود قال فقال يا نبى الله انى لم أبعث اليك لتؤنبنى ولكن بعثت اليك لتستغفر لى وسأله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن فى قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث فى جلده ودلاه فى قبره فانزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كلم فى ذلك فقال وما يغنى عنه قميصى من الله أو ربى وصلاتى عليه وانى لارجو ان يسلم به ألف من قومه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبى ابن سلول وهو مريض الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له النبى صلى الله عليه وسلم أهلكك حب يهود فقال يارسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لى ولم أرسل اليك لتؤنبنى ثم سأله عبد الله ان يعطيه قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه وصلى عليه وقام على قبره فانزل الله تعالى ذكره ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ۞ القول فى تاويل قوله (ولا تعجبك أموالهم

والتركيب يدل على التخليص كما مر فى الانجاء كان المتناجيين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الآية كيف تتجرؤن على النفاق الذى الاصل فيه الاستسرار والتناجى فيما بينهم مع انه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على أى وجه يفرض عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على أن يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن ابن عوف باربعة آلاف درهم وقال يارسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها فى سبيل الله وأمسكت نصفها لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وقيل صولحت احداهما على ثمانين ألفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال أجرت الليلة الماضية نفسى من رجل لارسال الماء الى نخله فاخذت صاعين من تمر أمسكت أحدهما لعيالى وأقرضت الآخر لربى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر والله غنى عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين أى المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شئ قليل يعيش به المقل قاله الليث وقال الفراء الضم لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبى الاول فى العمل والثانى فى القوة سخر الله منهم خبر لادعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة أو المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد انه تعالى يكافئهم لانفاق المال مع انه لا يثيبهم عليه وانما توجه الذم على المنافقين فى هذا المعزلان الحكيم بالرياء لمن يعطى الكثير كعبد

وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم اذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده فاني انما اعطيته ما اعطيته من ذلك لاعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات وتزهق أنفسهم يقول ولتموت فتخرج نفسه من جسده فيفارق ما اعطيته من المال والولد فيكون ذلك حسرة عليه عند موته وويلا عليه حينئذ وويلا عليه في الآخرة بموته جاحدا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن السدي وتزهق أنفسهم في الحياة الدنيا ۞ القول في تاويل قوله (واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) يقول تعالى ذكره واذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن بان يقال لهؤلاء المنافقين آمنوا بالله يقول صدقوا بالله وجاهدوا مع رسوله يقول اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك أولوا الطول منهم يقول استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله وقالوا ذرنا يقول وقالوا لك دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر * وبنحو الذي قلنا في معنى الطول قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله استأذنك أولوا الطول قال يعني أهل الغنى **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أولو الطول منهم يعني الاغنياء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم كان منهم عبد الله بن أبي والجد بن قيس فنعى الله ذلك عليهم ۞ القول في تاويل قوله (رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يقول تعالى ذكره رضي هؤلاء المنافقون الذين اذا قيل لهم آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين ان يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعود في منازلهن وبيوتهن وطبع على قلوبهم يقول وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها وقد بينا معنى الطبع وكيف الختم على القلوب فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * وبنحو الذي قلنا في معنى الخوالف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رضوا بان يكونوا مع

والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة في الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم في المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى تمرن نفوسهم والا فأواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهي التي توجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهموا بما لم ينالوا أي أثبتوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل أوانها وما نقموا الا أن الشيخ رباهم ببيان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحتملوا الضيق حوصلة الهمة ومرتد الطريقة أعظم من مرتد الشريعة فلهذا يكون عذابه أليما في الدنيا والآخرة كما قال الجنيد لو أقبل صديق الى الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فان ما فاته أكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطري لئن آتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما أعطانا فيما أعطى لاجله الى يوم يلقونه أي يلقون جزاء النفاق وأن الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به أنفسهم وهو غيب عن الخلق و يعلم ما يستكن في قلوبهم وهو غيب من نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضي لتعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم في الازل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا

الخوالف

لكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) القراآن معنى أبدا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص * الوقوف اولا تستغفر لهم ط فلن يغفر الله لهم ط ورسوله ط الفاسقين ه فى الحر ط حرا م لان المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفر وا فى الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم لا يكون نارها أشد حرا الذالم يفقهوا ذلك يفقهون ه كثيرا ج لان جزاء يصلح أن يكون مفعولا له أو مصدر محذوف أى يجزون جزاء يكسبون ه معى عدوا ط الخالفين ه على قبره ط فاسقون ه وأولادهم ط كافرون ه القاعدين ه لا يفقهون ه وأنفسهم ط الخيرات ز لابتداء وعد الفلاح على التعظيم بدليل تكرار (١٣٢) أولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون ه خالدين فيها ط العظيم ه *التفسير عن ابن عباس ان عند نزول الآية الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المفسرين من قال انهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى أقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل قد يدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر فى شرعه ان الاستغفار للمنافق يجرى مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم غير مجاب الدعوة وان أكثر فى الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روى انه لما نزلت الآية قال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه ولولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لازيدن على ذلك وأجيب بانه أراد اظهار الرحمة والرأفة بامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم لبعض لا انه فهم منه ذلك كيف وقد قال تعالى لن يغفر الله لهم وأردفه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله فليس المقصود بهذا العدد تحديد المنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة نوسا لتنى سبعين مرة لم أقضها ولهذا بين العلة التى لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهى كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم فى الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء وأيام الاسبوع فضرب السبعة فى عشرة لان الحسنة بعشر أمثالها وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيرا تك على حمزة هذا وقد مر فى تفسير قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها ان هذا أمر فى معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح

الخوالف قال والخوالف هن النساء **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعنى النساء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حبوية أبو زيد عن يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال النساء قال **حدثنا** المحاربى عن جويبر عن الضحاك مع الخوالف قال مع النساء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف أى مع النساء **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن رضوا بان يكونوا مع الخوالف قالا النساء **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال مع النساء ۞ القول فى تاويل قوله (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) يقول تعالى ذكره لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين باموالهم وأنفسهم فانفقوا فى جهادهم أموالهم وأتعبوا فى قتالهم أنفسهم وبذلوها وأولئك يقول وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا باموالهم وأنفسهم الخيرات وهى خيرات الآخرة وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها واحدتها خيرة كما قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات * وبلات هند خيرة الملكات

والخيرة من كل شئ الفاضلة وأولئك هم المفلحون يقول وأولئك هم المخلدون فى الجنات الباقون فيها الفائزون بها ۞ القول فى تاويل قوله (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات وهى البساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لا يبغين فيها لا يموتون فيها ولا يظعنون عنها ذلك الفوز العظيم يقول ذلك النجاء العظيم والحظ الجزيل ۞ القول فى تاويل قوله (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله و رسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف وقعد عن المجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله وقالوا الكذب واعتذروا بالباطل فيهم يقول تعالى ذكره سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم فان قال قائل فكيف قيل وجاء المعذرون وقد علمت ان المعذر فى كلام

أنفعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم استأذنوا أن يتخلفوا وكان الاولى أن يقال فرح المتخلفون وأجيب بانهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك وأريد بتخلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان أو المجاهدون لما لم يوافقوهم فى القعود فكأنهم خلفوهم أو أطلق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج فى الآية الآتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معى عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل أو بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس ومعنى خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له أى قعدوا لاجل خلافه أو على الحال مثل فارسها العراك أى مخالفين له وقال الاخفش و يونس الخلاف بمعنى الخلف أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الامام التى يقصدها الانسان يخالفها جهة الخلف (١٣٤) وكرهوا ان يجاهدوا كيف لا يكرهون وليس فيهم باعثا الايمان وداعى الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين أموالهم وأرواحهم فى الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة يدل على كراهية الذهاب الا أنه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد انه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستئناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار دارا أخرى و بعد هذه الحياة حياة أخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكانه صاحب الكشاف

مسرة أحقاب تلقيت بعدها
مساءة يوم أن بهاشية الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة
وراء تقضيها مساءة أحقاب

وفى هذا استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا وهو خبر الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فسيضحكون قليلا أى ضحكا قليلا أو زمانا قليلا وسيبكون كثيرا روى ان أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه ابن

العرب انما هو الذى يعذر فى الامر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه وليست هذه صفة هؤلاء انما صفتهم انهم كانوا قادرين وفى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدوهم وحرصوا على ذلك فلم يجدوا اليه السبيل فهم بان يوصفوا بانهم قد أعذروا أولى وأحق منهم بان يوصفوا بانهم عذروا اذا وصفوا بذلك فالصواب فى ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس وذلك ما حدثناه المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك قال كان ابن عباس يقرأ وجاء المعذرون مخففة ويقول هم أهل العذر مع موافقة مجاهد اياه وغيره عليه قيل ان معنى ذلك على غير ما ذهبت اليه وأن معناه وجاء المعتذرون من الاعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها فصيرتا ذالا مشددة لتقارب مخرج احداهما من الاخرى كما قيل يذكرون فى يتذكرون ويذكرنى يتذكر وخويجت العين من المعذرين الى الفتح لان حركة التاء من المعتذرين وهى الفتحة نقلت اليها فحركت بما كانت به محركة والعرب قد توجه فى معنى الاعتذار الى الاعذار فيقول قد اعتذر فلان فى كذا يعنى أعذر ومن ذلك قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فقال فقد اعتذر بمعنى فقد أعذر على ان أهل التأويل قد اختلفوا فى صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بانهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرين فقال بعضهم كانوا كاذبين فى اعتذارهم فلم يعذرهم الله ذكر من قال ذلك حدثنى أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن الحسين قال كان قتادة يقرأ وجاء المعذرون من الاعراب قال اعتذروا بالكذب حدثنى الحارث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الاعراب قال نفر من بنى غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء ان هؤلاء القوم انما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق فغير جائز أن يوصفوا بالاعذار الا أن يوصفوا بانهم أعذروا فى الاعتذار بالباطل فاما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء فغير جائز ان يوصفوا به وقد كان بعضهم يقول انما جاؤا معذرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله فمن وجهه الى هذا التأويل فلا كلفة فى ذلك غيرانى لا أعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله الى ذلك فاستجيز القول به و بعد فان الذى عليه من القراءة قراء الامصار التشديد فى الذال أعنى من قوله المعذرون ففى ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار لان القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمرا عذروا فيه وانما كانوا فرقتين اما مجتهد طائع واما منافق فاسق لامر الله مخالف فليس فى الفريقين موصوف بالتعذير فى الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو معذر مبالغ أو معتذر فاذ كان ذلك وكانت الحجة من القراءة مجمعة على تشديد الذال من المعذرين علم ان معناه ما وصفناه من التأويل وقد ذكر عن مجاهد فى ذلك موافقة

وجه الصلاح فى سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم أى ان ردك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المخلفين من المنافقين فاستأذنوك للخروج الى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معى أبدا عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من اللؤم والطرد وصلاحية الامر الجهاد لما فى استصحابهم من المفاسد المذكورة فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعنى باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل أول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات مرة مرة كانت هذه أولها نظيره هو أفضل رجل يعنى ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو أفضلهم وانما لم يقل أولى مرة لان أكثر المتعين هند أكثر النساء ولا يكاد يقال هى كثرى امرأة فاقعدوا مع الخالفين كقوله

وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في قومه وعن الاصمعي انه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان الخالفين الذين أمروا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس انه لما اشتكى عبد الله ابن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره ويعطيه قميصه الذي يلي جلده ليكفن فيه ففعل كل ذلك وعنه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعدي عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم بدر كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو أعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه (١٣٥) فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جراءتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال فوالله ما كان

ابن عباس **حدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد وجاء المعذرون مخففة وقال هم أهل العذر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان المعذرون ۷ ۞ القول في تأويل قوله (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها الى مغزاه حرج وهو الاثم يقول ليس عليهم اثم اذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على المحسنين من سبيل يقول ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله والله غفور رحيم يقول والله ساتر على ذنوب المحسنين يتغمدها بعفوه لهم عنها رحيم بهم ان يعاقبهم عليها وذكر ان هذه الآية نزلت في عابد بن عمرو المزني وقال بعضهم في عبد الله بن مغفل ذكر من قال نزلت في عابد بن عمرو **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله نزلت في عابد بن عمرو ذكر من قال نزلت في ابن مغفل **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله حزنا ألا يجدوا ما ينفقون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ان ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء وعز عليهم ان يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الى قوله فهم لا يعلمون ۞ القول في تأويل قوله (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) يقول تعالى ذكره ولا سبيل أيضا على النفر الذين اذا ما جاؤك لتحملهم يسألونك الحملان ليبلغوا الى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد فقلت لهم لا أجد حولة أحملكم عليها تولوا يقول أدبروا عنك وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهم يبكون من حزن على انهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد في سبيل الله وذكر بعضهم ان هذه الآية نزلت في نفر من مزينة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه قال هم من مزينة **حدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في

---

٧ هنا بياض بالاصل

الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن أبي قال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله ان كنت لأرجو ان يسلم به ألف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلي عليه وذكر من أسباب دفع القميص ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أسيرا ببدر ولم يجد له قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول أكرمه لكان ابنه ومنها اظهار الرأفة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وأبدا ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تابيد النفي ونفي التأبيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من أن يصلي على أحد منهم منعا كليا وانما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فنهى هنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره وانهم كفروا تعليل للنهي ويرد عليه ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم وأجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان اما قوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت ألفاظ فوجب علينا ان نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى أعلم بمراده انما ذكر النهي ههنا

بالواو وهنالك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موقعهم على حالة الفسق بخلاف ما هنالك وانما قال ههنا وأولادهم بدون لا لان المراد هنالك الترقي من الادون الى الاعلى وهو ان اعجاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا يعجبني أمر التائب ولا أمر المتوب وههنا أريد المعية فقط اما اكتفاء بما سبق هنالك واما لان هؤلاء أقوام آخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هنالك لما علق الثاني بالاول تعليق الجزاء بالشرط أكد معنى النهي بتكرار لا وانما قال ههنا أن يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو العذاب واما في الآية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدر وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في أحكام الله محال وانه أينما ورد حرف التعليل فمعناه ان وانما حذف الحياة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على ان الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها واما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها اجذابة للقلوب فتحتاج الى صارف قوي ويحتمل أن تكون الاولى في قومه والثانية في آخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى في المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا أنزلت سورة أي بتمامها ويجوز أن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه (١٣٦) وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان آمنوا ان هي المفسرة لان انزال السورة في معنى القول وقال الواحدي تقديره بان آمنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان أولو الطول ذو الفضل والسعة من طال عليه طولا قاله ابن العباس والحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم ألزم اذ لا عذر لهم في القعود مع القاعدين مع أصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتي تخلفن في البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقدم البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كانه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التأثير في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل عليها الانسان فهم لا يفقهون أسرار حكمة الله في الجهاد أو في الذهاب من السعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله لكن الرسول نكتة هي انه ان تخلف هؤلاء فقد أنهض الى الغزو من هو خير منهم وأصدق نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال وأولئك لهم الخيرات وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله وأولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما أجمل فقال أعد الله الآية وقيل الخيرات الفلاح في الدنيا وهذه في الآخرة والفوز العظيم عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية * التأويل انما لم يؤثر استغفار الرسول في حقهم لقصور في القابل لا لتقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية نالوا خيرات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب أعظم من حجاب النفس (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون

قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد في قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا ألا يجدوا ما ينفقون قال هم بنو مقرن من مزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة قال حدثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن عروة عن ابن مغفل المزني وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال منهم ابن مقرن وقال سفيان قال الناس منهم عرباض بن سارية * وقال آخرون بل نزلت في عرباض بن سارية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا دخلنا على عرباض بن سارية وهو الذي أنزل فيه ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال ثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد قال ثنا ثور عن خالد عن عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر بنحوه * وقال آخرون بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فانزل الله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية قال هم سبعة نفر من بني عمرو ابن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن يزيد أبو عيلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا وهم البكاؤون كانوا سبعة

(تم الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الحادي عشر أوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما السبيل)